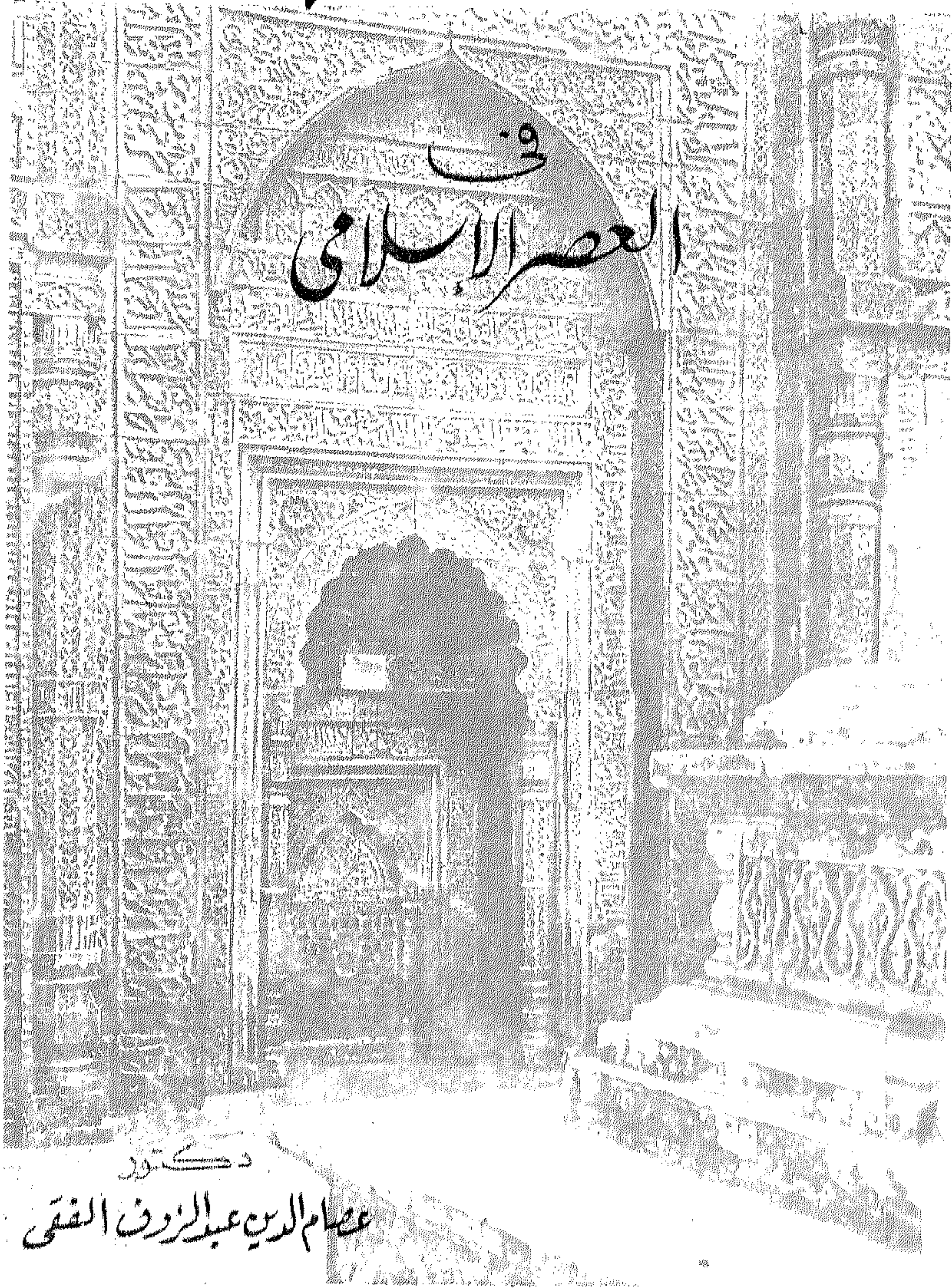


بيلاد الرشيد



في
العصر الإسلامي

دكتور
عصام الدين عبد الزوف الفقى

الناشر

دار الكتب

٢٨ شارع عبد الخالق تروت - القاهرة ٥

دكتور
عصام الدين عبدالزوف الفقى
أستاذ التاريخ الإسلامى المساعد

بلاد الهند
في
العصر الإسلامى
منذ فجر الإسلام حتى الفزوال التيمورى

١٩٨٠

الناشر

عالم الكتب

٢٨ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

إهداء

الى روح أبى الطاهرة النقية أقدم هذا الكتاب
مجددا العهد بمواصلة احياء التراث الاسلامى
ونشر الثقافة الاسلامية .

المؤلف

محتويات الكتاب

صفحة	الموضوع
٥	المقدمة
٩	تمهيد : فجر الاسلام في بلاد الهند
١٣	الباب الأول : الغزنويون والغوريون في بلاد الهند
	الباب الثاني : الحياة السياسية في سلطنة دهلي الاسلامية
٤٩	منذ قيامها حتى الغزو التيموري
٥١	١ - سلطنة دهلي الاسلامية في عهد الملوك الماليك
٧٢	٢ - السياسة الداخلية لسلطنة دهلي الاسلامية في العهد الخلجي
	٣ - الاحداث الداخلية في سلطنة دهلي الاسلامية
٩٦	في عهد بنى تغلق
١٠١	الامارات المستقلة في الهند عن دهلي
	الباب الثالث : العلاقات الخارجية لسلطنة دهلي الاسلامية
١٠٩	١ - مع دول الهند المستقلة
١٣٢	٢ - مع المغول
١٦٢	الغزو التيموري لبلاد الهند
١٦٧	الباب الرابع : النظم والحضارة في سلطنة دهلي الاسلامية
١٦٩	١ - نظم الحكم والادارة
١٩٩	٢ - الحياة الاقتصادية في سلطنة دهلي
٢١٨	٣ - المظاهر الاجتماعية في سلطنة دهلي
٢٣٦	٤ - الحياة الثقافية في سلطنة دهلي الاسلامية
٢٥٣	الجداول :
٢٧١	المصادر والمراجع :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

. الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد افضل المرسلين .
وبعد ، هذا كتاب يتضمن دراسة للدول الاسلامية في بلاد الهند في
العصر الوسيط من الناحيتين السياسية والحضارية ، شجعتني على تأليفه
لقاء علمي طريف بيني وبين بعض اساتذة التاريخ الاسلامي الهنود منذ
عدة سنوات خارج مصر ، وقد دارت مناقشات بيننا حول قضايا في
التاريخ الاسلامي ، ولاحظت اهتمامهم الكبير بدراسة التاريخ الاسلامي
لمصر ، وابدوا اسفهم لافتقار المكتبة العربية الى كتاب اكاديمي عن تاريخ
الاسلام في الهند ، وقد دفعني ذلك الى تأليف كتاب عن التاريخ السياسي
والحضاري ، لبلاد الهند في العصر الوسيط ، فقضيت وقتا اجمع فيه
مراجع الموضوع المعاصرة والقريبة من المعاصرة ، والمصنفات الاخرى -
ومعظمها بالطبع غير عربية - وعكفت عدة سنوات على تأليف هذا الكتاب ،
وارجو ان اكون قد وفقت في هذا العمل .

وبدأت هذا الكتاب بالحديث عن الفتح العربي لبلاد الهند ودور
الغزنويين والغوريين في توسيع رقعة الاقليم الاسلامي في بلاد الهند ،
ونشر الاسلام في هذه البلاد ، وتحطيم الأصنام . وقد لعب السلطان
محمود الغزنوي دورا كبيرا في تحطيم وتدمير قلاع الوثنية في بلاد الهند ،
وجعل كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى .

واعقب حكم الغوريين في الهند ، اول دولة مستقلة في هذه البلاد ،
وهي دولة الملوك المماليك ، وهي اول دولة اسلامية مستقلة في الهند ،
حاضرتها دهلي ، وحكم الملوك المماليك هذه البلاد في الفترة ما بين
(١٢٠٦ - ١٢٩٠ م) .

ولما ضعف شأن المماليك ، انتزع الخلجيون الحكم منهم ، وأعلن
جلال الدين فيروز نفسه سلطانا على دهلي ، وأعقبه السلطان علاء الدين ،
ويعتبر من اعظم سلاطين الهند المسلمين ، قام بتوسيع رقعة دولته في
بلاد الهند ، ودرء الخطر الخارجي عنها ، وقمع الفتن والثورات في بلاده ،
وأصلح الجهازين الاداري والمالي في مملكته ، ولم يأل جهدا في سبيل

تنمية موارد البلاد الاقتصادية ، كما بذل جهدا كبيرا في نشر الثقافة في بلاده ، وشجع رجال العلم والفكر على تأدية مهامهم العلمية نحو الوطن والمواطنين .

وبوفاته ضعفت الدولة الخليفة حتى انهارت ، وسيطرت غلق - أحد كبار القواد في سلطنة دهلي على مقاليد الامور في البلاد ، وأقام الدولة التغلقية على أنقاض دولة الخلجيين . وتعاقب سلاطين آل تغلق في الحكم حتى غزا تيمور لنك دهلي ، ودمرها تدميرا .

وبعد أن تحدثت عن الحياة السياسية في سلطنة دهلي ، درست مظاهر الحضارة بها ، فتناولت بالبحث نظم الحكم والادارة ، والحياة الاقتصادية ، والمظاهر الاجتماعية ، والنهضة الثقافية .

وقسمت الكتاب الى أربعة أبواب ، تناولت في الباب الاول الحكم الغزنوي والحكم الغوري لبلاد الهند ، ومهدت لهذا الباب نبذة عن الفتح العربي لبلاد الهند . وفي الباب الثاني تكلمت عن الحياة السياسية في سلطنة دهلي الاسلامية منذ قيامها حتى الفزو التيموري ويتضمن هذا الباب ، سلطنة دهلي الاسلامية في عهد الملوك الماليك والسياسة الداخلية في السلطنة في عهد الخلجيين والتغالقة وضمف السلطنة وتدهورها وفي ختام هذا الباب كتبت عن الامارات المستقلة في الهند عن دهلي .

ويتضمن الباب الثالث ، العلاقات الخارجية لسلطنة دهلي الاسلامية مع دول الهند المستقلة ، ومع المغول .

وفي الباب الرابع بحثت النظم والحضارة في سلطنة دهلي الاسلامية ويتضمن هذا الباب ، نظم الحكم والادارة ، والحالة الاقتصادية في سلطنة دهلي ، والمظاهر الاجتماعية ، والحياة الثقافية ، وبالجملة فقد اوضحت في هذا الباب الانجازات الكبيرة التي حققتها دول الاسلام الهندية في مجال الحضارة الاسلامية واثر ذلك على ازدهار الحياة الاسلامية في بلاد الهند .

ولم ادخر جهدا عند تأليفى لهذا الكتاب في الحصول من المراجع الاصلية المعاصرة والقريبة من المعاصرة على المادة العلمية ، على الرغم من الصعوبات التي واجهتها . وكتبت باللغتين الفارسية والأردية . وقرات المراجع الاوربية التي كتبت عن الاسلام في الهند سواء للاساتذة الهنود او الاوربيين .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت في كتابى هذا ، وما توفيقى الا بالله .

د. عصام الدين عبد الرؤوف
مصر الجديدة ٢٠/٢/١٩٧٩م

تمهيد

فجر الاسلام فى بلاد الهند

الباب الاول

الغزنويون والغوريون فى بلاد الهند

١ - الغزنويون •

٢ - الغوريون •

تمهيد

فجر الاسلام في بلاد الهند

ويرجع اهتمام المسلمين ببلاد الهند الى عهد الخلفاء الراشدين ، فقد شنوا عدة حملات على اطراف هذه البلاد . على ان اول حملة نظامية على بلاد الهند بدأت في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ، اذ اذن للحجاج بن يوسف الثقفي - عامله في بلاد العراق - بايفاد حملة الى الهند ، فأرسل عدة حملات لم تصل كلها الى نتيجة حاسمة (١) ، فأعد جيشا أسند قيادته الى ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي سنة ٩٢ هـ سنة ٧١١ م وعنى الحجاج بتزويد هذا الجيش بما يحتاج اليه من المؤن والمعدات حتى الخيوط والقطن المحلوج المنقوع في الخل (٢) .

احتشدت القوات الاسلامية في شيراز ، وزحفت الى ثغر مكران ومنه اتجهت جنوبا الى ديبيل ، وانضم الى المسلمين جموع كثيرة من المياد والجات وتسميهم المراجع العربية الزط ، وهما قبيلتان عربيتان هجرت ديارها فرارا من بطش وجور الحكومة البرهمية التي كانت تعتبرهم في عداد المنبوذين ، وتحرم عليهم امتطاء الدواب أو ارتداء الملابس الراقية ، ولا يمارسون الا اخط المهن (٣) .

قوى شأن المسلمين بالميد والجات ، واتجهوا الى ديبيل ، واشتبك الجيش العربي مع داهر - ملك السند - في معركة عنيفة ، واستخدم المسلمون أسلحة قوية من بينها منجنيقا يسمى العروس يديره خمسمائة جندي ، وانتهت المعركة بهزيمة داهر ، واستولى المسلمون على ديبيل وأقام بها محمد بن القاسم مسجدا ، وترك بها حامية تتكون من أربعة آلاف جندي (٤) . وأصبحت ديبيل أول مدينة عربية في الهند .

-
- (١) حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي ج ٢ ص ٢٥٢ .
Lane Peole : Medieval India P. 8. (٢)
Chand : Influence of Islam in India P. 32. (٣)
Lane Peole : Medieval India P. 8.
(٤) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٢

على أن داهر لم يستسلم للهزيمة ، بل عول على مقاومة الزحف الاسلامي ، فاتجه الى الداخل ، وأعد العدة لاستئناف القتال في موضع يقع شرق مصب السند ظنا منه أن النهر يعرقل عبور المسلمين له ، لكن محمد بن القاسم تمكن هو وجنده من عبور النهر على عدد من الزوارق . ولما شعر داهر باقتراب القوات الاسلامية منه لجأ الى حصن الرور فباغته المسلمون ، وعلى الرغم من استخدام الهنود الفيلة والنبال والنقط فانهم هزموا شر هزيمة (١) ، واستولى المسلمون على الرور ، وتقدم محمد بن القاسم صوب الشمال وتمكنت قواته من الاستيلاء على برهماناباد (٢) ، وواصل العرب تقدمهم صوب الشمال يستولون على البلدان التي في طريقهم حتى بلغوا الملتان ، واستولوا عليها عنوة وغنموا منها مغانم كثيرة (٣) .

كان لاستيلاء العرب على الملتان أهمية كبيرة ، نظرا لأهميتها الكبيرة عند الهنود من الناحية الدينية ، إذ يوجد بها المعابد الكبيرة يجج اليها الهنود من كل حذب و صوب ، ويهدون الاموال الى الصنم المقام هناك ، ويندرون له الندور ، ويطوفون به ، ويخلقون رءوسهم ولحاهم عنده ، ويسقوط الملتان في أيدي العرب أصبح وادي السند بأكمله في حوزتهم ، ورحب الهنود بحكم المسلمين لهم لانهم قاسوا كثيرا من ظلم وجور الهندوس ، وتجلى ذلك في اقبالهم على محمد بن القاسم يدقون الاجراس ، ويقزعون الطبول ، ويرقصون رقصاتهم الشعبية (٤) .

عول محمد بن القاسم بعد أن أقر الامور في البلاد التي فتحها على غزو مملكة قنوج - أعظم امارات الهند - لكن مشروعه لم يقدر له أن يتحقق ، ذلك أن الحجاج توفي سنة ٩٥ هـ وبعد ذلك بقليل توفي الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وخلفه اخوه سليمان بن عبد الملك ، الذي كان يعترض على سياسة سلفه ، فعهد بحكم العراق الى صالح بن عبد الرحمن ، وعزل محمد بن القاسم عن السند ، وولى بدلا منه يزيد بن أبي كبشة وأمره بالقبض على محمد بن القاسم ، وارساله اليه وسيق فاتح السند مقبدا بالسلاسل الى واسط حيث أودع في السجن ولقى حتفه (٥) بعد ذلك بقليل .

Lane Peole : Medieval India. P. 9.

(١)

(٢) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٤ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٤ .

Lane Peole : Medieval India. P. 10.

(٤)

(٥) البلاذري : فتوح البلدان ص ٤٤٦ .

ومما لا شك فيه أن عزل محمد بن القاسم عن السند كان خساره كبيرة أصابت مركز المسلمين في هذه البلاد ، ذلك أن البلاد التي دخلت في حوزة المسلمين ، انتقضت على الحكم الاسلامي ، وانشغل الولاة الأمويين في المحافظة على ممتلكات المسلمين في السند ، بدلا من أن ينطلقوا في الفتح ، على أن الحكم بن عوانة كان من خيرة ولاة السند بني مدينتي المحفوظة والمنصورة على شاطئ السند ، وصارت الاخيرة حاضرة للمسلمين فيما بعد ، وقد سار في الناس سيرة حسنة ، وأطلق للهنداكة حرية العبادة (١) .

ولما سقطت الدولة الاموية ، وقامت الدولة العباسية ، حافظ خلفاؤها على بلاد الهند الاسلامية ، وعملوا على توسيع رقعتها ، ففي عهد الخليفة المنصور دخلت كشمير في حوزة العباسيين ، وأكد العباسيون سيطرتهم على الملتان (٢) ، وتتابع غزوات المسلمين في بلاد الهند ، ففي عهد الخليفة المهدي سنة ١٥٩ هـ استولى المسلمون على مدينة باريد ، وأحرقوا تمثال بوذا ، وما زالت فتوحات المسلمين تتتابع في بلاد الهند في عهد المأمون والمعتمد حتى سيطر المسلمون على البلاد الواقعة بين كابل وكشمير والملتان (٣) .

ولما ضعف الدولة العباسية ، عجزت الحكومة المركزية عن السيطرة على أطرافها لذلك استقل حكام الاقاليم عن بغداد ، وقامت في السند امارتان مستقلتان ، احدهما في الجنوب وعاصمتها المنصورة ، وامارة في الشمال وعاصمتها الملتان ، واستقرت امورهما نتيجة لتحسن احوالهما الاقتصادية ، والنشاط التجاري بين السند والشرق والغرب وازدهرت فيهما العلوم والحضارة ، وآوى اليهما الفارون من بطش الخلافة (٤) .

أهمل الخلفاء العباسيون في العصر العباسي الثاني شأن اقليم السند حتى أن الخليفة الضعيف المعتمد أقطعها ليعقوب بن الليث الصفار مع بعض البلدان المجاورة ، حتى لا يتطلع الى السيطرة على العراق (٥) .

(١) البلازري ، فتوح البلدان ص ٢٤٩ .

(٢) البلازري ، فتوح البلدان ص ٢٤٩ .

(٣) البلازري ، فتوح البلدان ص ٢٥٠ .

(٤) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسي ج٢ ص ٢٥٢ .

(٥) السادق ، تاريخ المسلمين في الهند - ١ ص ٧٥ .

وترتب على اهمال الخلفاء لبلاد السند نشاط الاسماعيليين بها ،
فقامت في الملتان حكومة اسماعيلية في القرن الرابع الهجري ، اذ كانت
ارضا خصبة راجت فيها المبادئ الاسماعيلية ، ووجد فيها الدعاة
الاسماعيليون استجابة قوية ، والتف حولهم القرامطة الذين قدموا الى
السند من البحرين وبلاد فارس ، ومكنوا القائد الاسماعيلي جلم بن شيبان
من السيطرة على مقاليد الامور في الملتان (١) . اما امارة المنصورة فقد
تعرضت لكثير من الاضطرابات نتيجة لضعف حكامها واختلافهم على
انفسهم .

عاود المسلمون فتوحاتهم في بلاد الهند في النصف الاخير من القرن
الرابع الهجري ، اذ قوى شأن الاتراك الغزنويين في افغانستان ، وكلما
قويت افغانستان زحفت قبائلها تغزو في بلاد الهند ، واذا ضعف شأنها
وتدهورت أمن الهنود (٢) . اما وقد عظم شأن سبكتكين وابنه محمود في
افغانستان وصار لهما جيش قوى ، فقد ازداد النشاط الاسلامي في بلاد
الهند ، وكان الشمال الغربي في بلاد الهند منقسما بين امراء كثيرين من
الراجبوتيين معترفين لراجدهلي بالغلبة والتفوق .

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٧٥ .

Panikar : A survey of India. pp. 122-123.

(٢)

الباب الأول

الغزنويون والغوريون في بلاد الهند

١ - الغزنويون :-

اعتمد السامانيون على الاتراك في أمور دولتهم ، فكان قوام جيشهم منهم ، وولوهم المناصب العسكرية والمدنية الرفيعة ، فزاد نفوذهم ، وعلا شأنهم في دولة آل سامان . والمعروف أن الاتراك من العناصر التي كانت مصدرا للقلاقل والاضطرابات في الدول التي استعانت بهم ، ومن بينها الدولة السامانية ، فقد أضعفوها ، وعملوا على زوالها (١) .

ومن أبرز هؤلاء الاتراك الذين ارتفع شأنهم في الدولة السامانية ، اليتكين ، كان يعمل في الجيش الساماني (٢) ، وما زال يرتقى في سلك الوظائف حتى ولى منصب حاجب الحجاب للامير عبد الملك بن نوح (٣٤٣ - ٣٥٠ هـ و ٩٥٤ - ٩٦١ م) ومن ثم ارتفع شأنه ، وازداد نفوذه في الدولة السامانية حتى أن الوزير كان يأتmer بأمره (٣) ، ويلتزم بتنفيذ تعليماته وتوجيهاته (٤) .

لم تصف الأمور لاليتكين ، إذ خشي الامير عبد الملك بأسه ، وعول على ابعاده عن حاضرة دولته ، فأسند اليه ولاية خراسان في عام ٣٤٩ هـ / ٩٦١ م (٥) . ولما توفى الامير عبد الملك سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م تشاور الامراء في الدولة السامانية مع اليتكين - الذي كان اكبرهم - فيمن يراه مناسبا لتوليته أمر الدولة السامانية ، فوقع اختيار اليتكين على عم الامير المتوفى ، ورفض اختيار منصور بن عبد الملك خلفا لأبيه ، لانه شاب حدث لم تحنكه

(١) محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ص ٨٥ .

(٢) Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin p. 12.

(٣) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 7.

(٤) Kncy. of Islam. Art Alb-Tegin.

(٥) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج٢ ص ١١٨ .

التجارب . على أن اقتراح اليتكين لم يعمل به ، ذلك أن الامراء ولوا منصورا دون أن ينتظروا وصول اليتكين (١) . لذلك نشأ العداء بين الامير الجديد ، منصور بن عبد الملك وبين اليتكين ، الذي رفض اختياره - كما قلنا - اميرا على السامانيين ، ولم تجد محاولات اليتكين التودد للامير الساماني (٢) .

خشي الامير منصور من انتقال اليتكين عليه في خراسان فاستدعاه الى بلاطه ، ولما علم اليتكين أن الامير الساماني يضم له السوء ، رفض التوجه اليه ، وأظهر التمرد والعصيان فعزله منصور عن خراسان ، وأسند ولايتها الى أبي الحسين سيمجور ، فقصد اليتكين بلخ (٣) . وعول الامير الساماني على اخضاع هذا القائد الثائر ، فأرسل اليه جيشا ، اشتبك معه وهزمه ، فتوجه اليتكين الى غزنة (٤) ، وحاصرها واستولى عليها من حاكمها الساماني ، أبو بكر لوبك ، ولم يكتف بذلك بل غزا بلستان وأقام بها امارة مستقلة عن سادته السامانيين عاصمتها غزته (٥) . على أن الامير منصور الساماني لم يقف مكتوف اليدين ازاء تمرد اليتكين (٦) ، فبذل عدة محاولات لسحق تمرده ، باءت كلها بالفشل ، فكف عنه (٧) . وبذلك قوى شأن اليتكين في امارته ، وتوطد فيها سلطانه .

ولما توفي اليتكين سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م خلفه في حكم غزته ابنه أبو اسحق ابراهيم - قائد جيوش خراسان السامانية - غير أنه لم يستطع السيطرة على مقاليد الامور في غزته (٨) ، اذ ثار عليه أهلها ، وطردوه من بلدهم ، فاستنجد بالامير منصور بن نوح ، فأمدّه بجيش مكنه من استرداد غزته وحكمها باسم السامانيين (٩) . وبذلك استرد السامانيون نفوذهم على غزته . .

(١) النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .

(٢) فاميري : تاريخ بخارى ص ١١٧ .

(٣) النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .

(٤) فاميري : تاريخ بخارى ص ١١٧ .

(٥) النرشخي : تاريخ بخارى ص ١٤٣ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث ٣٥١ هـ .

Ency. of Islam. Art Ghaznavids.

(٧) المروض السمرقندي : جهار مقاله ص ٢٣ .

(٨) العتبي : تاريخ اليميني ج ١ ص ٥٦ .

Ency. of Islam. Art Ghaznavids. (٩)

على أن أبا اسحق لم يلبث أن توفي دون أن يترك وريثا يعقبه في حكم غزته ، فحكمها بلكاتكين - أحد مماليكه - وضرب النقود باسمه في غزته سنة ٣٥٩ هـ / ٩٦٩ م وخلف بيري بلكاتكين ، وهو فيما يبدو من اهالي غزته ، غير أنه لم يستطع القيام بأعباء الحكم فثار عليه الجند ، وخلقوا طاعته (١) ، ونظروا فيمن يصلح لحكم غزته ، فلم يروا أفضل من سبكتكين (٢) لما عرفوا من عقله ودينه وكمال الخلال فيه وصرامته . ومما يجدر ذكره أن سبكتكين هو أحد موالى أليتكين (٣) ، وكان حاجبا لابنه أبي اسحق « وعليه مدار أموره ، ويده مناطم شؤونه » وولى سبكتكين امارة غزته ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م (٤) .

لما أفضى الامر الى سبكتكين ، استطاع بحسن سياسته ، وبعد همته اكتساب محبة الرعية وأمراء البلاد المجاورة له ، ولم يلبث الخليفة العباسي أن اعترف بحكومته ، فاصطبغ حكمه بهذا الاعتراف بالصيغة الشرعية ، وتحققت أمنية له طالما اختلجت في صدره فتلقب بناصر الدولة ، وبعث له الخليفة بالعقد والخلع التقليدي ، وأصبح سبكتكين المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية الشرعية (٥) . وعلى الرغم من استقلاله الفعلي فقد ظل يظهر ولاءه للسامانيين (٦) .

لم يكتف سبكتكين بحكم غزته ، بل عمل على بسط نفوذه على البلاد المجاورة (٧) ، فبسط سيطرته على قصدار القريبة من غزته كما سيطر على خراسان ، وشرع في غزو أطراف الهند ، وسيطر على كثير من المعقل والحصون هناك « فاتسعت رقعة ولايته ، وعمرت أرض خزانتة ، وأشفقت النفوس من هييبته » وتوفي سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م واليه يرجع الفضل في وضع أساس امبراطورية الغزنويين ، إذ امتد سلطانه الى ناحية الهند

-
- (١) ابن خللكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٤ .
(٢) العتبي : تاريخ اليميني ج ١ ص ٥٧ .
ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٣٦٧ هـ .
(٣) Cambridge History of Iran. p. 6.
(٤) العتبي : تاريخ اليميني ج ١ ص ٥٨ .
أبو الفداء : المختصر في أخبار العشر ج ٢ ص ١٢٣ .
(٥) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ص ٢٦٣ .
(٦) Lane Peole : The Muhammadan Dynasties P. 286.
(٧) K. Ali ; A New History of Indo-Pakistan. p. 18.

حيث أسس بها حكومة فى بشاور ، كما امتد نفوذه باستيلائه على خراسان وما اليها ، وبعبارة اخرى أسس دولة كبيرة فى جنوب غرب آسيا .

ويهمنا فى دراستنا هذه أن نتحدث بالتفصيل عن فتوحات الغزنويين فى الهند ، فقد أنشأ سبكتكين جيشا قويا من الافغان والترك ، ورأى ضرورة الانطلاق بتلك القوة الهائلة الى ميدان فسيح ، ولم يكن فى استطاعته الاتجاه نحو بلاد العراق لان البويهيين كانوا قد وطدوا نفوذهم فيها ، كما ان بلاد ما وراء النهر كان القرهخانيون يعملون على بسط سيطرتهم عليها ، وابتزاعها من السامانيين لذلك انطلق الغزنويون الى بلاد الهند من منطقتهم الوعرة كما سنرى (١) .

ومما لا شك فيه أن الرغبة فى الجهاد ورفع راية الاسلام فى غير بلاد الاسلام من اقوى الاسباب التى دفعت الغزنويين الى القيام بفتوحاتهم ، فمن الثابت أن محمود الغزنوى كان مسلما قوى العقيدة ، تواقا الى نشر الاسلام (٢)

سار سبكتكين سنة ٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م على رأس جيش كبير الى بلاد الهنداكة ، ويحكمها جيبال - راجا البراهمة ، وتقع مملكته فى شمال غرب الهند من الكنج الى الأفغان ومن كشمير الى الملتان (٣) ، وفتح قلاعا حصينة على شواهدق الجبال ، ومن بينها مدينة كابل ، وعاد الى بلاده سالما ظافرا (٤) . ولقد كان لاستيلاء سبكتكين على كابل أثر كبير فى اضعاف شأن مملكة جيبال ، ذلك أن كابل تسيطر على المسالك المؤدية الى السهل الهندى الخصيب (٥) ومما هو جدير بالذكر ان يعقوب ابن الليث الصفار لما مد فتوحه الى كابل سنة ٢٥٨ هـ / ٨٧١ م وجد أهل هذه البلاد لا يزالون على الوثنية ، فنشر الاسلام بينهم ، وتوطد فى عهد سبكتكين وابنه محمود كما انتشر فى كافة بلاد الأفغان (٦) .

غير أن جيبال عظم عليه استيلاء المسلمين على اطراف مملكته ورأى أن ذلك يشكل خطرا كبيرا على ملكه ، ان هو تغاضى عن ذلك فحشد جيشا كبيرا

(١) حسن أحمد محمود ، الاسلام فى آسيا الوسطى ص ٢٣٩ .

(٢) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢١٨ .

(٣) الساداقى ، تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ٨٤ .

(٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١١٩ .

(٥) Lane Peole : Medieval India. P. 17.

(٦) أرنولد ، الدعوة إلى الاسلام ص ١٨٨ .

سار على رأسه الى حدود الدولة الغزنوية (١) ، فسار سبكتكين من غزته اليه
ومعه جمع غفير من الجند والمتطوعة ونشب قتال بين الفريقين انتهى بانتصار
المسلمين على أعدائهم (٢) ، وأرسل ملك الهند الى سبكتكين يعرض عليه
الصلح على مال يؤديه وبلاد يسلمها وخمسين فيلا يحملها اليه (٣) . لكن
محمود بن سبكتكين أقنع أباه برفض الصلح اذ ابي الا يكون فيصل الحرب
عنوة وقهرا حمية للاسلام والمسلمين ، على ان جييال عاد الى طلب الصلح ،
وهدد بأن الهنادكة لا يهابون الموت اذا طرقتهم طارق ، فهم سيفقأون أعين
أفيالهم ويلقون بأطفالهم فى النار ويخربون بيوتهم بأيديهم ، ثم يعرضون
انفسهم على سيوفهم ورماحهم ، فيزهقون ارواحهم بأيديهم ، فلا يجد
المسلمون حين يدخلون ديارهم الا تلالا خربة (٤) . عندئذ عدل سبكتكين وابنه
محمود عن موقفهما ، وتم الصلح بين الفريقين (٥) على ألف ألف درهم
وخمسين رأس من الفيلة يؤديها جييال الى السلطان الغزنوى ويتنازل له عن
عدد من البلدان والقلاع ، وسير معه سبكتكين من تسلمها (٦) .

غير ان جييال نقض الصلح ، وقبض على المسلمين الذين وفدوا عليه
لتنفيذ شروط الصلح ، وجعلهم عنده عوضا عن رهائنه الموجودين عند
سبكتكين ، فلما نمت ذلك الى علم السلطان الغزنوى لم يقف مكتوف اليدين ،
بل عول على النفاذ الى أرض العدو واعادة اخضاع جييال ، فسار الى
مملكته ، وعاث جنده فيها فسادا وتخريبا ، وقصد لمغان - وهى من احسن
قلاعهم - فاستولى عليها وهدم بيوت الاصنام ، وأقام فيها شعائر الاسلام ،
وسار عنها يفتح البلاد ، وينكل بمن يعترض طريقه من الهنود ، وعاد الى
غزته (٧) فاستعان جبيان على خصمه بأمرأء أجمير ودهلى وكلنجر ،
وأعدوا جندا جاوز المائة الف مقاتل ، ولكن سبكتكين باغتهم ، وشتت شملهم
فاضطر الامراء المتحالفون الى طلب الصلح على أموال كثيرة طائلة عدا مائتين

Habib : The Struggle for Empire. p. 3. (١)

(٢) العتبي ، تاريخ اليمى ج ١ ص ٧٥-٧٩ .

(٣) ابن الاثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٦٦ هـ .

(٤) العتبي ، تاريخ اليمى ج ٦ ص ٧٩-٨٤ .

Munshi : The Struggle for Empire. p. 3. (٥)

Lane Peole : Medieval India. P. 17. (٦)

(٧) العتبي ، تاريخ اليمى ج ١ ص ٧٩-٨٤ .

Morel : A short Hist. India. p. 143.

من الفيلة وعشرة آلاف من رعوس الخيل (١) .

أسفرت غزوات سبكتكين لبلاد الهند عن امتلاكه بعض البلدان والقلاع في الشمال الغربي من شبه القارة الهندية وتقع على وجه التحديد بين لمغان وبشاور ، مهدت لخلفائه سبيل فتح المزيد من البلدان الهندية كما أدت انتصارات سبكتكين على أعدائه الى ازدياد قوته وهيبته ، فأطاعه الافغانية والخليج وأصبحوا مصدرا هاما يمد به بالجند الضروري لتحقيق سياسته(٢)

سار محمود الغزنوي على سياسة ابيه التي تنطوي على بسط سيطرة الدولة الغزنوية على بلاد الهند ، وساعد على ذلك قرب غزته من بلاد الهند الشمالية ، ووقوعها على قمة الهضبة التي تشرف على سهولها ورأى في بلاد الهند ميدان الجهاد الاكبر ففزاها سبع عشرة غزوة في مدى سبعة وعشرين عاما فيما بين عامي (٣٩١ - ٤١٧ هـ / ١٠٠٠ - ١٠٢٦ م) حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية (٣) فآتم فتح اقليم كابلستان ، وفتح المملتان وكشمير ، وسعى الى نشر الاسلام واحلاله محل البرهمية في كل مكان (٥) ، وأخضع البنجاب حيث استطاع خلفاؤه من بعده ان يثبتوا سلطانهم في عاصمتهم لاهور طوال مائة وخمسين سنة واندفع في فتوحاته الى ما وراء نهر الكنج ليختتم فتوحه في الهند باحتلال كجرات (٦) .

ولتفصيل ذلك نقول : ان السلطان محمود الغزنوي لما فرغ من اقرار الامور في خراسان وسجستان رأى ان يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين ، فسار على رأس جيش يتكون من عشرة آلاف مقاتل (٧) وعند مدينة بشاور التقى بجيش جييال الذي يتكون من اثني عشرة الفا من المشاة معها ثلاثمائة من الفيول فنشب القتال بين الفريقين ، هزم الهنود وقتل منهم كثيرون ، وأسر جييال ومعه جماعة من أهله وعشيرته ،

(١) العتبي ، تاريخ اليبني ج١ ص ٨٤-٨٨ .

(٢) الساداتي ، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ص ٨٥ .

(٣) Munshi: The Struggle for Empire P. 4.

(٤) Hitti ; History of the Arabs. p. 376.

(٥) Lane Poole : Medieval India. p. 18.

Browne ; A litterary History of Persia Vol. I. p. 376.

(٦) بروكلمان ، تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ١٢٠ .

(٧) Munshi : The Struggle for Empire P. 6.

وغنم المسلمون مغانم كثيرة ، واستولوا على عدد من البلدان الهندية . ولما وضعت هذه الحرب أوزارها ، وحطت من الظهور أثقالها ، وافق السلطان محمود على اطلاق سراح جييال (١) بعد أن افتدى نفسه بمال كثير وعدد كبير من فيلة الحرب ، ولم يستطع الامير الهندوكى بعد أن اطلق سراحه أن يبقى على قيد الحياة بعد أن لحقه الذل والعار ، فألقى بنفسه فى النار فاحترق في شوال سنة ٣٩٢ هـ / ١٠٠١ م (٢) .

ثم سار السلطان محمود نحو الهند وانتصر على أهلها ثم قصد اقليم الملتان وهو مركز مشهور للحجاج الهنود ، وقد وصف الاصطخرى (٣) صنم البراهمة فى الملتان فقال : ان أهل الهند يعظمون هذا الصنم ويحجون اليه من أقاصي بلدان الهند ، ويتقربون الى الصنم فى كل سنة بمال عظيم ينفق على بلد الصنم والمتعلقين به ، وصورته على خلة الانسان متربع على كرسي من جص وآجر ، والصنم قد البس جميع بدنه جلدا ، لا يتبين من جثته الا عيناه ، فمنهم من يزعم أن جسده خشب ، ومنهم من يزعم أنه من غير الخشب الا أنه لا يترك بدنه ينكشف ، وعيناه جوهرتان ، وعلى رأسه اكليل ذهب ، متربع على ذلك الكرسي ، قد جعل ذراعيه على ركبتيه ، وقد قبض أصابع كل يديه كأنما يحسب أربعة .

لما قصد السلطان محمود الملتان ، غزا بهاطية - جنوب بلاد البنجاب - وصاحبها يسمى بحيرا - وهى مدينة حصينة عالية السور ، يحيط بها خندق عظيم فامتنع صاحبها بها ، ولما شدد المسلمون عليه الحصار ، وأدرك ضعفه ووهنه أمام القوات الفزنوية أخذ جماعة من ثقاته واعتصم بالجبال المجاورة ، فسير اليه السلطان الفزنوى فرقة من جيشه باغتته على غرة وأنزلت به الهزيمة ، ودخلت بهاطية فى حوزة محمود بن سبكتكين ، وأقام بها حتى أصلح أمورها ورتب قواعدها ، ودعا أهلها الى الاسلام واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها تعاليم الدين الحنيف (٤) .

وفى العام التالى قصد السلطان محمود مدينة الملتان نفسها وانتصر

Lane Pool : Medieval India. p. 14.

(١)

(٢) العتبي : تاريخ اليميني ج ١ ص ٣٦١ - ٣٦٦ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٣٩٢ هـ .

(٣) المسالك والممالك ص ٧٦ - ٧٧ .

(٤) العتبي : تاريخ اليميني ج ١ ص ٦٦ - ٧٠ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٩٥ هـ .

وهو فى طريقه اليها على أنديال بن جيبال الذى رفض مرور القوات الاسلامية من بلاده (١) ووصلت القوات الغزنوية الملتان واستولت عليها ولاذ صاحبها بالفرار (٢) .

اتجه السلطان محمود بعد ذلك الى قلعة كواكير فاستولى عليها ، واحرق اصنامها . واعتصم وتحصن صاحبها فى قلعة منيعة فحاصره السلطان الغزنوى ، وضيق عليه الحصار وما لبث ان صالحه وعاد الى خراسان لانقاذها من غارات الترك (٣) وعهد الى نواسه شاه حفيد جيبال الذى اعتنق الاسلام ودخل فى طاعة السلطان الغزنوى بأن ينوب عنه فى حكم بلاد الهند الغزنوية ، لكن نواسه شاه لم يكن مخلصا لغزته ، فانتهاز فرصة ابتعاد محمود بن سبكتكين عن بلاد الهند ، وارتد عن الاسلام ، ومالاً أهل الكفر والطغيان (٤) ، فلما علم محمود بذلك أسرع الى بلاد الهند ، ففر نواسه شاه من بين يديه ، واستعاد السلطان محمود تلك الولاية ، وأعادها الى حكم الاسلام ، واستخلف عليها رجلا من ثقاته (٥) .

لما رأى امراء الهند انتصارات السلطان محمود الغزنوى فى بلادهم ، وتهديده لاستقلالهم عقدوا العزم على الاتحاد والوقوف يداً واحدة أمام الخطر الغزنوى الزاحف على بلادهم ، لذلك حشدوا جيوشهم بأرض البنجاب فى حماس بالغ ، واشتبكوا مع القوات الغزنوية بقيادة السلطان محمود الذى حمل عليهم حملة لم يستطيعوا الصمود ازاءها ، ففر أمراؤهم ، ولم يستطع جنودهم الثبات أمام ضربات الغزنويين القوية ، فلاذ من نجا منهم بالفرار ، واستولى السلطان محمود على عتاد وذخائر وكنوز الجيوش الهندية (٦) ، ولم يكتف بذلك ، بل أرسل بعض قواته فى اثر فلول العدو المهزومة فلاحقت بابرهمن بال بن انديال (٧) فى قلعة بهيم نغر - وهى على جبل عال - وكان

(١) Defremery : Histoire des Ismaeliens. p. 30.

(٢) Munshi : The Struggle for Empire. p. 8.

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 25.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٩٦ هـ .

(٤) نفس المصدر ، حوادث سنة ٣٩٧ هـ .

أبن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٦٦ .

(٥) Munshi : The Struggle for Empire. p. 8.

(٦) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج ١ ص ١ .

(٧) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ٩٤ - ٩٩ .

Lane Poole : Medieval India p. 20.

الهنود قد جعلوها مخزنا لصنمهم الاعظم ، فينقلون اليها انواع الذخائر ، ونفيس الجواهر منذ سنين طوال ، تقريبا الى هذا الصنم (١) ، فحاصرو القلعة الجند الغزنوى ، وضيقوا على من بها الحصار حتى وهنوا واستسلموا وفتحوا باب الحصن ، وملك المسلمون القلعة (٢) ، وحصلوا منها من نفيس الجواهر ما لا يحصى ومن الدراهم تسعين الف الف درهم ومن الاواني الذهبية والفضية الشيء الكثير ، وكان ذلك سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م (٣) .

وفي سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م قام السلطان محمود بغزوة أخرى الى بلاد الهند فهاجم تارين ، واستولى عليها ، وحطم أصنامها ، ولما رأى صاحب تارين عدم استطاعته الوقوف فى وجه السلطان محمود عرض عليه الدخول فى طاعته وارسل عدد من الفيلة ومال عظيم و ألف رجل من عسكره ائيه كل عام . فأجابه السلطان محمود الى طلبه « وتتابع القوافل بين ديار خراسان وبلاد الهند فى ضمان الامان وجوار الحيطة والاحسان» (٤) .

لقت فتوحات السلطان محمود فى بلاد الهند حدا لم تبلغه رايات الاسلام المنصورة قبلا ، ودخل فى دين الله أفواجا عديدة من أهل الهند ومع ذلك لم يتوقف السلطان محمود الغزنوى عن سياسته فى مواصلة ضم المزيد من البلاد الهندية الى دولته ، فسار فى سنة ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م على رأس جيش كبير الى ناردين ، فسقط فى يد صاحبها ، لذلك آوى هو وجنده الى جبل عال صعب المرتقى ضيق المسلك ، لعله يعصمهم من بأس الجند الغزنوى (٥) وكتب الى قومه يدعوهم الى الوقوف الى جانبه ، فكثرت جمعه ، وعظمت قوته ودخل مع المسلمين فى معركة دارت فيها الدائرة عليه ، وقتل من جنده كثيرون ، وغنم المسلمون أموالهم وسلاحهم ودوابهم ، وفتح المسلمون ناردين فتحا طرزوا به شعائر الاسلام ، ووجدوا فى بيت كبير صنما قيل : انه بنى منذ أربعين الف سنة دمره السلطان محمود (٦) .

Munshi : The Struggle for Empire p. 9. (١)

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin p. 29. (٢)

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٣٩٨ هـ .

(٤) العتبي : تاريخ اليمى ج ٢ ص ٩٤ - ٩٩ .

Munshi : The Struggle for Empire. p. 9.

(٥) العتبي : تاريخ اليمى ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٤ .

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 36.

حرص السلطان محمود على الوقوف في وجه أمراء البلدان الهندية الذين يحاولون النيل من سلطانه فيها ففي سنة ٤٠٥ هـ / ١٠١٤ م سار السلطان محمود الى تانيسر لاختضاع صاحبها الذي تمادى في الكفر والطغيان والعناد للمسلمين (١) ، فلقى في طريقه أودية وعرة المسالك وقفارا فسيحة قليلة الماء قاسي جنده في قطعها مشقة (٢) بالغة وحمل الجند الغزنوي على اهل تانيسر حملة ادت الى هزيمتهم ، وغنم المسلمون ما معهم من اموال وفيلة ، وعادوا الى غزنة ظافرين . وترتب على هذا الانتصار ان دان للمسلمين اقليم البنجاب وأصبح الطريق الى سهول الهند ممهدا امامهم (٣) .

كان من اثر الانتصارات الرائعة التي أحرزها السلطان محمود في بلاد الهند والغنائم الكثيرة التي حصل عليها جيشه المظفر ، ان كان جنده كثيرا ما يتركون وراءهم أواني الفضة لثقلها اكتفاء بما كانوا يحملون من ذهب كثير وجواهر . والمعروف ان أواني المعابد الهندية ، واكثر الآنية التي تزخر بها دور الاغنياء لم تكن في الغالب الا من الذهب الخالص لذلك قدم على السلطان محمود من المتطوعة عشرين ألف مقاتل من بلاد ما وراء النهر وغيرها من البلاد ، فقوى بهم ، واعتزم غزو كشمير المجاورة لممتلكاته الهندية (٤) ، ولما بلغ بقواته بلاد الهند نخشي أمراؤها بأسه ، فأرسلوا رسلا اليه يبذلون الطاعة والولاء له ، ولما بلغ مشارف كشمير اتاه صاحبها وأسلم على يديه ، وواصل السلطان الغزنوي زحفه ، وفي طريقه استولى على الولايات الفسيحة والحصون المنيعه حتى بلغ حصن هودب فاستسلم صاحبه للسلطان محمود ، ودخل هو وقومه في الاسلام ، وسار عنه السلطان الغزنوي الى قلعة كلجند (٥) ، والطريق اليها غياض ملتفة لا يمكن اجتيازها الا بشق النفس ، وكان صاحبها كما يقول العتبي (٦) من أعيان الهند وشياطينهم ، فسير

(١) K. Ali ; A New History of Indo — Pakistan p. 22.

(٢) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ١٤٨ - ١٥٢ .

الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ١ ص ٩٢ .

(٣) Munshi : The Struggle for Empire p. 12.

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 45.

(٤) K. Ali : A New History of Indo — Pakistan. p. 22.

(٥) Lane Poole : Medieval India p. 24.

(٦) تاريخ اليميني ج ١ ص ٢٦٧-٢٧٦ .

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 37.

جيشه الى اطراف تلك الفيض كى يمنع المسلمين من اجتيازها ، ولكن الجيش الغزنوى احبط محاولة النيل منه ، وقد الحق بالعدو خسارة فادحة (١) ، وعمد كليجند الى زوجته فقتلها ، ثم قتل نفسه بعدها ، وغنم المسلمون امواله وملكوا حصونه (٢) ، وسار محمود الى بيت الاصنام المشهورة بهذه البلاد به خمسة أصنام من الذهب الاحمر مرصعة بالجواهر وفيها من الذهب ستمائة ألف وتسعون ألف وثلاثمائة مثقال فأخذ السلطان الغزنوى كل ذلك واحرق الباقي (٣) .

لم يكتف السلطان محمود بما حققه من انتصارات ، انما واصل سيره الى قنوج ، فغادرها راجيال - صاحبها - فاستولى عليها محمود وعلى قلاعها وأعمالها ، ثم سار الى قلعة البراهمة ، ودار قتال بين الغزنويين وبين أهلها ، دارت فيه الدائرة على الهنود ، وانهم ينج منهم الا الشريد (٤) ثم اتجه الى قلعة آسي ، ولما لم يستطع جندبال مواجهة القوات الغزنوية ، لاذ بالفرار ، وعلى ذلك امتلك محمود الغزنوى حصنه ، ثم سار الى قلعة شروة ، ولم يستطع صاحبها أيضا الثبات امام القوات الغزنوية ، وقتل اكثر جنده ، وغنم المسلمون ما معه من اموال (٥) وخيل ، وعاد محمود بن سبكتكين الى غزته ظافرا ، وأنفق ما حصل عليه من هذه الغزوة من مال وفير فى تشييد مسجد كبير فى غزته (٦) .

على أن ملوك الهند لم يستسلموا لما لحقهم من هزيمة ، وسقوط بلادهم البلدة تلو الاخرى فى أيدي الغزنويين ، بل عولوا على التخلص من نفوذ وسيطره غزته ، وقد تزعم هذه الحركة الاستقلالية بيذا - ملك كجوراهه - (٧) والتف حوله ملوك الهند ، غير أن راجييال فاجأ حلفاءه وخرج عليهم ، وعاد الى الولاء الى الدولة الغزنوية (٨) فباغته ملك كجوراهه وقتله ، فازدادت قوته ورأى فيه ملوك الهند خير من يقودهم فى معركة

(١) ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٧ هـ .

(٢) الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ص ١٢ .

(٣) العتبي ، تاريخ اليمى ج ٢ ص ٢٦٧-٢٧٦ .

Lane Poole : Medieval India. p. 24.

Munshi : The Struggle for Empire. p. 15. (٤)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 15. (٥)

(٦) العتبي : تاريخ اليمى ج ٢ ص ٢٨١-٢٨٩ .

Lane Poole : Medieval India. p. 23. (٧)

(٨) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٤٠٧ هـ .

تحرير بلادهم من سيطرة الغزنويين ، لكن السلطان محمود بن سبكتكين لم يقف مكتوف اليدين ازاء هذا الخطر الداهم الذي يهدد دولته في الهند ، بل سار سنة ٤٠٩ هـ / ١٠١٨ م على رأس جيش كبير الى بلاد الهند ، وعبر نهر الكنج (١) ، والتقى بالقوات المتحالفة ولقد كان لظهور السلطان محمود في الميدان اثر كبير على أعدائه ، فأخذهم الهلع والفرع ، ولم تغن عنهم كثرتهم شيئاً ، اذ انقضت عليهم القوات الغزنوية ، والحقوا بهم الهزيمة ، ولما رأى ملوك الهند عدم جدوى التصدي للسلطان الغزنوي ، أرسلوا رسلاً اليه ، يبذلون الطاعة والالتواة ، فقبل منهم محمود الصلح (٢) ، وسار في اثر بيده ، والتقى به في موقعة كبيرة نصر الله فيها المسلمين على أعدائهم ، وغنموا أموالهم وسلاحهم واقتفوا قلوب المهزومين ، وباغتوهم في الغياض والآجام ، وأكثروا فيهم القتل والأسر (٣) .

تتابعت غزوات وانتصارات السلطان محمود في بلاد الهند ، واتسعت أملاك الدولة الغزنوية في هذه البلاد ، وعظمت هيئته في نفوس أهلها ، وتوقفوا عن مقاومة النفوذ الغزنوي ، على أن أعظم غزوات السلطان محمود حدثت سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م اذ فتح عدة حصون ومدن واستولى على الصنم المعروف بسومونات ، وهو أعظم أصنامهم يحجون اليه كل ليلة خسوف ، ويعتقد الهنود أن الارواح اذا فارقت الاحياء . اجتمعت فيه ، فينشئها فيمن يشاء ، وكانوا يحملون اليه نفائس الجواهر ، ويعطون سدنته المال الوفير ، وله وقف يزيد على عشرة آلاف قرية ، يفد اليه البراهمة لعبادته ، واقامة الحفلات الدينية على بابيه ، ويعتقد الهنود أن السلطان محمود في غزواته كلما حطم صنما ، يعتقدون أن سومونات غير راض عنه ولو أنه راض عنه لأهلك من قصده بسوء (٤) ، ويعتقدون أن هذا الصنم يحيى ويميت ، وانه اذا شاء أبرأ من جميع العلل ، ومن لم يصادف من

(١) Lane Poole : Medieval India p. 25.

(٢) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ٣٠١-٣٠٤ .

(٣) ابن الأثيري : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٠٩ .

(٤) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر - ٤ ص ٩٧٣ .

Morel : A Short History of India. p. 148.

أهل الهند انتعاشا احتج بالذنب وقال : انه لم يخلص له الطاعة ، ولم يستحق منه الاجابة ، ولا يوجد في بلاد الهند على تباعد أقطارها وتفاوت أديانها ملك ولا سوقة الا قدم لهذا الصنم ما عز عليه من أموال وذخائر (١) .

لم يهاجم محمود الغزنوي سومنات لتدمير صنم أو الاستيلاء على ما فيه من أموال كما يدعى بعض المؤرخين ، ولكن لان سومنات كان أخطر مراكز المقاومة والعدوان الهندوكي في وجه الزحف الاسلامي ، ومهما يكن من أمر سار السلطان محمود على رأس جيش كبير سنة ٤١٦ هـ / ١٠٢٥ م فافتحم صحراء جرداء قاحلة مترامية الاطراف هي صحراء الثار - أكبر صحراوات الهند - فلما اجتاز هذه الصحراء ، رأى في طرفها حصونا مشحونة بالرجال ففتحها ودمر أصنامها ، وحصل منها على الماء والميرة اللازمتين لرجالها وسار الى انهلوارة ففر صاحبها منها ، واحتفى بحصن له ، فاستولى محمود على المدينة وسار الى سومنات (٢) ودمر في طريقه عددا من الحصون فيها كثير من الاوثان فيما يبدو - حجابا وتقياء لسومنات - حسب اعتقاد الهنود - (٣) فقاتل من بها ، وفتحها ، وحطم أصنامها رسار الى سومنات (٤) ، وقضى على كل مقاومة اعترضت طريق الوصول اليه ، ولما بلغ حصن سومنات قاتل من به ، وأسرعوا الى صنمهم سومنات ليقاتلوا عنه ، وفعلا قاتلوا على بابها بعنف وضراوة (٥) وتضرع الهنود الى صنمهم لعله ينصرهم ، وحمل الجند الغزنوي عليهم حملة أخذت الكثير منهم ، وحطم السلطان محمود الصنم سومنات وأحرق بعضه ، وأخذ بعضه الى غزته ، وجعله عتبة مسجد غزته الجامع (٦) .

(١) سومنات : مدينة ساحلية واسعة بها علماء الهنود وعبادهم ، والصنم المعروف بها يسمى البد يجلس على كرسي من ذهب رهومضخ بالمسك من رأسه إلى الكرسي ومقلد يعقود الياقوت والجوهر وأمامه أطباق ذهب مملوءة من الأحجار الشريفة الثمينة والكرسي على مقعد مستدير يسع عشرة رجال ، ويبيت الصنم مظلمًا ، والضوء الذي عنده من قناديل الجوهر الفائق ، وعندها سلسلة ذهب فيها جرس كلما مضى وقت من الليل ، حركت السلسلة فيدق الجرس ، فيقوم طائفة من البرهمنين إلى عبادتهم ، وعنده خزانة خاصة فيها عدد من الأصنام الذهبية والفضية .

Munshi : The Struggle for Empire. p. 19.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حواش سنة ٤١٦ هـ .

(٣) العتبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٠٤ - ٣٠٧ .

(٤) أبو الفدا : المختصر في تاريخ البشر ج ٢ ص ١٦٣ .

Hitti : History of the Arabs. p. 464. (٥)

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 51-53. (٦)

غير أن بعض ملوك الهند قد أغضبهم ما حاق بمعبودهم الأكبر فأعدوا
العدة لمقاومة السلطان محمود ، فخرج صاحب انهلواره وقصد قلعة
كنزهة - قرب سومنات - ولما نمت الى علمه ان السلطان محمود قصده ،
فر الى بلاده (١) ، كما قصد السلطان الغزنوي المنصورة (٢) وكان صاحبها
قد ارتد عن الاسلام ، وأعد العدة لمحاربة السلطان محمود - فسار السلطان
الغزنوي الى المنصورة ، واشتبك مع صاحبها وهزمه ، وأخضعه لنفوذه ،
ثم سار الى بهاطية ، فأطاعه أهلها ودانوا له بالولاء ، وعاد الى غزنة سنة
٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م (٣) .

أعجب محمود بجمال اقليم جوجرات ، وارتاح الى مناخه ، حتى أنه
فكر في الإقامة فيه ، واستخلاف ابنه مسعود على غزنة لولا اعتراض
قادته ، ومهما يكن من أمر فانه يمكن اعتبار محمود الغزنوي سلطانا هنديا
خالصا ، فتح اقليم البنجاب ، ونشر الاسلام في ربوع الهند ، وفتح طريقا
سلكه بعده كثيرون (٤) . وقنع خلفاؤه بعد أن فقدوا أملاكهم في فارس
واقغانستان بالاستقرار في اقليم البنجاب (٥) ولم تكن غاية محمود من
غزواته في بلاد الهند جمع الاموال - كما يدعى بعض المؤرخين - حقيقة
أن محمود غنم الكثير من غزواته ، لكن هدفه كان أولا وقبل كل شيء نشر
الاسلام ، وتحطيم الاصنام ، بدليل أنه رفض ما عرضه عليه الهنادكة من
افتداء صنم السومنات بالاموال الطائلة ، وقال انه يؤثر بأن يصفه من
يأتي بعده بأنه محطم الاصنام على أن يقولوا عنه بأنه بائع أو ثان (٦) .
وعلى ذلك يمكن القول بكل ثقة بأن محمود الغزنوي كان غازيا مجاهدا ،
أخذ على عاتقه نشر الاسلام في بلاد الهند ، والقضاء على الوثنية فيها .
والحق أن محمود الغزنوي كان من خيرة قادة وزعماء الاسلام وبلغ في
فتوحه « الى حيث لم تبلغه في الاسلام راية ، ولم تقل به قط سورة

(١) Lane Poole : Medieval India under Mohammedan Rule. p. 26 — 77.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤١٧ هـ .

(٣) Munshi : The Struggle for Empire. p. 4.

(٤) Cambridge History of. India Vol. III. p. 26-27.

(٥) Prasad : Medieval India. p. 71-72.

(٦) السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ١ ص ٩٨ .
Advanced History of India. p. 103-104.

بولا آية ، فدحض عنها أجناس الشرك وبنى بها مساجد وجوامع ، وأقام بدلا من بيوت الاصنام مساجد الاسلام ، ومن مشاهد البهتان معاهد التوحيد والايمان « (١) .

واصل مسعود بن محمود الغزنوي سياسة أبيه في المحافظة على أملاك الدولة الغزنوية في بلاد الهند ، وضم المزيد من الاراضي الهندية الى الدولة الغزنوية ، وأقر احمد بن يتالتكين على بلاد الهند الغزنوية ، وقد قام هذا الوالي بالاستيلاء على منارس من ولاية الكنج التي لم تبلغها جيوش الاسلام قبلا (٢) .

قوى شأن احمد بن يتالتكين في بلاد الهند ، وحدثته نفسه بالخروج على الدولة الغزنوية ، لكن السلطان محمود تصدى له وتخلص منه (٣) .

وعلى الرغم من أن السلاجقة كانوا يشكلون خطرا جسيما على الدولة الغزنوية في عهد السلطان مسعود الا أن هذا السلطان لم يتقاعس عن مواصلة الفتوح في بلاد الهند ولم يستمع الى تحذير رجال دولته بالبقاء في غزته حتى يكون قريبا من السلاجقة ، فسار الى بلاد الهند سنة ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م لتحقيق حلمه القديم وهو الاستيلاء على قلعة هانس وكانت تسمى بالقلعة العذراء ، لان أحدا لم يستطع فتحها من قبل . واستولى على هذا الحصن الهندوكي الكبير ثم زحف الى سيات عند الشمال الغربي من دلهي ، ففر أهلها الى الغابات المجاورة مما يسر للسلطان مسعود امر الاستيلاء على هذه البلدة (٤) .

على أن جهود السلطان مسعود في بلاد الهند يسرت للسلاجقة تحقيق اطماعهم في اقليم خراسان (٥) ، واستولوا على بعض بلدان خراسان وتطور الامر في الدولة الغزنوية الى أسوأ من ذلك ، فقد هزم السلاجقة السلطان مسعود في داندانقان سنة ٤٣٢ هـ ١٠٤٠ م .

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٦٥ .

(٢) تاريخ البيهقي ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

(٣) تاريخ البيهقي ص ٣١٥ .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٢١ هـ .

Lane Poole : Medieval India e. p. 41.

(٤) تاريخ البيهقي ٥٨٠ .

Lane Poole : Medieval India p. 43.

(٥)

ولما رأى السلطان الغزنوي ضعف قوته ، قرر الرحيل الى الهند حتى يجمع الجموع ويعود الى غزو السلاجقة ، واسترداد خراسان ، لكنه قتل في الطريق الى الهند ، فخلفه ابنه مودود ، وسار على سياسة ابيه في المحافظة على املاك الدولة الغزنوية في الهند ، فتصدى لأخيه مجدود الذي ولى اقليم البنجاب منذ عهد ابيه ، وكان من أثر ثورة مجدود أن تشجع بعض أمراء الهنادكة وتحالفوا ، واصلوا الاستقلال عن الدولة الغزنوية ، وزحفوا الى لاهور ، لكن الجند الغزنوي ردوهم على أعقابهم ، وعادت الى المسلمين هيبتهم في شمال شبه القارة الهندية (١) .

ولما ولى السلطان ابراهيم بن مسعود الحكم . أعاد الى الدولة الغزنوية هيبته ونظم أمورها ، وأقر الامور في هندوستان (٢) ، ولما توفي امتد النفوذ السلجوقي الى الدولة الغزنوية ، فواتت الفرصة للأمراء الهنود لمحاولة الانفصال عن الدولة الغزنوية لكن السلطان بهرام شاه أدحض محاولتهم ، وقضى على الفتن التي حدثت في البنجاب والمثلتان ، ورد عصبة الأمراء الهنادكة عن لاهور وكانت الآمال قد بعثت في نفوسهم من جديد لطردهم من بلادهم ، وهكذا استطاع بهرام شاه أن يحافظ على النفوذ الغزنوي في بلاد الهند ، ويثبت اقدام الدولة الغزنوية فيها (٣) .

ولما ضعفت الدولة الغزنوية لجأ سلاطينها الى ولايتهم في بلاد الهند للاعتصام بها أو الاستعانة بأهلها لرد الغزاة الطامعين في غزوة - حاضرة ملكهم - فلما ولى السلطنة خسرو شاه لجأ الى الهند على اثر اقتحام قبائل التركمان لحاضرة دولته ، كما انتهز الفور فرصة الفوضى التي عمت الدولة الغزنوية المتداعية ، فانقضوا على غزوة واعملوا فيها الخراب والدمار (٤) وقضى آخر ملوك الدولة الغزنوية أيامه الباقية في لاهور وتفاقم خطر الفور ، واشتد ساعدتهم فاستعاد زعيمهم غزته من التركمان ، وظلوا يطاردون السلطان الغزنوي في بلاد الهند حتى قبضوا

(١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٤٨٦ .

خونديير : حبيب السير ج ٢ ص ٣٠

(٢) Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 104.

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٨٦ .

(٤) Lane Poole : Medieval India under Mohammedan Rule p. 46.

عليه ، وبذلك انتهت الدولة الغزنوية التي يرجع اليها الفضل في توطيد إقدام المسلمين في أرض الهند ، ونشر الاسلام في تلك الديار .

والواقع أن حملات الغزنويين في بلاد الهند واتخاذهم لاهور مقرا لهم يعتبر بدء حكم المسلمين الحقيقي في هذه البلاد ، ذلك أن ملوك الفور الذين ورثوا الدولة الغزنوية تولوا سلطنة دلهي (١) ، ونشروا نفوذ المسلمين في أرجاء بلاد الهند الشمالية قاطبة (٢) .

نتائج الفتوحات الغزنوية في بلاد الهند

لا شك أن الاسلام انتشر بين الهنود نتيجة غزوات سلاطين بني سبكتكين ودخل الهنود في الاسلام عن طوع واختيار . حقيقة ساهم التجار المسلمون بدور كبير قبل أن يعمل الغزنويون في بلاد الهند على نشر الاسلام ، وبنوا مساجد في بعض مدن الهند ، كما أن حكومة الملتان الاسلامية كان لها السيادة في بلاد السند منذ الفتح العربي في عهد بني امية ، وكان لها نصيب في نشر الاسلام في هذه البلاد . ولكن ينبغي أن نؤكد أن السلاطين الغزنويين خصوصا محمود بن سبكتكين كان لهم تأثير كبير على الهنادكة حتى أن جموعا غفيرة منهم أقبلوا على اعتناق الاسلام .

انتشر الاسلام في بلاد الهند نتيجة لانتصارات راياته فيها ففي سنة ٤١٠ هـ احرز السلطان محمود انتصارا رائعا على هرداتا - احد ملوك الهند - فوافق على اعتناق الاسلام ، وتقدم الى السلطان الغزنوي مع عشرة آلاف رجل ، وأعلنوا رغبتهم في التحول الى الاسلام ، ونبتد عبادة الاصنام (٣) ، ومما لا شك فيه أن بعض الهنود تركوا عبادة الاوثان واعتنقوا الاسلام تقريبا لحكامهم الجدد .

ولقى الاسلام ترحيبا كبيرا من الطوائف الفقيرة الذين كان حكمهم الآريون يبتدونهم ويحتقرونهم وينقصون من شأنهم ، فأعلى الاسلام - دين المساواة - منزلتهم ورفع من شأنهم (٤) .

Lane Poole : The Mohammedan Dynasties p. 284. (١)

Prasad : Medieval India p. 48. (٢)

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ حوادث سنة ٤٠٩ هـ .

(٤) أونولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٣١٤ .

كذلك انتشر الاسلام بين الهنود عن طريق الفقهاء والوعاظ ودروسهم والعلماء والمتصوفة ورحلاتهم ، ومن أبرز وأشهر هؤلاء الشيخ اسماعيل وكان من أهل بخارى ، وعرف بثقافته الدينية والدينية ، قدم الى لاهور سنة ٣٩٦ هـ - ١٠٠٥ م وظل بها يدعو الناس الى الاسلام ويعلمهم شرائعه ، وقد وفد عليه كثير من أهل الهند للاستماع الى مواعظه ، وسرعان ما هدى الله الكثير من الناس الى الاسلام على يديه (١) .

ولما كان الغزنويون سنيين متشددين ، فقد اعتنق الهنود الاسلام على المذهب السني ، وخذوا حذو غزاتهم في تعصبهم وتزمتهم . كذلك عرف أهل الهند اللغة الفارسية عن الغزنويين ، والمعروف أن هذه اللغة نمت وازدهرت في بلاط سبكتكين في غزنة ، كذلك وجد المتصوفون من الفرس والترك في بلاد الهند خير موئل يلجأون اليه من بلادهم المضطربة ، ولقيت الصوفية ترحيبا من أهل الهند الذين يميلون اليها بطبيعتهم (٢) . كذلك أثر الترك في الهنود ، والهنود في الترك ، وأخذ كل منهما عن الآخر ، إذ نقل الترك الى الهند الثقافة الفارسية ومظاهر الحياة التركية والفارسية ، وبهذا انتشرت في المجتمع الاسلامي بالهند اللغة الفارسية - لغة الثقافة في ذلك العصر (٣) - واللغة الاوردية التي هي خليط من الهندية والعربية والفارسية والتركية ، ولم تنتشر اللغة العربية وبالتالي لم تزدهر الثقافة العربية بالهند ازدهارها في الاقاليم والدول الاسلامية الاخرى ، وساعد على هذا أن بعض الشيوخ والعلماء الذين وفدوا على الهند كانوا من علماء ما وراء النهر ، وهؤلاء كانوا أتباع مذهب أبي حنيفة يعتمدون على كتب فقهاء هذا المذهب ، كما كانوا شغوفين بعلوم اليونان القديمة والثقافة الفارسية ، وبهذا اصطبغت الثقافة الاسلامية بالهند بهذه الصفات الثلاث ، ولم تقم على أسس قوية من الثقافة العربية (٤) ، ونشأ فريق من المولدين يمثل حضارة اسلامية ، مزيج من الحضارات التركية والفارسية والهندية ، وينعم بالتسامح الاسلامي ، وينبذ التفرقة التي كانت من أبرز خصائص المجتمع الهندي من قبل ، وظهر مفكرون

(١) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٣١٤ .

(٢) حسن أحمد محمود : الإسلام في آسيا الوسطى ص ٢٦٩ .

(٣) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٤١٧ - ٤١٨ .

(٤) جمال الشهاب : تاريخ دولة أباطرة المغول الاسلامية في الهند ص ٥١٧ .

يهاجمون الديانة البرهمية (١) ، واحترم الهنادكة عقائد المسلمين ، كما ان المسلمين استفادوا من فلسفة الهند ، وتقدم علمائهم فى علم الفلك .

ولقد تأثرت الحياة الاجتماعية بالترك ، وتجلى ذلك فى انتشار الحجاب بين النساء ، وتخلص المنبوذون من قيود النظام الطبقي وساهموا بحرية فى ميادين الحياة المختلفة من سياسية واقتصادية ، واقتبس الهنود عن المسلمين أنظمتهم الادارية والمالية والقضائية ، وشهد الادب الفارسي ازدهارا ، زاد منه رحيل أدباء فارس الى الهند ، واصبحت الفارسية لغة التأليف والكتابة للمسلمين وغير المسلمين ، واستفاد المسلمون من السنسكريتية ، وترجموا عنها الى الفارسية كما ترجموا اليها ، وفى ميدان الفن استفاد المسلمون من الهنود والهنود من المسلمين ، وتجلى ذلك فى المساجد والمعابد .



تجمعت عوامل متعددة أدت الى ضعف الدولة الغزنوية وانهارها فى آخر الامر ، ومن أبرز هذه العوامل المحاولات المتكررة التى بذلها ولاة الاقاليم فى الدولة الغزنوية للاستقلال بالولايات التى يحكمونها ، ولم تكن هذه الحركات الانفصالية هى عوامل ضعف الدولة الغزنوية فقط ، بل ان امراء آل سبكتكين أيضا قاموا بدور كبير فى تدهور شأن بيتهم العريق فقد حاربوا بعضهم بعضا حول الوصول الى السيادة والحكم وحاول بعضهم الاستقلال ببعض اقاليم الدولة الغزنوية بل استعان بعضهم على بعض بأعداء دولتهم المتربصين للنيل منها .

ومن اكبر العوامل التى عجلت بانحيار الدولة الغزنوية ظهور الاتراك السلاجقة وارتفاع شأنهم وسعيهم الى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة الغزنوية ، كما ان الغور خرجوا من عزلتهم الجبلية ، وعملوا على مد نفوذهم فيما وراء حصونهم ، وكان خير ميدان لتنفيذ سياستهم بلدان الدولة الغزنوية التى اخذت عوامل الضعف والانحلال تنال منها حتى انهكت قواها ، ولم تعد تستطيع مقاومة أعدائها الاشداء .

(١) جوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٤١٧ - ٤١٨ .

واصل الغور سياستهم التوسعية على حساب الدواة الغزنوية المتداعية حتى استولى على غزته ، وسقطت لاهور آخر معاقل الغزنويين سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م فى ايدى الغور وبسقوطها زالت الدولة الغزنوية وانتهت ايامها .

٢ - الغوريون :

تقع بلاد الغور فى افغانستان الحالية بين هراة وغزته (١) ، وقامت دولة مستقلة فى هذه المنطقة تتخذ من فيروزكوه عاصمة لها ، وكان الغور لا يدينون بالاسلام حتى غزاهم السلطان الغزنوى محمود بن سبكتكين سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م (٢) .

شكل الغور خطرا جسيما على الدولة الغزنوية فى عهد السلطان محمود بن سبكتكين ذلك انهم دابوا على شن الغارات على رعايا هذا السلطان ، واتخذوا من وعورة بلادهم وصعوبة مسالكها معصما يقيهم بأسه (٣) .

لما كثرت غارات الغور على بلدان الدولة الغزنوية انف السلطان محمود ان يكون مثل اولئك المفسدين جيرانه ، وهم على هذا الحال من الكفر والفسوق والعصيان ، وعول على اخضاعهم ، واعد جيشا كبيرا سار على راسه الى بلاد الغور سنة ٤٠١ هـ / ١٠١٠ م والتقى بجحافلهم فى معركة عنيفة ، مزقهم فيها كل ممزق (٤) ، واغلق الطرق المؤدية الى بلادهم ، بينما سار الجيش الغزنوى داخل بلاد الغور (٥) ، والتقى بأميرهم فى مدينة آهنكران ، وحدث اشتباك عنيف بين الفريقين تفوق فيه جند الغور ، لذلك امر محمود بن سبكتكين جنده بأن يولوا الغور

K. Ali : A New History of Indo — Pakistan. (١)

p. 34.

Habib : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 32. (٢)

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 29. (٣)

Majumdab : An Advanced Hist. of India. p. 276.

Munshi : The Struggle for Empire. p. 9. (٤)

(٥) العتبي : تاريخ اليميني ج ٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

الادبار على سبيل الاستدراج ، وانسحب الجند الغزنوي ، فظن الغور أن ذلك هزيمة ، وساروا في أثر جيش السلطان محمود حتى ابتعدوا عن بلادهم ، فواتت الفرصة الجند الغزنوي للانقضاض على الغور ، وفعلا باغتوهم ، ووضعوا السيوف فيهم ، وقتلوا كثيرا منهم ، وشتتوا شملهم ، ووقع أمير الغور أسيرا في أيدي الغزنويين ، وامتلك السلطان محمود قلاع الغور وحصونهم . ومن ثم دخلت بلاد الغور في حوزة سلطان غزته (١) . . ولما كان الغور حتى ذلك الحين على غير دين الاسلام ، فقد حرص محمود بن سبكتكين على نشر الاسلام بينهم (٢) : فاستخلف عليهم الفقهاء يعلمونهم الدين وشرائعه (٣) .

رفض أمير الغور أن يقع أسيرا في أيدي غريمه لذلك أثر الانتحار (٤) ، وأبقى السلطان محمود حكم الغور في أيدي بيتهم الحاكم ، ولكن في ظل السيادة الغزنوية ، وارتفع شأن أمراء الغور في الدولة الغزنوية حتى أنهم ارتبطوا بصلة النسب ببيت سبكتكين ، لكنهم رغم ذلك تطلعوا الى الاستقلال عن غزته ، وأخذوا يتحينون الفرص المناسبة لتحقيق سياستهم ، وفعلا تطورت الامور في صالحهم (٥) ، ذلك أن الدولة الغزنوية انشغلت في دفع خطر السلاجقة الزاحفين على اقليم خراسان فأعد الغور عدتهم للاستقلال ، وتحقيق أطماعهم التوسعية على حساب الدولة الغزنوية . ولما انهك السلاجقة قوى سلطان غزته ، واستولوا على الكثير من ممتلكاته ، سار محمد بن الحسين - أمير الغور - الى غزته بغية الاستيلاء عليها سنة ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م لكن السلطان الغزنوي بهرام شاه أحبط محاولته وهزم جنده ، وقبض عليه وقتله (٦) .

استنكر الغور قتل السلطان الغزنوي لاميرهم ، وعولوا على الانتقام من بهرام شاه ، وأعد سوري بن الحسين - أمير الغور الجديد - العدة لذلك ، فقوى من أمر جنده ، وسار على رأسهم الى غزته بقصد الاستيلاء عليها ، والأخذ بشار أخيه (٧) ، ولما اقترب سوري من غزته بجحافله ،

(١) تاريخ البيهقي ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٢) خوندمير : جيب السير ج ٢ ص ٢٢ .

(٣) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 34.

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. p. 117.

(٥) Habib : Sultan Mahmud. of Ghaznin. pp. 33-34.

(٦) Lane Poole : Medieval India. pp. 46-47.

(٧) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. pp. 291-292.

رأى بهرام شاه أنه لا يستطيع التصدي للغور الاقوياء ، فغادر حاضرة دولته ، وذهب الى الهند الغزنوية ليجمع منها جيشا قويا ، ويعود الى غزته لتحريرها من قبضة الغور (١) .

أما الغور بقيادة سوري ، فقد استولوا على غزته ، لكن جند غزته وأهلها ساءهم احتلال الغور لمدينتهم ، وانتزاعهم الحكم من بيت سبكتكين ، وظلوا يتحينون الفرص للتخلص من الغور ، وواتتهم الفرصة حينما عاد السلطان بهرام شاه الى غزته على رأس جيش كبير لاسترداد حاضرة ملكة من الفاصبين (٢) ، ووقف جند غزته وأهلها الى جانب بهرام شاه في الاشتباك الذي حدث بينه وبين أمير الغور الذي اغتصب اعز قطعة من مملكته ، وقد انتهى القتال بهزيمة سوري (٣) ، وقبض بهرام شاه عليه وقتله وولى جنده الادبار الى بلادهم لا يلورون على شيء ، وعاد بهرام شاه الى حاضرة ملكه ظافرا منتصرا سنة ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م وابتهج أهلها بمقدمه ، وبقهر الغزاة الطامعين (٤) .

لما قتل سوري خلفه علاء الدين الحسين بن الحسين في حكم الغور ولم يتفاض عن قتل أخيه سوري، وهزيمة جنده ، وطردهم من غزته ، بل عول على الانتقام من السلطان الغزنوي وأهل غزته لتنكيلهم بجند الغور وأميرهم سوري ، فسار على رأس جيش كبير الى غزته ، واستولى عليها (٥) ، وولى السلطان الغزنوي بهرام شاه هاربا الى بعض البلاد المجاورة ليستجمع قوته ، ويعود الى حاضرة دولته . أما علاء الدين الحسين بن الحسين ، فقد أقر الامور في غزته ، وعاد الى بلاده بعد أن استخلف على غزته أخاه سيف الدين ، وأمره باقامة الخطبة له في هذه المدينة (٦) كما طلب منه بأن يسير في الناس سيرة حسنة ، ويحكم بالعدل وفعلا نفذ سيف الدين تعليمات أخيه ، فأحسن الى أهل غزته وأجزل على أعيانها الصلات النفيسة ، وخلع عليهم خلعا سنية (٧) حتى تطيب نفوسهم ، ويخلصوا للعهد الجديد .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٣ هـ .

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ص ٣٨٨ - ٣٨٩ .

(٣) Lane Poole : Medieval India. pp. 46-47.

(٤) أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ج ٣ ص ٢٦ .

(٥) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. pp. 291 - 292.

(٦) خوندمير : حبيب السير ج ٢ ص ٣٣ .

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .

على أن هذه السياسة لم تؤت ثمارها ، إذ كان أهل غزوة لا يزالون على ولائهم واخلاصهم لبيت سبكتكين ، ويعارضون حكم الغور لهم ، وأعدوا العدة للتخلص منهم ، فلما كان شتاء سنة ٥٤٧ هـ / ١١٥٢ وانقطع الطريق بين غزوة وبلاد الغور بعد أن غطاه الثلج ، أمن أهل غزوة عدم وصول النجادات العسكرية من بلاد الغور الى بلدهم ، ونادوا بشعار بهرام شاه (١) ، وارسلوا اليه يطلبون منه العودة الى حاضرة ملكه ، وتحريرهم من نير الغور المغتصبين للحكم من أصحابه الشرعيين ، فاستجاب بهرام شاه لنداء أهل غزوة ، وسار على رأس جيش كبير الى غزوة ، ولما اقترب منها قبض أهل غزوة على سيف الدين - الحاكم الغورى - ومهدوا لبهرام شاه أمر دخول غزوة (٢) ، فدخلها ونكل بالغور وبذلك استرد بهرام شاه غزوة للمرة الثانية . على أن بهرام شاه لم يلبث أن توفى وولى بعده ابنه خسرو شاه (٣) وكان علاء الدين الحسين بن الحسين - أمير الغور - قد أعد العدة للسير الى غزوة واستعادتها والانتقام من أهلها الذين قتلوا رجاله فلما علم خسرو شاه بزحف أمير الغور على غزوة أسقط في يده وخاف العاقبة وغادر غزوة وقصد لاهور واستقر بها ونقل اليها حكومته وجعلها حاضرة لدولته بدلا من غزوة (٤) . أما أمير الغور فقد استرد غزوة وضمها الى حوزته سنة ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م ولم يتس هذا الامير موقف أهل غزوة العدائى من قومه فالحق بهم ويلاته (٥) ، وأباحها لجنده ثلاثة ايام كاملة لقي خلالها أهلها سوء العذاب ولم يكتف بذلك بل دمر حاضرة بنى سبكتكين بما فى ذلك المنشآت التى انشأها سلاطين غزوة العظام حتى سماه أهل غزوة « محرق العالم » (٦) على أنه أصلح أمور غزوة بعد أن أسرف فى الانتقام من أهلها ورأب الصدع (٧) ، ونقل الكثير من أهل غزوة ممن يخشى بأسهم الى بلاده وأسكنهم بعض قلاعها وبذلك كفل بسياسته هذه اضعاف مقاومة سكان غزوة لحكم الغور وبقائها فى حوزته (٨) .

-
- (١) براون : تاريخ الأدب الفارسى ج ٢ ص ٣٨٢ - ٣٨٣ .
 (٢) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 292.
 (٣) أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، ج ٢ ، ص ٢٦ .
 (٤) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 292.
 (٥) K. Ali; A New History of Indo-Pakistan. p. 43.
 (٦) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .
 (٧) ابن خلدون : العبر وديوان المبدأ والخبر ، ج ٤ ، ص ٣٨٩ .
 (٨) Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 277.
 A Short. of Hind-Pakistan, p. 122.

قويت دولة الغور في عهد أميرها علاء الدين الحسين بن الحسين وتطلع الى توسيع رقعة دولته فسار على رأس جيش كبير الى خراسان وعات جنده فسادا وتخريبا في أعمال هراة - وسار الى بلخ وحاصرها وضيق عليها الحصار حتى استسلمت له وضمها الى حوزته على انه لم يحظ بحكمها طويلا فقد سار اليه السلطان السلجوقي سنجر ليستعيد بلخ من الغور ويمنعهم من التعرض لخراسان والتقى السلطان السلجوقي بالامير الغوري في قتال عنيف هزم فيه الغور ووقع أميرهم أسيرا في أيدي السلاجقة على ان السلطان سنجر لم يلبث ان عفا عنه وخلع عليه وأعادته الى فيروزكوه .

واصل أمير الغور سياسته الرامية الى ضم مزيد من البلاد الى دولته على الرغم من الهزيمة التي لحقت به ونظم ادارة دولته واستعمل العمال والامراء على البلاد وكان ابنا أخيه وهما غيات الدين محمد بن سمام وشهاب الدين محمد فيمن استعمل على بلد من بلاد الغور اسمه سنجة (١) . فلما استعملهما أحسنا السيرة في عملهما وعدلا بين الناس وبذلا الاموال فمال الناس اليهما وانتشر ذكرهما فسعى بهما من يحسدهما الى عمهما علاء الدين وقال أنهما يريدان الوثوب بك وقتلك والاستيلاء على الملك فأرسل عمهما يستدعيهما اليه فامتنعا فسير اليهما جيشا لاختصاصهما والتقى الاخوان بجيش علاء الدين وأوقعا به الهزيمة ، عندئذ جأهرا بعصيان عمهما وقطعا خطبته فتوجه اليهما علاء الدين وحدث اشتباك بين الفريقين انهزم فيه علاء الدين ووقع أسيرا في أيدي ابني أخيه وعقد صلح بين الامير الغوري والاخوين بمقتضاه تزوج غيات الدين من ابنة عمه علاء الدين وجعله ولي عهده (٢) .

لما توفي علاء الدين الحسين سنة ٥٥٦ هـ / ١١٦٠ م خلفه غياث الدين محمد ، وأقيمت الخطبة له في غزنة ، لكن الغور لم يلبثوا أن فقدوا غزنة ، ذلك أن الغز طمعوا فيها بعد موت علاء الدين الحسين ، واستولوا عليها (٣) ، وطرردوا الغور منها ، وبقيت غزنة في أيديهم خمس عشرة سنة ساموا خلالها أهلها سوء العذاب كعادتهم في كل بلد ملكوه .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٤٧ هـ .

(٢) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٨٦٣ .

(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 47.

وفى تلك الفترة كان غياث الدين محمد - أمير الغور - يعد العدة ، ويجمع الجيوش لاسترداد غزته من مفتصبيها الغز (١) .

سار غياث الدين الى غزته فى صحبة أخيه شهاب الدين ، واشتبك الغور مع الغز فى معركة الحقوا بهم الهزيمة ، وطردهم من غزته ، واستردوها ، وأحسن غياث الدين الى أهلها (٢) .

لم يكتف غياث الدين محمد أمير الغور - بامتلاك غزته ، بل عقد العزم على امتلاك البقية الباقية من الدولة الغزنوية لتوسيع دولته الناشئة ، واستئصال شأفة آل سبكتكين حتى يضمن لدولته - التى قامت على انقراض الدولة الغزنوية الأمن والاستقرار فأرسل جيشا استولى على بلدان الغزنويين غير الهندية ، وضمها الى دولته . ثم عبر شهاب الدين الغورى نهر السند معتزما الاستيلاء على ممتلكات الغزنويين فى الهند واتجه الى لاهور - قاعدة آخر سلاطين سبكتكين - وفى طريقه اليها استولى على ممتلكات الغزنويين الهندية ثم حاصر لاهور - آخر معاقل الغزنويين - فى جمع عظيم وحشد كبير ، حاصرها وضيق عليها الحصار ، وأرسل شهاب الدين الى خسرو شاه وأهل لاهور يعرض عليهم الامان على انفسهم وأهلهم وأموالهم ان يسروا أمر استيلائه على لاهور ، وحذرهم عاقبة التعرض لقواته (٣) ، لكن خسرو شاه وأهل لاهور أصروا على مقاومة الغور ، وبذلوا فى سبيل ذلك الأنفس والاموال ، غير أن مقاومتهم للغور اعتراها الضعف والوهن (٤) ، فأرسل خسرو شاه - السلطان الغزنوى - الى شهاب الدين قائد الغور وفدا يطلب الامان فأجابه شهاب الدين الى طلبه ، ودخل الغور لاهور ، وقبضوا على خسرو شاه . وبذلك فقدت الدولة الغزنوية آخر معاقلها ، وزالت الدولة الغزنوية بذلك فى الهند وغير الهند ، وامتد ملك الغور فى أفغانستان وبلاد الهند على حساب الدولة الغزنوية (٥) . كما اتسع ملك الغور ، واستقر سلطانهم ، وكثر جندهم وقوى بأسهم ، وأمر غياث الدين أخاه

Morel : A Short History of India. p. 152. (١)

K. Ali : A New History of Indo-Pakistan p. 34. (٢)

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٤٧ هـ . (٣)

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties, p. 293. (٤)

Morel : A short History of India. p. 152. (٥)

شهاب الدين باقامة الخطبة له بالسلطنة (١) ، ولقبه الخليفة العباسي غياث الدين والدنيا ، معين الاسلام قسليم أمير المؤمنين ، ولقب السلطان غياث الدين أخاه شهاب الدين ، عز الدين . واكسب اعتراف الخليفة العباسي لسلطان الغور الصفة الشرعية لحكمه على البلاد التي دخلت في حوزته (٢) . وبذلك قوى نفوذ غياث الدين .

لهم يكتف الغور بما امتلكوه من بلدان ، بل سعوا الى توسيع دائرة نفوذهم ، فبعد أن استقر أمر لاهور ، سار السلطان غياث الدين محمد في صحبة أخيه شهاب الدين الى هراة وشدد الغور عليها الحصار ، وكان يسيطر عليها جماعة من الترك السلاجقة يخضعون للسلطان سنجر ، وما زال الغور يحاصرون هراة ، ويضيقون عليها الحصار حتى طلب أهلها الامان ، فأمنهم غياث الدين محمد ، ودخل هراة ، وضمها الى دولته وتقدم سلطان الغور الى بوشمنج واستولى عليها ، كما امتلك بادغيس وبعض البلدان المجاورة لها في اقليم خراسان (٣) .

يتضح لنا مما تقدم أن امارة الغور الافغانية انضمت الى الدولة الغزنوية في عهد السلطان محمود ، واعتنق أهلها الاسلام ، وترقبوا الفرص للعودة الى الاستقلال ، ولما ضعفت الدولة الغزنوية ، تمكنوا من الانفصال عنها ، بل وتجاوز أراضيهم الجبلية الوعرة الى البلاد الغزنوية في أفغانستان وبلاد الهند حتى أدخلوها في دائرة نفوذهم وضموا الى دولتهم كذلك أجزاء من اقليم خراسان واقلية هندية .

الغور وبلاد الهند

يرجع الى الغور الفضل في توطيد دعائم الحكم الاسلامي في شمال الهند ، حقيقة ان السلاطين من بنى سبكتكين هم الذين فتحوا امام قادة المسلمين من بعدهم سبيل التوسع والفتح في بلاد الهند الا أن سياسة سلاطين بنى سبكتكين تختلف عن سياسة سلاطين الغور في الهند ،

(١) Lane Poole : Medieval India. p. 152.

(٢) Munshi : The struggle for Empire. p. 118.

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٤٧ هـ .

Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 292.

بوشمنج وبادغيس من أعمال خراسان .

فالفزنويون لم يعملوا على تثبيت اقدمهم فى هذه البلاد ، بل وجهوا اهتمامهم بالدرجة الاولى الى الحصول على المغنم الكثيرة من بلاد الهند ، أما الغور فقد استقروا فى البلاد الهندية التى ضموا الى حوزتهم ، ومن ثم احتفظت الهند بمالها وثرواتها واتسع سلطانهم فى بلاد الهند ، ورأى الهنادكة فى المسلمين خلاصا من نير أمرائهم الذين حرموهم من التدرج فى سلك الوظائف مهما كانت كفاياتهم ومعتقداتهم ، بينما يساوى الاسلام بين ابنائه .

وقبل أن نتحدث عن فتوحات الغور فى بلاد الهند يجدر بنا ان نناقش الدوافع والاسباب التى وجهت أنظار المسلمين الغور الى بلاد الهند .

لما كانت دولة الغور قد قامت فى أفغانستان فى منطقة جبلية وعرة ، واتخذت لها قوة ضاربة قهرت الفزنويين ، وانتزعت ممتلكاتهم فى غزنة وما جاورها ، فمن الطبيعى أن يعمل الغور على البحث عن ميادين جديدة للتوسع ، ومن الطبيعى جدا أن تكون بلاد الهند هى ذلك الميدان ، ويؤيد ذلك ما ذكره المؤرخ بانىكار (1) اذ قال « كلما كانت أفغانستان قوية مدت نفوذها الى بلاد الهند ، والعكس كلما ضعف أمر أفغانستان أمنت الهند من غزوها لأراضيها » .

ومن الاسباب التى دعت الغور الى الاتجاه الى بلاد الهند عدم استطاعتهم الزحف الى وسط آسيا حيث الدولة الخوارزمية ودولة الخطا تقومان فى هذه الجهات ، ولا تمكنان الغور من التوغل فى بلادهما .

وكان من الضرورى للغور ، ومن المنتظر أيضا أن يولوا وجوههم شطر الهند لان الفزنويين نقلوا مقر دولتهم الى لاهور ، وأخذوا فى العمل على تقوية أمرهم لاسترداد البلاد التى انتزعتها الغور منهم فى أفغانستان ، فكان لابد اذن للغور من القضاء نهائيا على آخر معاقل الفزنويين فى الهند حتى يأمنوا على دولتهم الناشئة من أية محاولة قد يبذلها الفزنويون لاسترداد أفغانستان منهم .

وهناك أسباب أخرى شجعت الغور على الاتجاه الى بلاد الهند ، فالامراء الهنود - كما سنرى - فى شمال الهند أضعفتهم وأنهكت قواهم

A Surrey of India, pp. 122-123.

(1)

الانقسامات والخلافات وعلى ذلك رأى الغور أنهم لن يواجهوا متاعب كثيرة فى تحقيق سياستهم فى بلاد الهند . ولا يفوتنا أن نذكر أن الغور كانوا حديثى عهد بالاسلام تحذوهم الرغبة والامل فى الجهاد فى سبيل نشر الاسلام فى غير بلاد الاسلام ، وبلاد الهند التى لا يزال معظم سكانها على الوثنية خير ميدان يجاهد فيه الغور من أجل رفع راية دينهم ونشره . ولقد انقسم القسم الشمالى من الهند حينما شرع الغور فى الزحف اليها الى ممالك متعددة منقسمة على نفسها ومستقلة عن بعضها ، فهناك مملكة البنجاب ويحكمها السلطان الغزنوى خسروشاہ - آخر سلاطين بنى سبكتكين ومملكة الملتان ، وتحكمها أسرة اسماعيلية من القرامطة ، والسند وتحكمها أسرة هندية تسمى سمارس ، ، يضاف الى ذلك امارات يحكمها أمراء هنود من الراجبوتيين فى شمال الهند من أهمها مملكة دلهى وآجمير ومملكة قنوج وتضم بنارس ، ومملكة جوجرات ونهرواله ، ومملكة بند لخاند وتضم كالنجار وهانسي ومملكة بهار ، ومملكة البنغال ، ويسمى هذا القسم هندوستان ويشمل أخصب بقاع الهند وأكثرها سكانا (١) .

سار الغور بقيادة السلطان غياث الدين محمد الى الملتان سنة ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م واستولوا عليها ، ثم ضموا بشاور الى دولتهم ، ولم يستطع بهيم ديوا - راجا نهرواله - وقف زحف الغور مما مكنهم من مواصلة تقدمهم فى أرض السند حتى استولوا عليها (٢) .

قصد السلطان الغورى بعد ذلك لاهور ، وتصدى له السلطان خسروشاہ وأوقع به الهزيمة ، فاتجه سلطان الغور الى سيالكوت وانتزعها ، واتخذها قاعدة لشن الغارات على لاهور ، وبعد عدة سنوات استطاع سلطان الغور الاستيلاء على لاهور ، وبسقوط لاهور فى أيدي الغور ، اكتملت سيطرتهم على اقليم البنجاب بأكمله (٣) .

لما أتم السلطان الغورى ضم بلاد السند والبنجاب الى حوزته عهد الى أخيه شهاب الدين بحكم هذه البلاد نيابة عنه فاتخذ من لاهور مركزا له ، وعمل شهاب الدين منذ أن ولى امر هذه البلاد على تثبيت أقدام

K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 35-36. (١)

I B D. P. 36. (٢)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 118. (٣)

الغور فيها وتوسيع ممتلكاتهم في الهند (١) .

فطن الامراء الراجبوتيون الى خطر الغور وخشوا من ازدياد نفوذهم وراوا في ذلك خطرا يهدد سلطانهم فتحالفوا فيما بينهم ونسوا خلافاتهم وعقدوا العزم على طرد الغور من بلاد الهند قبل أن يهاجموا ديارهم ويهتزعوا بلادهم أو بعبارة أخرى يتغذوا بالغور قبل أن يتعشوا بهم .
وفي سنة ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م حشد الامراء الراجبوتيون امراء شمال الهند اصحاب دلهي وآجمير وقنوج وبهار والبنغال والكجرات وبندلخاند ، حشدوا قواتهم عند سرهند على حدود البنجاب الشرقية (٢) واستنفروا الهنادكة بالانضمام اليهم فأقبلوا عليهم من كل حذب وصوب على الصعب والدلول ، فلما علم شهاب الدين بنوايا الامراء الراجبوتيين نحوه وتجمعهم لملاقاته سار اليهم على رأس جيش كبير ودارت معركة عنيفة بين الفريقين انتصر فيها الهنادكة على الغور وقتلوا وأسروا من المسلمين كثيرين وأصيب شهاب الدين بجراح شديدة ، وكاد أن يلقى مصرعه لولا أن بعض جنده حمله الى خارج ميدان القتال ، ودارت المعركة عند (تارين) على مقربة من (ثيسر) (٣) .

على أن غياث الدين سلطان الغور لم يتغاض عن هزيمة جنده في الهند ، بل رأى ضرورة محاربة أعدائه واخضاعهم ، واعادة نفوذ الغور في الهند الى ما كان عليه من القوة والغلبة ، فأعد جيشا مكونا من مائة وعشرين ألف مقاتل من الافغان والترك والخلج والفرس ، سار على رأسه شهاب الدين في العام التالي ، والتقى بأعدائه في نفس الموضع الذي نشبت فيه معركة العام السابق ، وعلى الرغم من التفوق العددي للهنادكة واستخدامهم الفيلة في الحرب الا أن قوات الغور أحرزوا انتصارا رائعا على الهنادكة وقتلوا الوفا منهم من بينهم بعض الامراء وخر أمير آجسيمر صريعا ، وغنم الغور مغانم كثيرة (٤) .

وكان لهذه الواقعة آثار بعيدة المدى في شمال بلاد الهند ، فقد تقلص نفوذ وسلطان الامراء الراجبوتيين في هذه الجهات ، كما امتد

-
- K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 36. (١)
Lane Poole : Medieval India. p. 51. (٢)
Munshi : The struggle for Empire. p. 118. (٣)
Lane Poole : Medieval India. p. 53. (٤)

سلطان الغور الى بلاد سروستى وسمنه وكهرام وهنسي و آجمير (١) ،
وحطم شهاب الدين الاصنام فى هذه البلاد التى امتلكها ، وشيد مساجد
يذكر فيها اسم الله ، وحطم معابد الشرك (٢) . كذلك أصبح الطريق
مفتوحا امام الغور للزحف الى دلهى « وهى كرسي الممالك التى فتحها
الغور فى بلاد الهند » وفعلاً تمكن الغور من ضم دلهى الى حوزتهم (٣) .
وبذلك اتسعت دولتهم فى الهند حتى اقتربت من حدود الصين شرقا .
ويذكر المؤرخون أن هذه المعركة تعتبر معركة فاصلة فى تاريخ الهند ،
لأنها أرست أسس الحكم الإسلامى فى هذه البلاد (٤) .

عهد شهاب الدين الغورى الى مملوكة قطب الدين أيبك بحكم البلاد
الهندية الداخلة فى دائرة نفوذ الغور نيابة عنه ، وعاد الى غزنة ، وجدير
بالذكر أن أيبك عرف عنه الحنكة السياسية والكفاءة الحربية . وجعل
من دلهى قاعدة لحكمه فى بلاد الهند بدلا من لاهور التى تبعد عن البلاد
الهندية التى يمتلكها الغور (٥) .

على أن الامراء الهنادكة لم يلبثوا أن أعدوا عدتهم وتاهبوا لطردهم
الغور من بلادهم بعد أن عظم أمرهم فى بلاد الهند ، وواتهم الفرصة حين
نمى الى علمهم عودة شهاب الدين الى غزنة فاتحدوا بقيادة راجا قنوج
جايا جندرا ، ومملكته تمتد من وراء دلهى حتى حدود بنارس ، وفى
غضون ذلك وصل شهاب الدين الى بلاد الهند ، وانضم اليه قطب الدين ،
وسار جيش الغور الى الامراء المتحالفين ، واشتبك الفريقان فى معركة
فى شاندوار ، انتصر فيها المسلمون على أعدائهم انتصارا رائعا ، وزحف
الغور الى بنارس واستولوا عليها ، وقتل أمير قنوج فى ٥٩٠هـ/١١٩٤م
ومن أبرز نتائج هذه المعركة ازدياد نفوذ وهيبة الغور فى بلاد الهند وفشل
الامراء الراجيوتيين فى شمال الهند فى استرداد بلادهم التى انتزعها منهم

-
- Munshi : The Struggle for Empire. p. 118. (١)
K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 38. (٢)
Munshi : The Struggle for Empire. p. 119. (٣)
Lane Poole : Medieval India. p. 54. (٤)
Munshi : The Struggle for Empire. p. 119. (٥)

المسلمون لذلك لجأوا الى صحراء الراجيو تانا التي حملت اسمهم (١)
(الثار) .

لم يأل قطب الدين ايبك جهدا فى سبيل توسيع رقعة دولة الغور فى الهند ، بل عمل على ضم المزيد من بلاد الهند الى حوزة الغور ، ففي ٥٩٣هـ / ١١٩٦م استولى ايبك على جاوار Gawalior كما استولى على نهرواله . وفى سنة ٥٩٩هـ / ١٢٠٢م ضم كالنجار الى حوزته ، ولم تستطع قلعتها الصمود امام ضربات المسلمين القوية فاستسلمت حاميتها ، يضاف الى ذلك استيلاء الغور على بعض البلاد فى شمال الهند ، وبذلك سيطر الغور على اراضي شمال الهند كلها (٢) .

وبينما يعمل قطب الدين ايبك على تثبيت اقدام المسلمين فى بلاد الهند خرج قائده محمد بن بختيار الخلجى فى قلة من الجند يواصل سياسة حكومته الرامية الى توسيع امبراطورية الغور فى الهند ، فاستولى على يندنتبورى عاصمة اقليم بهار ويحكمها ملوك أسرة بالا Pala ولم يلبث ان استولى على مملكة بالا بأسرها . وكانت الديانة البوذية عقيدة السواد الأعظم من سكانها . فحطم معابدهم وأصنامهم . ونشر الاسلام بينهم (٣) وانضمت هذه البلاد الى امبراطورية الغور (٤) .

وأذن قطب الدين ايبك - نائب سلطان الغور فى الهند - الى الخلجى بمواصلة الفتح والتوسع ، فاتجه محمد بختيار الخلجى الى نادية عاصمة البنغال وعلى الرغم من قلة عدد قواته فقد اقتحم نادية ، ويحكمها لكشمن سنا من أسرة سنا سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٧م وفر الملك الشيخ من عاصمة دولته بعد ان علم بدخول الغزاة المسلمين لها - فاستولى عليها بختيار وضمها الى مملكة الغور ، واقام فيها الخطبة لسلطان الغور وقد يسر سقوط نادية فى أيدي الغور امر استيلائهم على اقليم البنغال

-
- Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 229. (١)
A short Hist. of Hind — Pakistan. pp. 124-125.
Morel : A Short History of India. p. 152. (٢)
Lane Poole : Medieval India. p. 54. (٣)
Prasad : Medieval India. pp. 118-120. (٤)
Majumdar : An Advanced Hist. of India. 279. (٥)

بأكمله (١) .

لم يكتف بختيار الخلجي بما أحرزه من انتصارات بل تطلع الى السير الى التبت والاستيلاء عليه ففي سنة ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦ م اتجه من ديفكوت Devkot الى دناجبور Dinajpur في عشرة آلاف أفارس . لكن حملته فشلت فشلا ذريعا وفي عودته الى ديفكوت فقد معظم جيشه . ولم يلبث هو كذلك ان توفي (٢) . وقد حرص قطب الدين أيبك على المحافظة على ممتلكات الغور الهندية فقضى على محاولات بعض أمراء الهند في الاستقلال عن مملكة الغور ، ففي سنة ٥٩٨ هـ شق أهل نهرواله عصا الطاعة على الغور ، فقاتلهم أيبك وهزمهم شر هزيمة ، وشنت شملهم واسترد نهرواله وعفا عن حاكمها . وأبقاه في بلدته بعد ان دفع مبلغا كبيرا من المال وتعهد بعدم العودة الى العصيان (٣) .

بدأت متاعب الغور في بلاد الهند في مستهل القرن السابع الهجري ذلك أن بعض الولايات الهندية خرجت على حكومة الغور منزهة فرصة انشغال الغور ، في الحروب في إيران ، ومن أبرز الانتفاضات التي انهكت الغور ثورة الكهكوية وبلادهم قليلة المياه صعبة المسالك وتقع على قمم الجبال ، وامتنعوا عن دفع الخراج الى حكومة الغور وقطعوا الطريق بين غزرة ولاهور . ولم يستطع والى الملتان التصدي لهم ولما زاد خطر الكهكوية أرسل شهاب الدين الى قطب الدين أيبك يأمره بالضرب على أيدي الكهكوية ، واعادتهم الى الولاة والطاعة ، وأرسل أيبك اليهم يدعوهم الى الطاعة ، وترك التمرد والعصيان ، لكن الكهكوية لم يدعنوا لنداء نائب السلطان وبقوا على عصيانهم ، وطرردوا عمال الغور من بلادهم ، وأقبلت الهنود عليهم تؤيدهم في موقفهم العدائي من الغور فقوى أمرهم (٤) .

K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 40. (١)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 119. (٢)

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث ، سنة ٥٩٧ هـ .
A short Hist. of Hind — Pakistan. 128.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .
Majumdar : An advanced hist. of India. P. 280.

لما رأى شهاب الدين عدم استطاعة عماله فى الهند اخضاع الكهكرية واعوانهم سار بنفسه الى بلاد الهند لاعادة الأمن والهدوء اليها واشتبكت قوات الغور مع الكهكرية فى قتال عنيف ، هزم الغور ، أعداءهم ، وقتلوا كثيرا منهم (١) ، وفر من نجا الى أجمة هناك وأشعلوا نارا والقوا بأنفسهم فيها قبل أن تأخذهم سيوف المسلمين ، وغنم المسلمون منهم ما لا يسمع بمثله ، وبذلك عادت الى الغور هيبتهم فى بلاد الهند وأمنت امبراطوريتهم فى الهند من حركات التمرد (٢) ، بل وقد على شهاب الدين بعض رؤساء القبائل الذين انضموا الى الكهكرية يعلنون ولاءهم وعودتهم الى الطاعة (٣) .

ويجدر بنا أن نناقش أسباب تفوق الغور المسلمين على الهنود ، فمن بين هذه الاسباب دقة المسلمين ومهارتهم فى ادارة العمليات الحربية ، يضاف الى ذلك أن بلاد الهند كانت تنقصها وحدة سياسية تجمع بينها وتقوى من أمرها اذ كانت الهند دولا مستقلة يحكمها أشخاص لا يرتبطون مع بعضهم البعض برباط يمكن أن يؤدي دوره فى الدفاع عن الوطن فى حالة تعرضه للغزو .

حقيقة أن الامراء الراجبوتيين كانوا محاربين أكفاء ، لكنهم لم يخضعوا لامير يوحد شملهم فى مواجهة العدو المشترك ، ولما واجهوا الغور ، لم يستطيعوا الصمود كثيرا أمام هجماتهم نظرا لان الترك كانوا فى مستوى أعلى منهم فى التدريب والتنظيم والتطور الحربى ، والهنادكة لم يكن عندهم الاستعداد الكافى لمسايرة أحدث التطورات فى التنظيمات العسكرية والاساليب الحربية ، وأخيرا فان الدين الاسلامى قد أعطى للغور حماسا وقوة للجهاد فى سبيل الله ، ولقد وحد بين المسلمين وجمع شملهم روح الاخوة والمساواة التى بثها الاسلام فى قلوب ابنائه أما الهنادكة فالنظام الطبقي السائد بينهم والذى بمقتضاه انقسم الناس الى منبوذين وأشرف عرقل وقوفهم صفا واحدا فى وجه غزاتهم (٤) .

والخلاصة أن سلاطين الغور ، نجحوا فى اقامة دولة اسلامية فى شمال الهند ومهدت سياستهم فى هذه البلاد الى قيام امبراطورية اسلامية فيها لها تقاليد ومقوماتها ذلك أنهم أسندوا ادارة دولتهم فى

-
- (١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .
Munshi : The Struggle for Empire. p. 124. (٢)
Lane Poole : Medieval India. p. 55. (٣)
K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. pp. 40-42. (٤)

الهند الى رجال اكفاء احسنوا توجيههم ، فعملوا على تثبيت الحكم الاسلامى فى هذه البلاد ، ولقد حرص خلفاء شهاب الدين - من مماليك الترك - على اتباع التقاليد التى وضعها سيدهم فى حكم الهند لذلك يمكن القول بأن شهاب الدين الغورى ليس غازيا للهند فقط بل يعتبر بحق واضع اساس امبراطورية المسلمين فى الهند (١) .

ضعف مملكة الغور وانهارها

سار السلطان غياث الدين محمد فى دولته سيرة حسنة فقد شيد بها المساجد والمدارس ، وكان ينسخ المصاحف بخطه ، ويودعها فى مكتبات المدارس التى أسسها ، وخفف عن الناس عبء الضرائب ، ولم يتعرض لمال أحد بسوء ، واذا مات رجل فى غير بلده ، سلم ماله الى أحد التجار من اهل بلده ، فان لم يجد أحدا يسلمه الى القاضي ، ويختم عليه الى أن يصل اليه من يأخذه من ورثته . وكان يخلع على الفقهاء والأدباء والشعراء ، وينفق على الفقراء ، يضاف الى ذلك حرصه على وحدة العقيدة ، اذ كان يكره التعصب لمذهب معين ، ويقول : التعصب فى المذاهب من الملك قبيح (٢) .

كذلك كان شهاب الدين محمد عادلا حسن السيرة فى رعيته وبلغ من اهتمامه بسير العدالة أن القاضي بغزنه يحضر داره فى بعض ايام الاسبوع ، ويحضر معه امير حاجب وامير دار وصاحب بيت المال ، فيحكم القاضي ، وموظفو السلطان ينفذون أحكامه على الصغير والكبير والشريف والوضيع ، وان طلب أحد الخصوم الحضور عنده أحضره ، واستمع الى أقواله وأمضى عليه أو له حكم الشرع . لذا سارت الامور فى مملكة الغور على احسن نظام ، بعد ان ساد العدل البلاد (٣) .

على أن دولة الغور اضطربت اضطرابا شديدا بعد وفاة السلطان شهاب الدين محمد ، فقد تنافس الامراء والقواد حول عرش السلطنة ، وحدثت حروب أنهكت قوى الدولة الغورية حتى زالت فى النهاية .

فلما توفى شهاب الدين تنافس حول السلطنة ، غياث الدين محمود نجل

(١) K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 42.

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٥٥٩ هـ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

السلطان غياث الدين محمد ، يساعده تاج الدين يلدز - من اقوى قواد الغور - وابنا بهاء الدين الغورى - صاحب باميان - علاء الدين وجلال الدين ، ودخل الاخوان غزته فعلا (١) وانتزعا قلعتها ، وفرقا الاموال فى الجند والاعيان ، فدانت لهما غزته بالولاء والطاعة منتهزين فرصة تغييب غياث الدين محمود فى خراسان ، على ان غزته لم تصف لعلاء الدين وجلال الدين ، ذلك ان تاج الدين يلدز ما لبث ان دخلها ونهب جنده المدينة ، واستولى يلدز على القلعة ، واخرج الاميرين الغوريين منها ومن غزته كذلك ، وكان يلدز قد عظم امره بعد ان استولى على كل ما فى معسكر سيده شهاب الدين من مال وسلاح وجند .

على ان يلدز لم يكن يعمل باسم غياث الدين محمود كما كان يدعى ، بل كان يعمد على انتزاع الحكم لنفسه ، فلما استوثق له امر غزته ، لم يأمر الخطيب بالخطبة لغياث الدين محمود وانما يخطب للخليفة ، ويترحم على شهاب الدين ، وفرق الاموال فى الناس ، فطابت نفوسهم (٢) .

اما غياث الدين محمود بن غياث الدين محمد فقد تربع على عرش الملك ، وخطب لنفسه بالسلطنة ، وتلقب بألقاب ابيه غياث الدين محمد فى فيروزكوه ، وفرح اهل البلد به ، ونكل بأعدائه ومعارضيه ، وسلك طريق ابيه فى الاحسان والعدل ، الا انه لم يستطع استرداد بلاد خراسان التى انتزعها الخوارزميون من مملكته (٣) .

على ان امر يلدز قد ساء ، ذلك ان قطب الدين ايبك - نائب سلطان الغور فى الهند - ارسل الى يلدز يهدده بالحرب ، ان لم يعد الى طاعة غياث الدين محمود ، ويقيم له الخطبة ، كما ان احد قواد يلدز ، واسمه ايدكر التتر ساءه موقف يلدز ، فخرج على صاحبه ، واستولى على غزته واموالها ، واقام الخطبة فيها لغياث الدين محمود وارسل غياث الدين محمود اليه يلقيه « ملك الامراء » ورد عليه المال الذى كان اخذه من الخزانة ، وقال له : اما مال الخزانة فقد اعدناه اليك لتخرجه واما اموال التجار واهل البلد ، فقد ارسلته مع رسول ليعبده الى اربابه حتى لا يحدث ظلم فى دولتنا ، وقد عوضتك عنه ضعفه . وارسل اموال اهل

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٢ هـ .

(٣) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٨٧٦ .

غزته الى قاضيها ، وأمره برده الى أصحابه . وسار غياث الدين محمود الى بست ، واستردها من يلدز واحسن الى أهلها ، وأعفاهم من خراج سنة لما نالهم من الضر والأذى على أيدي هذا القائد (١) .

أضعفت هذه الانقسامات من شأن دولة الغور ، حتى أن السلطان خوارزشاه ، انتزع ما تبقى لها في خراسان ، بل طمع في الاستيلاء على البقية الباقية من ممتلكات الغور في أفغانستان ، فأمر - أمير ملك - عامله على هراة - بقصد غياث الدين محمود - صاحب الغور و فيروزكوه فسار أمير ملك - القائد الخوارزمي الى فيروزكوه - عاصمة مملكة الغور - ولما رأى غياث الدين محمود - سلطان الغور - أن لا قبل له بالجند الخوارزمي طلب منه الامان ، فأمنه القائد الخوارزمي ، ونزل سلطان الغور اليه من القلعة ، لكن القائد الخوارزمي نكث بالعهد وقبض على السلطان الغوري وقتله ، وضم بلاد الغور الى الدولة الخوارزمية سنة ٦٠٥ هـ . (٢)

ولم يلبث علاء الدين محمد - السلطان الخوارزمي - أن استولى على كافة أرجاء خراسان ، وانتزع باميان من الاميرين الغوريين علاء الدين وجلال الدين ، واستناب يلدز عنه في حكم غزته ، فأقام الخطبة له فيها، ونقش اسمه على السكة . غير أن خوارزشاه لم يطمئن الى ولاء يلدز وأعوانه ، فسار بنفسه الى غزته سنة ٦١٢ هـ ، وقتل من به من جند الغور ولا سيما الاتراك ، وهرب يلدز الى لاهور حيث اغتاله بعض رجال شهاب الدين الغوري .

وبذلك زالت الدولة الغورية على أيدي الخوارزميين بعد أن انهكت قواها بما شنته من حروب على الخطا والخوارزميين والهنداكة . ويذكر ابن الأثير أن دولتهم كانت من أحسن الدول سيرة ، وأعدلها وأكثرها جهادا .

(١) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٤ هـ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ، حوادث سنة ٦٠٤ هـ .

(٢) نفس المصدر ، حوادث سنة ٦١٢ هـ .

الباب الثاني

الحياة السياسية

في سلطنة دهلي الاسلامية

منذ قيامها حتى الغزو التيموري

- ١ - سلطنة دهلي الاسلامية في عهد الملوك الماليك .
- ٢ - السياسة الداخلية لسلطنة دهلي الاسلامية في العهد الخلجي .
- ٣ - الاحداث الداخلية في سلطنة دهلي الاسلامية في عهد بني تغلق .
- ٤ - ضعف سلطنة دهلي الاسلامية وتدهورها .
- ٥ - الامارات المستقلة في الهند عن دهلي .

١ - سلطنة دهلي الإسلامية في عهد الملوك الماليك

شهد العالم الإسلامي في تاريخه حكاما من الترك كانوا أرقاء عند سادتهم السلاطين واشتغلوا بالجنديّة ، وتدرجوا في سلكها حتى بلغوا مناصب رئيسية ، وقد يحدث في حالة وفاة السلطان وتركه ذرية ضعافا ، أو عدم وجود وارث يخلفه أن يقوم هذا التركي - الذي كان عبدا للسلطان المتوفى - بانتزاع السلطنة لنفسه ، فسبكتكين كان مملوكا لألبكتكين ، ولما توفي سيده دون أن يترك من يرثه مكن سبكتكين لنفسه ، وانفرد بحكم دولة سيده ، ووضع أساس امبراطورية الغزنويين في جنوب غرب آسيا ، وظل أعقابهم يتوارثون حكم الدولة الغزنوية حوالي قرنين من الزمان ، وعماد الدين زنكي أقام دولة في الموصل على أنقاض دولة سادته السلاجقة ، وقد كان أتابكا لهم (١) والماليك في مصر أقاموا دولتهم بعد أن ضعف سادتهم سلاطين بني أيوب . وهذا ما حدث بالنسبة لموضوع بحثنا ، إذ أقام الماليك دولة في الهند بعد أن زالت دولة الغور ، وظلت تحكم أربعاً وثمانين عاماً (١٢٠٦ - ١٢٩٠) ويذكر لين بول (٢) في هذا الصدد أن الجندي الكفاء من أرقاء الترك كان يستطيع أن يصل إلى أعلى الدرجات وأرفعها بما في ذلك منصب السلطنة . أما عامة الناس من الزراعة والصناع والتجار ، فكانت أوضاعهم مجمدة لا تتغير ولا تتبدل ، ويتعاقب عليهم الحكام من مختلف الأجناس ، ويقفون منهم موقف المتفرج ، وما عليهم إلا الطاعة والولاء للحاكم سواء كان إيرانيا أو هنديا راجبوتيا (٣) . أو تركيا أو أفغانيا أو مغوليا ، ويسيرون حيث تسير بهم الحياة ، كيفما أراد حكامهم الذين يهبونهم الحياة ، أو ينتزعون حقوقهم فيها .

وسلاطين امبراطورية الماليك في الهند كانوا أرقاء من أجناس

(١) عصام الدين عبد الرؤوف : دولة أتابكة الموصل والجزيرة ، ص ١٦١ .

Medieval India. p. 61.

(٢)

(٣) ينتمي الأمراء الراجبوتيون إلى جحافل الآريين الذين هاجروا إلى الهند قبل قبائل

الهنون البيض ، وقد لعبوا دورا كبيرا في تطور الحياة السياسية في بلاد الهند ، واشتهروا بالبطولة والفروسية ، لذلك نسبت الأساطير الهندية نساتهم إلى تزواج الشمس بالقر . وظل الأمراء الراجبوتيون يسيطرون على شمال الهند حتى أضعفهم الغور . فلبأوا إلى صحراء الثار ، وعاشوا فيها ، وعرفت بعد ذلك باسمهم .

(Prasad : Medieval India pp. 30-31).

مختلفة ، وصلوا الى ما وصلوا اليه بفضل ما اتصفوا به من شجاعة
وبسالة وكفاءة ، وكان شأنهم شأن ممالك مصر يحرسون على تخليد
أسمائهم باقامة المنشآت الكبيرة مثل المساجد الفخمة والعمائر الرائعة .

وقطب الدين أيبك - أول سلاطين المماليك في الهند - كان مملوكا
عند سيده شهاب الدين - سلطان دولة الغور الافغانية - (٥٩٩ هـ -
٦٠٢ هـ) وهو تركستاني الاصل ، اشتراه قاض نيسابور ، وأدبه وأحسن
تأديبه ، وعلمه علوم الدين وأساليب الفروسية ، ولما توفى هذا القاض ،
حمله أحد تجار الرقيق الى غزته حيث اشتراه شهاب الدين الغوري ،
ولس فيه الشجاعة والذكاء وحسن الخلق ، وعهد اليه بالعمل في الجيش
كجندي ، وتجلت شجاعته وبراعته الحربية في معركة تارين سنة ٥٨٨ هـ
/ ١١٩٥ م وهي المعركة التي كانت بين سلطان الغور من ناحية ، والامراء
الراجيوتيين من ناحية أخرى - وكافأ شهاب الدين مملوكه بأن جعله نائبا
له على ممتلكات الغور في الهند ، فأقام في دلهي وجعلها قاعدة لحكمه في بلاد
الهند بدلا من لاهور (١) .

لم يأل قطب الدين أيبك جهدا في سبيل المحافظة على دولة الغور في بلاد
الهند بل عمل على ضم المزيد من أراضي الهند الى دولة الغور ، ففي سنة
٥٩٣ هـ / ٢٠٠ استولى ايبك على كواليار ونهرو اله ، وضم كالنجار الى
حوزته (٢) ، وكذلك امتلك بلاد البنغال وأوقف كل محاولة بذلها الهنادكة
لتحرير بلادهم من قبضة الغور (٣) .

وبقى أيبك على ولائه لدولة الغور حتى في أشد حالات ضعفها ، فلما
ولى غياث الدين محمود سلطنة الغور سنة ٦٠٢ هـ / ٢٠٦ م لم يكن هناك
اجماع على توليته ، فخرج عليه بعض ممالكه ، وعملوا على الاستئثار بالسلطة
والنفوذ دونه ، ومن بين هؤلاء المماليك تاج الدين يلدز الذي سيطر على
غزته ، وأقام الخطبة فيها لنفسه ، وخلع طاعة سلطان الغور (٤) ، بينما
بقى قطب الدين أيبك يدير الممتلكات الاسلامية في الهند باسم سلطان الغور
ويقوم الخطبة باسم غياث الدين محمود ، وضبط الامور في الهند وضرب
بيد من حديد على المفسدين ، وعارض بشدة الحركات المناهضة للحكم

-
- Majumdar. An Advanced Hist. of India. p. 273. (١)
Morel : A Short Hist. of India. p. 152. (٢)
Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 273. (٣)
Lane Poole : Medieval India. p. 54. (٤)

الغوري (١) ، فأرسل الى يلدز يقبح فعله ، ويأمره باقامة الخطبة للسلطان الغوري ، وهدده بالمسير اليه ومحاربتة ، ان لم يعد الى الولاء والطاعة ، ولما لم يستجب تاج الدين يلدز ، قام ايبك بالعمل على ضم غزته الى مملكة الغور ، وطرد يلدز منها (٢) .

على ان يلدز لم يركن الى الهزيمة بل انتهز فرصة سقوط الدولة الغورية على ايدي الخوارزميين ، وسيطر على غزته وحكمها باسم علاء الدين محمد خوارزمشاه لكنه لم يلبث ان غادر غزته خوفا من ان يبطش به السلطان الخوارزمي الذي شك في اخلاصه (٣) ، وتوجه الى البنجاب ، وانتزعها من نائب قطب الدين ايبك ، فسار ايبك اليه ، ومازال يطارده حتى غادر الهند . وبذلك انفرد ايبك بحكم الاقليم الاسلامي في الهند ، واعلن نفسه سلطانا في لاهور ، واقامت الخطبة له في بلاد الهند الاسلامية ، ونقش اسمه على السكة ، واتخذ من دهلي قاعدة لدولته .

على ان قطب الدين ايبك لم يلبث ان عفا عن تاج الدين يلدز كما احسن الى غيره من مماليك شهاب الدين مثل التمش وقباجة وارتبط بهم بعلاقات مصاهرة ، فزوج أخته الى قباجة ، وابنته الى التمش ، وتزوج من أخت تاج الدين يلدز ، وكفل بسياسته هذه ضمان تأييد هؤلاء القادة لحكمه ، وعدم التصدي له (٤) .

ويعتبر قطب الدين ايبك اول سلطان مسلم استقل بحكم دولة المسلمين في الهند (٥) وتمكن هذا السلطان بفضل قوته وشجاعته وكفاءته الادارية من بسط سيطرته على شمال الهند مدى العشرين عاما التي حكمها (٦) ، وضبط الامور في دولته ، وسائس الهنادكة احسن سياسة ، وضرب بيد من حديد على ايدي اللصوص وقطاع الطرق ، وانفق بسخاء على الفقراء والمساكين ، وحكم الناس بالعدل ، وعم السلام ربوع دولته حتى قيل ان الذئب والحمل كانا يشربان من نبع واحد في عهده ، وساوى في

Morel : A Short Hist. of India. p. 152. (١)

(٢) ابن الأثير الكامل ، حوادث سنة ٦٠٣ هـ .

Lane Poole : Medieval India. p. 68. (٣)

Munshi : The Struggle for Empire. 131. (٤)

Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274. (٥)

A Short Hist. of Hind - Pakistan. Prepared (٦)

By Pakistan History Boards.

المعاملة بين الهنادكة عظيمهم وحقيرهم ، وهذا أمر لم يتعودوه قبلا (١) .

وعنى قطب الدين بالعمارة ، ومن أبرز ما خلف مسجده المشهور الذى بدأ تشييده سنة ١١٩١ م ، وأكمله التمش سنة ١٢٣٠ م (٢) ولا تزال منارة هذا المسجد باقية الى يومنا هذا ، وتسمى منارة قطب الدين ، ويبلغ ارتفاعها ٢٥٠ قدما (٣) ، وعلى واجهة أحد أبواب المسجد كتب باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر « بسم الله الرحمن الرحيم والله يدعو الى دار السلام . . » ثم كتب تحت ذلك « جرت هذه العمارة بأمر . . . » وبجانب المسجد أسس منزلة كبيرة . أما المنارة فكانت مكونة من سبع طبقات ، لكن الموجود منها الآن خمسة فقط ، أسس أيك الطبقة الأولى ، وأقام التمش الطبقتين الثانية والثالثة ، واتم خلفاؤه الباقي ، وفي كل طابق نقش على جدرانه آيات قرآنية ، وبعض المراسم السلطانية .

توفى قطب الدين أيك سنة ١٢١٠ م ، وخلفه في الحكم ابنه آرام شاه وكان شابا صغيرا لا يستطيع القيام بعبء الملك (٤) ، لذا عجز عن ادارة شؤون الدولة ، فاستدعى رجال الدولة التمش (٥) - وكان يلى حكم أحد الاقاليم الهندية ، وذكرنا سابقا انه كان من مماليك شهاب الدين الغورى ، وزوجا لابنه قطب الدين أيك - وطلبوا منه ان يلى السلطنة (٦) ، فقدم الى دهلى ، وطرد آرام شاه منها ، وتربع على عرش السلطنة سنة ١٢١١ م (٧) .

يعتبر شمس الدين التمش المؤسس الحقيقى لدولة المماليك في الهند، وأصله مملوك ابتاعه قطب الدين أيك من غزته وحمله معه الى الهند، ولمس فيه نبل الاخلاق والفضيلة والذكاء والشجاعة ، فجعله رئيسا لحرسه ، ثم أسند اليه حكم بعض ولايات الهند ، وكما كان ايك لشهاب الدين الغورى ، فقد كان التمش لأيك (٨) .

-
- Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274. (١)
Lane Poole : Medieval India. p. 68. (٢)
K. Adi : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 48. (٣)
K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 48. (٤)
Munshi : The Struggle for Empire. p. 181. (٥)
Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 274. (٦)
A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 133. (٧)
Lane Poole : Medieval India. p. 70. (٨)

بعد ان ولى شمس الدين التمش سلطنة دهلي ، تعرض لمشاكل داخلية تستهدف التخلص منه (١) ، ذلك ان بعض كبار رجال الدولة طمع في الوصول الى الحكم منتهزين فرصة الفوضى التي اعقبت وفاة ايبك ، فاستولى قباجة على الملتان والسند ، وتنازع مع تاج الدين يلدز حول السيادة على لاهور كما ان خلفاء بخنيار الخلجي سيطروا على بهار والبنغال (٢) . يضاف الى ذلك ان قواد قطب الدين ايبك لم يرضوا عن تولية التمش السلطنة ، وانتهاز الامراء الهنادكة فرصة هذه الاضطرابات والقلقل ، وانشغال السلطان في قمعها وتحركوا لنيل استقلالهم (٣) .

لم يقف شمس الدين التمش مكتوف اليدين ازاء موقف قواد قطب الدين ايبك الترك المناهض له ولحكمه ، والذين لم يرضوا ان ينصب عليهم سلطان هو في الواقع مملوك لمملوك (٤) . بل عول على اخضاعهم ، واشتبك معهم في معركة بالقرب من دهلي هزمهم فيها شر هزيمة ، واجبرهم على الدخول في طاعته (٥) وكان من اقوى الرجال الذين تصدوا لحكم التمش ، تاج الدين يلدز الذي سيطر على غزته بعد انهيار دولة الغور وبسط نفوذه على البلاد المجاورة لغزته حتى اقترب من خوارزم وشن حملات ناجحة على اطراف الهند . ، وعلى الرغم من انه اقام الخطبة للسلطان الخوارزمي في غزته ، الا ان هذا السلطان لم يطمئن الى ولاء يلدز له ، وسار الى غزته سنة ٦١٣ هـ / ١٢١٧ م لانتزاعها من يلدز ، وطرد الاثراك منها (٦) ، فولى يلدز الاديبار الى بلاد الهند ، والتقى بناصر الدين قباجة - والى لاهور والملتان وديبل ، وغيرها من قبل التمش - في معركة عنيفة هزم فيها قباجة ، واستولى على لاهور ، ثم زحف الى مدينة دهلي لانتزاعها من التمش فتصدى له السلطان الهندي في معركة عنيفة على الطريق الى دهلي ، وهزمه وقتله في تارين سنة ١٢١٦ م . (٧)

لم يكد يستقر الامر لالتمش حتى تعرض لخطر جديد من قبل المغول الذين دأبوا يشنون حملاتهم العنيفة على الدولة الخوارزمية ، واستولوا

-
- K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 49. (١)
A Short Hist. of Hind-Pakistan. p.134. (٢)
K. Ali : A New Hist of Indo-Pakistan. p. 49. (٣)
(٤) السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ١ ، ص ١٢٤ .
Majumdar : An Advanced Hist. of India p. 275. . (٥)
A Short Hist. of India. p. 134. (٦)
K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan pp. 49-50. (٧)

على أقاليمها ، وألحقوا ببلدانها الخراب والدمار . ولما توفي السلطان الخوارزمي علاء الدين محمد خلفه ابنه جلال الدين منكبرتي ، وعول على استرداد ملك آباءه وأجداده من يرثن المغول المعتدين ، فصار الى خوارزم ، لكنه علم ان المغول قد استولوا عليها (١) . لذلك اتجه الى خراسان ، وتنقل بين بعض مدنها . ولم يلبث ان غادرها حتى لا يصطدم بالقوات المغولية المرابطة في خراسان في وقت لم يكن هو فيه على أهبة الاستعداد لمهاجمة عدوه ، فولى وجهه شطر غزته - وكان يحكمها من قبل أبيه قبل أن يحتلها المغول - ورحب أهل غزته بمقدمه ورأوا فيه خير منقذ لهم من ويلات المغول وغيرهم ، والتفوا حوله ولما سمع الجند الخوارزمي المبعثر بين كابل وبشاور وغيرها من المدن الواقعة على حدود الهند بمقدمه ، سارعوا اليه ودخلوا تحت لوائه ، وبذلك كثر جمعه ، وأصبح جيشه يضم ستين ألفا من المشاة ، وسبعين ألفا من الخيالة (٢) ، وواتته الفرصة للعمل على تحقيق هدفه الرامي الى استعادة دولة أبيه التي انتزعها المغول (٣) ، فسار على رأس جيشه الى السهول المحيطة ببروان Parwan في الشمال الشرقي من غزته ، واشتبك مع المغول في قتال استمر ثلاثة أيام ، احرز فيه على اعدائه انتصارا رائعا وقتل المسلمون من المغول كثيرين وشجع انتصار جلال الدين ، البلاد الاسلامية على الوقوف في وجه المغول ، فثار اهل هراه على والي المغول وقتلوه ، واصلوا ولاءهم لجلال الدين منكبرتي (٤) .

لما علم جنكيزخان بانتصارات السلطان الخوارزمي على جنده ، وانضمام البلدان الاسلامية اليه ، أعد جيشا كبيرا للقضاء على جلال الدين منكبرتي وجنده ، وسار على رأس جيشه الى كابل (٥) . والتقى جند المغول بالجيش الخوارزمي في معركة ضاربة ، دارت فيها الدائرة على المغول للمرة الثانية ، وغنم المسلمون مامعهم ، وفكوا أسر الاسرى المسلمين ، لكن الامور ما لبثت ان تحولت الى صالح المغول رغم هزيمتهم ، ذلك ان خلافا حدث بين بعض قادة جلال الدين منكبرتي ، فارق على اثره القائد التركي بفراق جيش السلطان الخوارزمي واتجه الى الهند ، وتبعه من الجند ثلاثون ألفا كل يريدونه ، وحاول منكبرتي ان يثنيه عن عزمه ، وألح عليه ، بل بكى بين يديه ، وخوفه من الله اذا تقاعس عن الجهاد في سبيله ، لكن هذه المحاولة

(١) براون : تاريخ الأدب الفارسي ، ج ٢ ، ص ٥٧٠ .

(٢) ابن الوردي : تمة المختصر ، ج ٢ ، ص ١٤٥ .

(٣) Cambridge History of Iran, Nol. 5. p. 318.

(٤) Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India p. 276.

(٥) A Short iHst. of Hind-Pakistan. p. 135.

لم تجد مع القائد التركي فتيلًا ، فقد أصر على الانسحاب الأمر الذي أضعف الجيش الخوارزمي ، وأصبح عاجزًا عن الوقوف في وجه المغول (١) .

كل ذلك حدث بينما جنكيزخان يتجه بجحافل إلى الناحية التي يعسكر فيها جلال الدين وجنده ، لذلك لم ير السلطان الخوارزمي بدا من الانسحاب والمسير إلى الهند ، ولما بلغ السند ، لم يجد من السفن ما يكفي لعبوره هو وقواته . وفي غضون ذلك أدركه جيش المغول ، ودار قتال عنيف بين الفريقين أبلى فيه المسلمون بلاءً حسناً فلما رأى المسلمون عدم استطاعتهم قتال المغول لقلّة عددهم ، ونقصان عتادهم ، دبّروا أمر العبور إلى الهند ، بينما عاد المغول إلى غزّة وامتلكوها ، وأبدى جلال الدين من ضروب الشجاعة والبسالة ما لا مزيد عليه في العبور (٢) حتى أنه بلغ الشاطئ الشرقي سالماً ومعه أربعة آلاف جندي كانوا حفاة عراة (٣) .

على أن جلال الدين منكبرتي لم يجد استجابة وقبولاً من دولة المماليك في الهند فقد توجه إلى التمش ورجال دولته خيفة من الخوارزميين . لذلك اصطدم جلال الدين بجند التمش في السنوات الثلاث التي قضاها في الهند، وبدأ هذا الصدام مع قباجة - حاكم السند الذي حاول منعه من الإقامة في السند خوفاً من أن يتعقبه المغول ، ويطيحون به وبولايته (٤) ، لكن جلال الدين أوقع به الهزيمة ، وأحبط محاولته ، ولما علم جلال الدين أن المغول يعتزمون القدوم إلى الهند لدحره والقضاء عليه سار إلى دلهي ، وأرسل إلى التمش يطلب منه أن يمنحه هو وجنده حق الإقامة في دلهي ، لكن السلطان المملوكي اعتذر إليه بحجة أن حرارة الجو في دلهي لا تناسب الخوارزميين ذلك أن سلطان دلهي خشي أن ينضم الجند الترك في دولته إلى سلطان الخوارزميين ، وطلب منه الانسحاب من دولته ، وحدثت معركة بين الجيش الخوارزمي وجيش التمش بالقرب من دلهي ، وانسحب على أثرها جلال الدين إلى لاهور ، وكثر جمع جلال الدين بما وفد إليه من جند أخيه غياث الدين - حاكم العراق - كذلك انضمت إليه قبائل الكهكرية الناقمين على قباجة - حاكم السند - فازدادت قوته ، وانتزع من والي السند بعض البلدان (٥) .

-
- Munshi : The Struggle for Empire. p. 182. (١)
Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 276. (٢)
Cambridge Hist. of Iran. vol. 5. pp. 322-323. (٣)
(٤) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٥٠ .
Munshi : The Struggle for Empire. p. 182. (٥)

لم يكن جلال الدين يهدف من التجائه الى الهند اتخاذها مستقرا ومقاما ، لكنه كان يهدف الى تجنب الاشتباك مع المغول حتى يستعيد قوته ، ثم يستأنف الحرب ضدهم . وواتته الفرصة لشن الحرب من جديد على المغول ، فقد توفى جنكيزخان ، وعقبت وفاته انسحاب القوات المغولية الرئيسية التي تحتل اقاليم الدولة الخوارزمية الى موطنها الاصلية فعبّر نهر السند (١) سنة ٦٢٢ هـ / ١٢٢٥ م وقصد ايران ، وظلّ يقاتل المغول حتى ضعفت ووهنت قوته وفر من امامهم ، وظلوا يتعقبونه حتى قتل في كردستان سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م (٢) .

لما غادر جلال الدين منكبرتي الهند أمن السلطان التمش على دولته من الخطر الخوارزمي ، وما قد يسفر عنه من هجوم المغول على بلاده ، لكنه لم يكذ يتنفس الصعداء من جراء هذه الازمة حتى واجه امورا داخلية تمس وحدة دولته ومن أبرز هذه الامور خروج غياث الدين الخلجي - والى البنغال من قبله - عليه (٣) وأعلن استقلاله عن دلهي ، واقام الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة ، وتلقب بألقاب الملوك ، وقوى امره حتى امتد نفوذه على جاينكر وكمروبو وترهوت وجور الى الشرق من دلهي (٤) .

عول السلطان التمش على سحق محاولة الخلجي الاستقلالية عن دولته ، وسار على رأس جيش قوى الى البنغال ، ولما رأى الامير الخلجي عدم استطاعته الوقوف في وجه سلطان دلهي أعلن عودته الى الولاة والطاعة له ، وتعهد بدفع الجزية المقررة عليه (٥) ، الا انه لم يكن صادقا في تعهده ، بل كان يزعم انتظار فرصة اخرى تتيح له العودة الى الاستقلال بولايته ، فلما ابتعد السلطان التمش عن البنغال ، عاد واعلن الاستقلال وسار الى بهار واستولى عليها ، غير انه لم يهنأ بهذا الاستقلال طويلا (٦) ، اذ سار اليه ناصر محمد شاه - والى اوده Oudh من قبل ابيه السلطان التمشي وهاجم البنغال ، واوقع الهزيمة بالخلجي وانصاره ، واعاد سيطرة دلهي على اقليم البنغال (٧) .

-
- (١) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج ٥ ، ص ٢٦٠ .
 (٢) Lane Poole : Medieval India. p. 74.
 (٣) K. Ali : A Short Hist. of Indo-Pakistan. pp. 55-57.
 (٤) Munshi : The Struggle for Empire. pp. 183-184.
 (٥) السادات : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
 (٦) Munshi : The Struggle for Empire. p. 134.
 (٧) A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136.

على ان الامور لم تستتب في امبراطورية الهند الاسلامية بعد عودة البنغال الى سيطرة الحكومة المركزية في دلهي ، ذلك ان قائدا آخر انتفض على سلطان دلهي ، وهو ناصر الدين قباچه ، وكان التمش قد طرده من لاهور بعد ان حاول الاستقلال بها عن دلهي ، قبسط سيطرته على بعض بلدان السند ، لكن جلال الدين منكبرتي اشتبك معه ، وانتزع منه اوكا والملتان ، ولما انسحب السلطان الخوارزمي من الهند عاد قباچه وسيطر على هذه البلاد ، وحكمها مستقلا عن سلطان دلهي ، فصار اليه شمس الدين التمش ، بينما اتجه واليه على لاهور لنجدته وهزمه بالقرب من بهكر Bhakkar ، وظل يتعقبه ، حتى سقط في نهر السند وغرق وهو يحاول عبوره فرارا من خصمه (١) .

وبذلك قضى السلطان التمش على خصومه ومنافسيه ، واكتسب حكمه الصفة الشرعية حينما ارسل اليه الخليفة العباسي المستنصر بالله تقليدا بحكم دولة الاسلام في الهند سنة ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م (٢) ، ولقبه « ناصر امير المؤمنين ، حامى الايمان » وقدم السلطان الخليفة في الخطبة والسكة على نفسه ، وبرز كذلك الالقاب التي منحها له الخليفة على العملة الفضية العريضة التي سكها (٣) . ومما لاشك فيه ان اعتراف الخليفة بسلطان دلهي اكسبه محبة وتقديرا واحترام رعاياه المسلمين .

وكان لتأييد الخليفة للسلطان التمش اثر كبير في تقوية دولته فخرج يقضى على ما تبقى من خصومه ، ولم يكن هؤلاء الخصوم قادة من الترك ، بل كانوا بعض راجات الهند الذين انتهزوا فرصة انشغال السلطان بمشاكله الداخلية ، واستطاعوا الاستقلال ببلدانهم (٤) ، فسار اليهم التمش ، واستعاد رانثمار وكذلك استرد ماندوار Mandawor في جبال السواك وفي سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٣١ م هاجم جواليار Guwalior وحاصر قلعتها شهرا حتى سيطر عليها ، ثم سار الى ملاوى واستردها كذلك ، واستولى على بهلسا Bhilsa و آجان Ajjan وعاد الى الاشتباك مع الخلجيين الذين حاولوا من جديد الاستقلال بالبنغال وتقوية نفوذهم فيها خصوصا

K. Ali A New Hisi. of Indo-Pakistan. p. 57. (١)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 134. (٢)

Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 276. (٣)

A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 135. (٤)

بعد وفاة ناصر الدين محمد شاه - والى البنغال من قبل ابيه سلطان
دهلي - (١) .

توفى التمش سنة ٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م بعد ان وطد نفوذه وسلطانه فى
دولة المماليك فى الهند ، وخاض فى سبيل ذلك حروبا كثيرة - كما ذكرنا -
ضد خصومه الذين حاولوا انتزاع بعض بلدان دولته ولذلك يمكن القول بأن
التمش هو المؤسس الحقيقى لسلطنة دهلي المملوكية (٢) .

ولم تمنع الغزوات المتكررة التى خاضها التمش ضد اعدائه لم تمنعه
من اصلاح احوال بلاده ، فأعاد تنظيم الجهاز الادارى وهو من هذه الزاوية
يعتبر رجل دولة من الطراز الاول ، وقد كان الجهاز الادارى من قبله ينقصه
التنظيم . وحدد لكل ادارة او مصلحة اختصاصها ، رسم لها الخطة التى
تسير عليها (٣) ، وبذلك سارت الاعمال الحكومية فى عهده بدقة . كذلك
حرص السلطان التمش على اقرار العدالة فى بلاده ، ورفع الظلم عن رعاياه ،
وباشر بنفسه امر اقرار العدل ودفع الظلم (٤) . ولتحقيق ذلك امر كل
صاحب مظلمه بلبس ثوب مصبوغ ، يميزه عن لباس اهل الهند الابيض ،
فكان متى جلس للناس او ركب ، ورأى أحدا يرتدى ثوبا مصبوغا ، استدعاه
اليه ، ونظر فى شكواه ، ورفع عنه مظلمته ، ولكى يتيح الفرصة لاصحاب
المظالم برفع شكواهم اليه اثناء وجوده فى داخل قصره ، أقام على باب
قصره تمثالين لاسدين موضوعين على برجين ، وفى اعناقهما سلسلتان من
الحديد فيهما جرس كبير ، يدقه المتظلم ، وحينئذ يسمح السلطان بمثوله
بين يديه ، ويستمع اليه وينظر فى امره (٥) .

وعنى التمش بتشجيع العلوم والآداب وانفق اموالا كثيرة فى كتابة
نسخ كثيرة من القرآن الكريم حتى تكون فى متناول الناس لقراءتها والاستفادة
منها ، وأسس العديد من المدارس وزين بلاطه بالشعراء والعلماء ، وجعل
عاصمته مركزا هاما للعلوم والآداب ، كذلك أولى الفن العمارى عناية كبيرة
فأتم بناء مسجد قطب الدين فى دهلي ، وشيد مسجدا آخر فى آجمير . (٦)

-
- ك. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 52. (١)
Morel : A Short Hist. of India. p. 160. (٢)
A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136. (٣)
Munshi : The Struggle for Empire. p. 18. (٤)
ك. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 53. (٥)
ك. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 53. (٦)

بوفاة التمش يكون قد بقى من عمر سلطنة المماليك في دهلى ثلاثين سنة، أثقلت المشاكل كاهلها في خلالها حتى عصفت في النهاية بذلك الصرح الضخم الذى بذل التمش جهودا كبيرة في سبيل تشييده . ومن الامور التى اضعفت هذه الدولة عجز السلاطين الذين خلفوا التمش عن ادارة شؤون الدولة ، والمنازعات الشديدة التى قامت بين كبار رجال الدولة حول الاستئثار بالسلطة .

وتفصيل ذلك ان التمش عهد الى ابنته رضية بالحكم من بعده ، ذلك ان ابنه الاكبر ناصر الدين محمد توفى في البنغال ، وحاول التمش تدريب ابنته رضية على ادارة شؤون الدولة ، وعهد اليها بمباشرة سلطاته اثناء غيابه عن دهلى تمهيدا لتوليها السلطنة من بعده . على ان كبار رجال الدولة اعترضوا على تولية رضية الحكم بعد وفاة والدها ، ودبروا امر خلعتها ، واستدعوا اخاها فيروز من لاهور ، وطلبوا منه ان يتولى سلطنة دهلى بدلا من اخته ، فسار فيروز الى دهلى ، ومكنه رجال الدولة من تولى الحكم بعد ان عزلوا اخته رضية . على ان هذا السلطان الجديد لم يستطع ادارة امور الدولة بحكمة وكفاءة ، بل انصرف الى اللهو والعبث ، وترك مقاليد الامور في يد امه شاه ترکان ، وهى امرأة حقودة وضيعة النشأة ، وسارت سيرة سيئة في الحكم لذلك حدثت في الدولة الكثير من القلاقل والثورات والفتن ، وعول حكام الملتان ولاهور وهانسي وبداون Budaun واوده على انهاء هذا الحكم الفاسد وتحركوا الى دهلى فعلا (١) ، ففر فيروز من دهلى ، وتبعه جنده ، والتقى بالخارجين عليه بالقرب من العاصمة لكنه لم يستطع الاشتباك معهم في قتال ، ذلك ان جنده انفضوا من حوله ، وعادوا الى دهلى ، واعلنوا خلع فيروز ، وتولية رضية ، وقبض على فيروز وزج في السجن (٢) .

على ان هذا الحل لم يرض امراء الولايات المتجهين الى دهلى اذ كانوا يعتزمون تولية احد الامراء الحكم ، وحاصروا دهلى فعلا وقطعوا عنها سبل

Munshi : The Struggle for Empire. p. 187.

(١)

Lane Poole : Medieval India P. 73.

(٢)

الاتصال - بالولايات التابعة لها ، لكن السلطنة رضية اظهرت مقدرة وكفاءة في سحق هؤلاء المناوئين (1) لها . فعلى الرغم من انها كانت في قلة من الجند ، فانها استطاعت اضعاف اعدائها الامراء المحاصرين للعاصمة ، وذلك يبذر بذور الشقاق بينهم ، عندئذ واتها الفرصة للتخلص من اعدائها وهزيمتهم ، وردهم على اعقابهم خاسرين ، واصبحت سلطنة الامبراطورية بلا منازع ، وعاد الامن والهدوء الى ربوع دولتها (2) .

وحرصت رضية على ان تبلغ مبلغ الرجال في اعمالها وتصرفاتها ، حتى تضى على نفسها الرهبة امام الناس ، فتزيت بزى الرجال ، وقادت الجيوش بنفسها ضد اعدائها ، وشاهدها الناس وهي تركب الفيل على رأس جيشها ، الا انها اغضبت امراء الدولة الترك الذي رفع التمش من شأنهم ، وقربهم اليه ، وأسند اليهم الامور الهامة في الدولة (3) ، وأبعدتهم عن التدخل في شؤون الحكم ، لانها كانت تدرك مقدار معارضتهم لحكمها ، وسوء نواياهم نحوها (4) .

كذلك اثارت رضية المعارضة ضدها حينما رفعت من شأن رجل حبشي يعمل اميرا للخيل في بلاطها يسمى جلال الدين ياقوت (5) ، وأسندت اليه قيادة الجيش ، بل همت به ، وهم بها ، وتزوجت منه فدبر الامراء الترك مؤامرة للتخلص منها ، او على الاقل تقليص نفوذها ، وقادها ايتيكن Aitigin - امير حاجب - لكن رضية أحببت المؤامرة ، ولم تنته متاعب رضية عند هذا الحد ، اذ أعلن حاكم البنجاب الثورة ، فسحقت رضية تمرده (6) . أما اختيار الدين التونيا Altunia - حاكم بها تندا - فقد رفع هو الآخر رايه العصيان ، وقادت رضية جيشا لمحاربتة ، لكنه هزمها وأسرها (7) ، وقتل ياقوت ، وبينما هي بعيدة عن العاصمة ، اذا بالامراء الترك في دلهي يعلنون عزلها ، ويولون بدلا منها معز الدين بهرام ابن التمش .

-
- Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 277. (1)
Lane Poole : Medieval India. pp. 74-75. (2)
Munshi : The Struggle for Empire. pp. 187-188. (3)
K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan p. 55. (4)
Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 279. (5)
Munshi : The Struggle for Empire. p. 188. (6)
A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 136. (7)

لما ولى بهرام شاه سلطنة دهلي لم يستطع الانفراد بالحكم لضعفه بل اضطر الى الخضوع للامراء الترك ، والسير وفق أهوائهم وأسند أمر الملك كله الى واحد منهم هو وزيره اختيار الدين ايتيكن الذي قبض على زمام الامور في الدولة دون السلطان ولم يلبث ان غضب السلطان من وزيره الذي جعله اسما فقط ، فدبر السلطان مؤامرة لاغتياله ، وأدى نجاحها الى استرداد سلطانه (١) .

لكن بهرام شاه لم يستمتع بالانفراد بالحكم طويلا ، ذلك ان بدر الدين سنقر - امير حاجب - سيطر على امور الدولة ، كذلك تعرض السلطان لمؤامرة اخرى تستهدف خلعه ، فقد انتهز التونيا - حاكم بها تندا - فرصة مقتل ايتيكن ، وعول على المسير الى دهلي ، والتربع على عرش السلطنة ، ولتحقيق ذلك أفرج عن اسيرته - رضية - وتزوج منها ، ورأى ان ذلك يعطيه الحق في تحقيق اطماعه الرامية الى الاستحواذ على السلطنة ، وتقدم الاثنان الى دهلي ، لكن القبائل الكهكرية هاجمت جيوش التونيا وشتتت شملهم ، وعثروا على رضية تستظل بظل شجرة ، واغتالوها . (٢) وبذلك فشلت هذه المؤامرة . على ان رضية كانت سلطنة عادلة على جانب كبير من الكفاءة والمقدرة ، شجعت العلوم والاداب (٣) ، وكانت تتجول في الاسواق في زي الرجال ، وتجلس الى الناس ، وتستمع الى شكاواهم ، ومما يجدر ذكره ان رضية عاصرت شجرة الدر - ملكة مصر الشجاعة التي قامت بدور كبير في صد لويس التاسع - ملك فرنسا - عن مصر في الحملة الصليبية السابعة ، وكان زوجها الملك الصالح ايوب قد توفى اثناء معركة المنصورة ، فقبضت شجرة الدر على زمام الامور في مصر حتى قدم ثوران شاه بن الملك الصالح ، وخلف أباه في الملك .

لم تستتب الامور في دهلي باحباط مؤامرة امير بهانندا ، ورضية ، ذلك ان امير حاجب ظل قابضا على زمام الامور في الدولة وبينما تسير الدولة في طريق الاضطراب واجهت خطرا آخر ليس من الداخل ، ولكن من الخارج ، ذلك هو خطر المغول الذين هاجموا لاهور سنة ١٢٤١ م ، فقاد امير حاجب

-
- K. Ali : A Short Hist. of Indo-Pakistan p. 55. (١)
A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 139. (٢)
Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 279. (٣)

جيشا الى لاهور لوقف تقدم المغول (١) ، غير انه لم يلبث ان توجس خيفة من السلطان اذ رأى ان ابتعاده عن العاصمة سيؤدي الى تأمر السلطان وحاشيته ورجاله ضده ، وعزله عن منصبه ، ومنعه من دخول دهلي ، وانضم اليه الجيش في اعلان التمرد والعصيان على السلطان ، فأرسل اليه بهرام شاه رسولا من رجال الدين ليحثه هو والجنود على ترك الفتنة والمضي قدما في طريق الجهاد في سبيل الله ، لكن الشيخ الرسول لم يقم بالواجب الذي كلفه به السلطان ، بل انضم الى الثوار ، وعادوا جميعا الى دهلي ، وتركوا المغول يهاجمون لاهور (٢) .

اعد السلطان العدة للدفاع عن عاصمة ملكه ، لكن رجال امير حاجب داخل دهلي ساعدوا المهاجمين على الاستيلاء على العاصمة ، وقبضوا على بهرام شاه سنة ١٢٤٢ م ، وولوا بدلا منه علاء الدين مسعود - حفيد الشمس - وكان عمره لا يتجاوز السادسة عشرة (٣) .

لم يكن علاء الدين مسعود أسعد حظا من سابقه ، فقد فوض أمور دولته الى قطب الدين حسين ، وجعله نائبا ووزيرا له ، لكنه استبد بالسلطنة دونه ، وأسند الوظائف الادارية الهامة في الدولة الى اعوانه وأنصاره ، وتأمر السلطان على وزيره وقتله ، وعهد الى نجم الدين أبو بكر بمنصب نائب السلطان ، وعين بلبن في منصب امير حاجب (٤) .

واجه بلبن صعابا جسيمة في ضبط امور الدولة ، فقد كثرت الفتن والقلقل بها ، اذ حاول الامراء الهنادكة الاستقلال عن دهلي وحاول امراء الولايات كذلك الانفصال عن الحكومة المركزية وحارب بعضهم بعضا ، وتعرضت البلاد كذلك لخطر المغول الزاحف اليها ، وبلغ من ضعف السلطة المركزية ان امراء الولايات القريبة استنجدوا بالمغول لدحر كل محاولة قد تقوم بها دهلي لاستعادة سيطرتها على ولاياتهم (٥) .

على ان بلبن لم يستطع ان يمضي في تنفيذ سياسته الرامية الى اعادة الهدوء والسكينة الى الدولة بسبب تعرضه لمؤامرة تستهدف اقصاءه عن

-
- Munshi : The Struggle for Empire. p. 198. (١)
IBID (٢)
Munshi : The Struggle For Empire. p. 190. (٣)
Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 279. (٤)
Munshi : The Struggle for Empire. p. 191. (٥)

الحكم ، ذلك ان الهنادكة عولوا على اقضاء العناصر التركية عن ادارة امور الدولة ، والحلول محلهم ، وقاد هذه الحركة عماد الدين ريحان الذي ولى منصب وكيل الدا ، وافلح في اقضاء بلبن ورجاله الترك عن الحكم (١) . وبذلك حل النفوذ الهندوكى محل النفوذ التركى في سلطنة المماليك بدلهى .

على ان الهنادكة لم يستمتعوا طويلا بادارة شؤون حكومة دهلى ذلك ان الامراء الترك ساءهم اغتصاب الهنادكة بقيادة ريحان السلطة في دهلى، وعقدوا العزم على اعادة بلبن ، وانضم اليه الكثيرون من حكام الولايات الترك ، وطلبوا من السلطان اعادة بلبن (٢) . ، وعزل ريحان ، ولما لم يستجب السلطان لرغبتهم تعاضدوا وتحالفوا على تنفيذ رغبتهم بالقوة ، فخرج السلطان من عاصمته دهلى لسحق تمرد الثوار لكن الثائرين هزموا جيش السلطان ودخلوا دهلى ، واعادوا بلبن الى الوزارة ، وعزل ريحان سنة ١٢٥٤ م ، واحسن اهالى العاصمة الهندية استقباله بعد غياب دام عامين (٣) .

واجه بلبن مشاكل متعددة لاقرار الامور في الدولة ، فالبلاد مضطربة، والثورات متعددة في الامبراطورية ، وخصوصا قبائل المواتى Mewatis واصبحت البلاد تعيش في فوضى شاملة لذلك كان على بلبن استعادة هبة ونفوذ حكومة دهلى والقضاء على الفتن في الولايات التابعة لها ، وقد فوض اليه السلطان كل هذه الشؤون بينما انصرف الى مجالسة العلماء والدرائش (٤) .

اثبت بلبن كفاءة ومقدرة في ادارة شؤون الدولة ، واعادة الهدوء اليها ، فقضى على الفتن الداخلية ، واخضع الكهكرية وغيرها من القبائل الثائرة المثيرة للشغب والفوضى ، وزحف الى الدواب Doab ، واخضع الامراء الهنادكة الثائرين بها ، كما اعاد اودة والسند الى الولا والطاعة لحكومة دهلى (٥) .

IBID. p. 192.

(١)

Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. 280.

(٢)

A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 139.

(٣)

Munshi : The Struggle for Empire. pp. 192-193.

(٤)

K. Ali : A Aew Hist. of Indo-Pakistan. p. 59.

(٥)

على أن أبرز مواقف هذا الرجل البطولية تجلت في مقاومته لغزو المغول للهند سنة ١٢٤٥ م ، فقد هاجموا السند ، وضيقوا الحصار على حصن اوكا فتصدى لهم بلبن واشتبك معهم في قتال مرير اوقع بهم هزيمة كبيرة وردهم على اعقابهم خاسرين وأمنت بلاد الهند الغربية من خطر المغول ، وعادت سيطرة دهلى على هذه المنطقة (١) .

توفي ناصر الدين محمود بعد حكم دام عشرين عاما ، وكان عادلا كريما زاهدا متدينا ، يرعى العلوم والآداب ، وقد عهد الى ابي عمر عثمان منهاج السراج بشغل وظيفة كبيرة في بلاطه ، ووضع هذا العالم مؤلفا كبيرا أهدها للسلطان ، أسماه « طبقات ناصري » وكافاه السلطان مكافأة كبيرة على هذا الجهد الكبير ، ومما يجدر ذكره أن ناصر الدين عاش عيشة الزهد ، وكان يقتات من عمل يده ، اذ كان ينسخ المصاحف ويبيعها ، ويفطى بما يرد اليه من هذا العمل نفقاته الخاصة ، كذلك لم يتخذ خدما في بيته ، انما كانت زوجته تباشر الشؤون المنزلية بنفسها بما في ذلك اعداد الطعام (٢) .

ذكرنا أن غياث الدين بلبن ارتفع الى اعلى المناصب في امبراطورية المماليك في عهد ناصر الدين محمود ، ولعب دورا هاما في تاريخ سلطنة دهلى المملوكية حتى أن المؤرخين يذكرون أن تاريخ ناصر الدين محمود هو في حقيقته حلقة من تاريخ بلبن ، ولم يكن لدى السلطان ناصر الدين محمود أبناء ذكور ، وتزوج بلبن من ابنة ناصر الدين محمود ، الامر الذي يسر له امر توليه السلطنة بعد وفاة صهره سنة ١٢٦٦ م وكان قد جاوز الستين من العمر (٣) .

ينتمى بلبن الى قبيلة تركية ، كان أبوه من شيوخها ، ووقع بلبن في أسر المغول ، واشتراه الخواجة جمال الدين في البصرة ، وبيع في دهلى الى التمش (٤) . وظهرت شجاعته ومقدرته في سلك الجندية ، فأدخله التمش في جماعة حرسه ، ولما وليت رضية السلطنة ، أسندت اليه منصب أمير الصيد (٥) ، وادرك بهرام شاه شجاعته واقدامه ، فولاه بعض الولايات ، فأحسن ادارتها وأعاد اليها الهدوء والاستقرار ، وراجت فيها الزراعة ، وتحسنت الاحوال الاقتصادية ، ثم ولاه ناصر الدين محمود منصب الوزارة

Munshi : The Struggle for Empire. p. 193. (١)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 193. (٢)

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59. (٣)

Morel : A Short Hist. of India. p. 160. (٤)

Ma Jumdar : An Advanced Hist of India. p. 281. (٥)

ونياحة السلطنة (١) - كما رأينا - .

واجه بلبن بعد توليته السلطنة نفس المشاكل التي واجهها في عهد ناصر الدين محمود ، فالبلاد مضطربة ، والمغول عادوا الى تهديد الحدود، وكان على بلبن أن يؤمن دولته من الاخطار الخارجية والمشاكل الداخلية ، فبدأ بتقوية السلطة المركزية وأعاد الهيبة الى بلاطه وحكومته ، وذلك بأن جعل بلاطه قويا فخما كما كان أيام ملوك الفرس القدامى ، وكان مجلسه يتسم بطابع الجد ، وأعاد تنظيم جيشه وتدريبه على أحسن نظام (٢) . وأضعف من شأن القادة المماليك - موالى التمش - وكانوا لا ينقطعون عن تدبير المؤمرات والذسائس التي تستهدف تقوية نفوذهم في الدولة على حساب السلطان (٣) .

كذلك حرص بلبن على تنظيم ادارة الدولة ، واعادة الامن والنظام الى ربوعها (٤) ، ولتحقيق ذلك أعد جهازا قويا للجاسوسية ، يحيطه علما بكل اخبار الادارات والمصالح الحكومية ، ويكتبون له تقارير عن سير حكام الولايات وسائر الموظفين ، وهؤلاء الجواسيس يراقبون كل مصالح الدولة بما في ذلك الجيش وبلاط السلطان ، وحتى أبناءه ، وكان هناك جواسيس لمراقبة سير الجواسيس في عملهم ، وكان الجاسوس يتعرض لاشد أنواع العقاب اذا تهاون في عمله أو في تأدية الواجب المكلف به ، ولم يلتزم بالدقة في جمع الاخبار ، أو لا يصدق في تبليغها ، وبلغ من حرصه على أقرار العدالة ، ومنع الظلم ان احدا كان لا يجرؤ على ايداء خدمه ومماليكه (٥) .

بعد ان أعاد بلبن تنظيم ادارة الدولة ، وأعاد الى حكومة دهلي هيبتها ، اتجه الى القضاء على الفتن الداخلية في الدولة ، فضرب بيد من حديد على أهل مواتى ، وكان قد أخضعهم أثناء وزارته ، فلما ولى السلطنة ، قطعوا الطرق ، وسرقوا المسافرين والحقوا بهم الضرر والأذى خصوصا في بهار(٦) ،

Morel : A Short Hist. of India.p. 161.	(١)
Morel : A Short Hist. of India. p. 161.	(٢)
Munshi : The Struggle for Empire. p. 194.	(٣)
Lane Poole : Medieval India. p. 81.	(٤)
K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59.	(٥)
A Short Hist. Of Hind-Pakistan. p. 140.	(٦)

ونهبوا القرى وقتلوا الابرياء واقترب خطرهم وشرهم من العاصمة دلهى فخرج بلبن من دلهى ، وسار على رأس جيشه لاختصاصهم وهاجمهم هجوما عنيفا ، ومازال يتعقبهم حتى شنت شملهم (١) ، وأمر بتطهير البلاد من الغابات والادغال التى كانوا يحتمون بها ، ومازال يتعقبهم حتى استأصل شأفتهم ، وقتل قائدهم . ورأى ضرورة المحافظة على الأمن والسلام في الدولة ، فأقام الحصون في مختلف البلاد ، يقيم فيها شرطة لحماية الناس من عدوان اللصوص وقطاع الطرق (٢) ، وحول المناطق التى استأصل منها الغابات الى اراض زراعية ، يقيم فيها جند لحراستها من عبث العابثين (٣) ، وبذلك استتب الأمن والنظام في الدولة .

كذلك تعرضت سلطنة المماليك في الهند لخطر آخر من جانب الهندوس في الدواب ذلك انهم قطعوا الطريق بين دلهى والبنغال فقاومهم حتى ضعفوا ووهنوا ، وقبض عليهم وأسروهم (٤) .

وواجه بلبن مشكلة اخرى من جانب المماليك الذين اعترضوا على توليته الحكم وسعوا الى الخلاص منه ، وكان سلطانهم قد قوى في عهد التمش وخلفائه الذين منحوهم الاقطاعات الكبيرة ، فطردهم بلبن من الخدمة العسكرية ، وامعن في عقابهم ، وقتل كثيرا منهم ، وتخلص من هذه الفئة كلية (٥) . وبهذه الجهود أصبح بلبن سلطانا قويا مهابا يرعى جانبه رجال الدولة ، ويخشون بأسه .

لم يكد بلبن ينتهى من مشاكله الداخلية ، حتى واجه خطرا خارجيا جسيما ذلك ان المغول عادوا من جديد الى تهديد الهند بعد ان زحفوا الى بلاد العراق بقيادة هولوكو خان ، واستولوا على بغداد - حاضرة بنى العباس - وقتلوا الخليفة المستعصم سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٤ م (٦) ، واعتزم المغول غزو الهند بعد ان سمعوا عن ثروتها ، فأعد بلبن العدة لصد الاعداء من بلاده ، وبقي في دلهى لا يفادرها وترك لقواده امر تعقب الخارجين على سلطانه ، حتى لا تتعرض العاصمة لخطر المغول ، ولا تقاسى ما قاسته بغداد

-
- | | |
|---|-----|
| K Ali : A New Hist of Indo-Pakistan. p. 61. | (١) |
| IBID. P. 62. | (٢) |
| K. Ali : A New Hist. ofIndo-Pakistan. p. 61. | (٣) |
| IBID. P 62 | (٤) |
| Lane Poole : Medieval India. p. 84. | (٥) |
| Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 281. | (٦) |

من ويلات (١) ، وأعاد بناء القلاع التي دمرت على الحدود بسبب غزوات المغول السابقة وأقام تحصينات جديدة مزودة بالجند والسلاح ، كما زود جيشه بالأسلحة والمعدات ، وأسند القيادات العسكرية الى رجال الكفاء وعين ابنه الكفاء الشجاع محمد حاكما على الملتان ، ووضع ابنه الآخر بفراخان على حراسة سمه وسنام (٢) .

وكان لخطته الدفاعية أثرها الكبير في درء خطر المغول عن ديار الهند، فحين هاجمها سنة ١٢٧٩ ، تعقبهم محمد وهزمهم ، ودفع خطرهم عن بلاد الهند . (٣) وبذلك سلمت سلطنة المماليك في الهند من خطر المغول وويلاتهم .

على ان انشغال الحكومة الهندية في الذود عن البلاد ادى الى بروز مشكلة اخرى داخلية ، ذلك ان البنغال بقيادة واليها طغرل عادت الى محاولة الاستقلال عن دلهي ، ولقب واليها طغرل نفسه مفيث الدين ، وأمر باقامة الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة بدلا من بلبن ، فأرسل السلطان جيشا بقيادة امير خان لاختصاع طغرل ، واعادة البنغال الى الخضوع للحكومة المركزية ، لكن طغرل هزم القائد الهندوكي ، وغضب بلبن من قائده ، وحمله مسؤولية الهزيمة التي لحقت به ، وحكم عليه بالاعدام (٤) ، وأرسل جيشا آخر الى البنغال لسحق تمرد طغرل ، لكن هذا الجيش لقي مصير سابقه ، عندئذ لم ير السلطان بلبن بدا من المسير بنفسه الى البنغال لاعادتها الى حوزته ، وصحبه ابنه بفراخان (٥) ، وحينما اقترب السلطان من البنغال اخذ طغرل الجزع والفرح ، وفر هو ورجاله الى الغابات المجاورة شرق البنغال في جاجنكر ، وأرسل السلطان فرقة من الجيش لتعقب المتمردين ، وعثروا عليهم فعلا ، وشاهدوهم يشربون ويلهون والفيلة تتجول بين الأشجار ، والخيول والمواشي تتغذى على النباتات ، فباغتوهم على حين غفلة منهم ، ومازالوا بهم حتى افنوهم عن آخرهم ، وقتلوا زعيمهم طغرل (٦) .

Lane Poole : Medieval India. p. 85.	(١)
Munshi : The Struggle for Empire. p. 194.	(٢)
K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 63.	(٣)
Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 282.	(٤)
K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 62.	(٥)
Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 283.	(٦)

بعد ذلك اتجه السلطان الى لكهاونتي ، وكانت تؤيد ظفرل في ثورته ضد دهلي ، فاختمى أغلب اعيانها ، خوفا من بطش السلطان لكن بلبن لم يبرح البلدة الا بعد أن نكل بالثائرين (١) . وبذلك عادت البنغال الى الولاة والطاعة للسلطان بلبن ، ولكي يضمن السلطان بقاء البنغال على الولاة لدهلي ، عهد الى ابنه بفراخان بحكم البنغال ، وحكم بفراخان واعقايه البنغال أكثر من نصف قرن (٢) .

وجدير بالذكر أن البنغال سببت متاعب كثيرة لحكومة دهلي ، فقد حاولت الاستقلال منذ أن حكمها الخلجيون منتهزين فرصة صعوبة المواصلات بين دهلي وبلادهم ، فضلا عن بعد المسافة ، وانتشار الاوبئة فيها (٣) ، وبذل التمش جهودا كبيرة في اخضاع البنغال وحذا ظفرل - كما رأينا - حذو الخلجيين في محاولة الاستقلال عن دهلي منتهزا فرصة انشغال السلطان بلبن في مشاكل الدولة الداخلية والخارجية (٤) .

على ان بلبن واجه كارثة أخرى مروعة ، فقد توفى ابنه محمد وهو يقاتل المغول (٥) ، ولم يحتمل صدمة موت ابنه ، وتوفى بعدها في سنة ١٢٨٧ بعد حكم دام اربعين سنة (٦) .

يعتبر بلبن من أعظم حكام الهند في تاريخها الوسيط ، فقد تغلب على الصعوبات الكبيرة التي واجهته ، اذ وقف في وجه الامراء الهنادكة الذين حاولوا النيل من سلطانه ، وقهر العصاة والمفسدين ، وتمكن من درء خطر المغول عن البلاد (٧) ، وأقر الامن والنظام في ربوع الدولة ، واشتد في معاقبة الخارجين على القانون والعدالة واتخذ لنفسه - كما ذكرنا - بلاطا مهيبا له مراسم معينة ، ورجال يرتدون أزياء معينة ، ومظاهر خاصة ، واتخذ رجالا اكفاء في ادارة شؤون الدولة على انه لم يستطع توسيع رقعة دولته لانشغاله طوال حكمه بمشاكل الدولة الداخلية والخارجية ، ولم

(١) Lane Poole : Medieval India. pp. 87-88.

(٢) Morel : A Short Hist. of India. p. 161.

(٣) الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية ج ١ ص ١٤٨ .

(٤) Munshi : The Struggle for Empire. 154.

(٥) A Short iHst. of Hind-Pakistan. p. 141.

(٦) K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 65.

(٧) Lane Poole : Medieval India p. 87.

يأل جهدا في سبيل حماية الدين والمحافظة على الشريعة (١) ، و اقرار العدالة ، وبنى دارا أسماها دار الامن لرفع المظالم عن رعاياه ، وتخفيف اعباء الحياة عليهم ، وساوى بين رعاياه المسلمين والهنداكة أمام القانون ، واذا كان قد ابعده الهنداكة فترة ما عن مناصب الدولة الرئيسية ، فانه فعل ذلك بعد أن لس منهم نزعاتهم الاستقلالية في وقت تواجه الدولة فيه خطرا خارجيا .

ولم يأل بلبن جهدا في سبيل رعاية الفنون والآداب ، وحرص على رفع شأن مجتمعه (٢) ، فشجع الناس على التحلى بتعاليم الاسلام وقد كان لعمله هذا اثر كبير على المجتمع الهندي حتى أن المؤرخين يعزون اليه ما يتمتع به الآن المجتمع الهندي من تقاليد رفيعة (٣) .

ومما يجدر ذكره ان هذا السلطان اكرم وفادة الشخصيات الاسلامية الكبيرة التي لجأت الى الهند فرارا من بطش وجور المغول ، وكان من بين هؤلاء فريق من بنى العباس ومن امراء خوارزم وغيرهم . وقد أنزل كل فريق منهم في حى خاص ، سمي باسمه ، مثل محلة عباس ، محلة خوارزمي ، محلة ديلمى ، محلة سنجرى . . . الخ .

لما شعر بلبن بدنواجله عهد الى ابنه بفراخان يتولى الحكم من بعده ، لكن بفراخان رفض ، واثر البقاء في البنغال ، لذلك عهد السلطان الى كيخسرو بن بفراخان بولاية عهده ، وتولى كيخسرو السلطنة في دلهى سنة ١٢٨٧ (٤) ، وكان ضعيفا لا يستطيع القيام بأعباء الحكم ، فأسند أمور الدولة الى نظام الدين وكان رجلا طموحا استبد بأمور الدولة دون السلطان ، وزين نظام الدين للسلطان الاستمتاع بمباهج الحياة واللهو والعبث ، وأسند المناصب الرئيسية في الدولة الى رجاله المقربين اليه (٥) .

على أن بفراخان - حاكم البنغال - ساءه ما علم من استبداد نظام الدين بأمور الدولة دون ابنه السلطان ، وعقد معه لقاء سريا حثه فيه على التخلص من نظام الدين ورجاله واستعادة نفوذه في الدولة ، لكن الترك لم يمكنوه من ذلك . بل عزلوه وولوا بدلا منه كيقباد - أحد اطفاله الصغار - على أن الخلجيين لم يمكنوا الترك من الاستبداد بأمور الدولة ، فدخلوا دلهى ، وازالوا عنها حكم المماليك .

-
- Munshi : The Struggle for Empire. p. 157-158. (١)
Prasad : Medieval India pp. 171-172. (٢)
Ma Jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 284. (٣)
Munshi : The Struggle for Empire p. 158. (٤)
A Short Hist. of Hind-Pakistan. p. 144. (٥)

٢ - السياسة الداخلية لسلطنة

دهلي الاسلامية في العهد الخلجي

قيام الدولة الخلجية في دهلي : -

يرى البعض ان الخلجيين من اصل تركي ، على حين يرى آخرون أنهم من اصل أفغاني . ويؤكد باراني أنهم ينسبون الى قليج خان - أحد أصهار جنكيرخان ، نزل بجبال الغور بعد هزيمة شاه خوارزم ، وحرف اسمه بعد ذلك الى خلج ، وقيل لورثته الخلجيون (١) ، وقد اندمجوا في الحياة الافغانية ، واعتنقوا الاسلام في عهد سلاطين بنى سبكتكين ، وضم الجيش الغزنوي فرقا منهم ساهمت في فتح الهند (٢) .

على ان نشاط الخلجيين اتضح في عهد سلاطين الغور . فحينما ولي قطب الدين ايبك التركماني اقليم الهند نيابة عن سلطان الغور ، حرص على توسيع رقعة ولايته الجديدة في بلاد الهند ، فأسند هذه المهمة الى قائده محمد بن بختيار الخلجي ، فاستولى على بندنديوري - عاصمة اقليم بهار - وكان يحكمها ملوك أسرة بالا ، ولم يلبث ان استولى على مملكة بالا بأسرها ، وكانت الديانة البوذية سائدة بين سكان هذه المملكة ، فحطم القائد الخلجي معابدهم وأصنامهم ، ونشر الاسلام بينهم ، وانضمت هذه البلاد الى امبراطورية الغور (٣) .

واذن قطب الدين ايبك - نائب سلطان الغور في الهند - الى القائد الخلجي بمواصلة الفتح والتوسع ، فاتجه محمد بن بختيار الخلجي الى نادية - عاصمة البنغال - وعلى الرغم من قلة عدد جنده ، فانه اقتحم نادية ، وكان يحكمها لكشمن سنا من أسرة سنا ٥٩٥ هـ / ١١٩٦ م ، وفزع الملك الشيخ وجزع ، ورأى ان لا قبل له بالغزاة المسلمين ، فلاذ بالفرار من عاصمة ملكه ، لا يلوي على شيء وقد يسر ذلك للقائد الخلجي امر الاستيلاء على نادية - عاصمة البنغال - فضمها الى مملكة الغور ، وأقام الخطبة فيها للسلطان الغوري ، وقد مهد سقوط نادية في أيدي الغور السبيل لهم لضم

(١) محمد قاسم هندوشاه : تاريخ فرشته ص ٨٨ - ٨٩ .

(٢) Lane Poole : The Mohammadan Dynasties p. 91.

(٣) Lane Poole : Medieval India. p. 54.

اقليم البنغال بأسره لدولتهم (٢) .

لم يكتف محمد بن بختيار الخلجي بما احرزه من انتصارات رائعة ، بل تطلع الى المسير الى التبت للاستيلاء على هذه البلاد ، ففي سنة ٦١٣ هـ / ١٢٠٦ م اتجه في عشرة آلاف فارس الى التبت ، لكن حملته باءت بالفشل الذريع ، وتعرض جنده لاهوال جسام اثناء انسحابهم ، ولقى الكثير منهم حتفه في عودتهم الى ديفكوت ، ولم يلبث هو كذلك أن توفي (٢) .

حرص خلفاء محمد بن بختيار الخلجي على بسط نفوذهم على بعض اقاليم الهند ، فلما قامت دولة المماليك في الهند ، وولى شمس الدين التمش السلطنة في دهلي ، تعرض لمشاكل داخلية تهدف الى اطاحته من الحكم ، واثار هذه المشاكل رجال الدولة الذين انتهزوا فرصة الفوضى التي اعقبت وفاة قطب الدين ايبك ، وقد مهدت هذه المشاكل للخلجيين امر السيطرة على بهار والبنغال (٣) .

على ان الملوك المماليك لم يقفوا مكتوفى الايدي ازاء نزعات الخلجيين الاستقلالية ، فلما غادر جلال الدين منكرتتى بلاد الهند ، وزال خطر الخوارزميين عنها ، وبالتالي خطر المغول ، تفرغ السلطان التمش لقمع الحركات الاستقلالية في دولته ، ومن ابرزها ومنها استقلال غياث الدين الخلجي في البنغال عن دهلي حيث اقام الخطبة باسمه ، ونقش اسمه على السكة ، وتلقب بالقباب الملوك ، وقوى امره ، واشتد بأسه وامتد نفوذه على البلاد الواقعة شرقي دهلي (٤) .

عول السلطان التمش على سحق محاولة الخلجي الاستقلالية ، وسار على رأس جيش كبير الى البنغال ولما رأى الامير الخلجي عدم استطاعته التصدي لسلطان دهلي ، أعلن عودته الى الولاء والطاعة ، ونبذ التمرد والعصيان ، وتعهد بالعودة الى دفع الاموال المقررة عليه ، الا انه لم يكن صادقاً في تعهده ، بل كان يزعم انتهاز فرصة أخرى تتيح له العودة الى الاستقلال بولايته ، فلما ابتعد السلطان التمش عن البنغال أعلن الاستقلال ، وسار الى بهار ، واستولى عليها ، غير انه لم يهنأ بهذا الاستقلال طويلاً ، اذ سار اليه ناصر الدين محمد شاه - والى اودة - من قبل السلطان

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 40.

(١)

Munshi : The Struggle for Empire. p. 119.

(٢)

IBID. p. 120.

(٣)

Munshi, p. 134.

(٤)

التمش - وهاجم البنغال ، ووقع الهزيمة بالخلجي وأنصاره وبذلك عادت البنغال الى حوزة سلطان دهلي (١) .

لكن الامير الخلجي لم يستسلم لانتزاع البنغال منه ، بل عول على استرداد هذا الاقليم ، فلما توفى ناصر الدين محمد شاه - والى البنغال من قبل ابيه سلطان دهلي - عاد الى البنغال وحكمها (٢) .

ضعفت دولة المماليك بعد وفاة السلطان بلبن وقد عهد بالحكم لابنه بغراخان لكن بغراخان آثر البقاء في البنغال ، وأسندت السلطنة الى كيخسرو ابن بغراخان سنة ١٢٧٨ م ، وكان ضعيفا لا يستطيع القيام بأعباء الحكم ، فأسند أمور الدولة الى نظام الدين ، وكان رجلا طموحا استبد بأمر الدولة دون السلطان ، وزين للسلطان أمر الاستمتاع بما في الحياة الدنيا من مباحج حتى يبعده عن الانشغال بأعباء الحكم ، وأسند المناصب الكبيرة في الدولة الى رجاله المقربين (٣) .

على أن بغراخان - حاكم البنغال - ساءه استبداد نظام الدين بأمر الدولة دون السلطان ، وعقد معه لقاء سريا حثه فيه على التخلص من نظام الدين ورجاله ، واستعادة نفوذه في الدولة ، ومباشرة مسؤولياته بنفسه ، ونفذ السلطان مطالب أبيه وتمكن من التخلص من نظام الدين ورجاله ، واسترد نفوذه في الدولة (٤) .

لكن السلطان كيخسرو لم ينفرد بالسلطة طويلا فقد تآمر عليه الترك ، وعزلوه وولوا بدلا منه كيقباد - أحد اطفاله الصفار - السلطنة حتى يتيسر لهم الاستبداد بالدولة دونه (٥) .

استاء الامراء الخلجيون من استبداد الترك بأمر الدولة ، وعولوا على تغيير نظام الحكم في دهلي ، فساروا اليها بقضهم وقضيضهم بقيادة زعيمهم فيروز وهزموا القواد الاتراك ، وأحدثوا انقلابا في دهلي أطاحوا فيه بالسلطان الطفل ، وأعلنوا فيروز سلطانا ، ولقب جلال الدين ، وكان

-
- A Short Hist. of Hind. Pakistan. p. 136. (١)
Munshi, 157. (٢)
IBID. 158. (٣)
Munshi, p. 158. (٤)
Lane Poole : The Mohammadan Dynasties. p. 91. (٥)

تلك سنة ١٢٩٠ م (١) .

ولم يتقبل اهالى دهلى حكم الخلجيين في بادىء الامر بالرضا والتأييد، لكثرة ما ألحقه جندهم ببلدهم من الخراب والدمار ، وارتكابهم حماقات ذهب ضحيتها الكثيرون . على ان السلطان الخلجى الذى كان في السبعين من عمره - تمكن بحسن سياسته وعدله ومودته أن يجتذب الناس الى محبته . وبذلك خضع أهل دهلى للملك الجديد والعهد الجديد ، ووفد الناس على السلطان الشيخ زرافات ووجدانا يبايعونه ويقدمون له قروض الولاء والطاعة (٢) .

سياسة السلاطين الخلجيين في توطيد سلطانهم

لم يأل السلاطين الخلجيون جهدا في سبيل سحق حركات التمرد والعصيان ، ومنع اندلاع الثورات ضدهم والحيلولة دون حدوث الحركات الاستقلالية والانفصالية في الدولة ، وأول هذه الحركات الثورية حدث سنة ١٢٩٠ حينما أعلن جيغو - حاكم اقليم كره - الثورة ضد الحكم الخلجى وهو ابن أخى بلبن وكان يطمع في استعادة عرش دهلى ، وقوى أمره واشتد بأسه وكثر انصاره ، وانضم اليه الكثير من الامراء والراجات وتعاهدوا وتعاضدوا على الوقوف الى جانبه ضد نظام حكم جلال الدين فيروز شاه ، وأعلن جيغو الاستقلال عن دهلى ، بل أعلن نفسه سلطانا ، وتلقب بلقب مغيث الدين ، وضرب العملة باسمه وأمر بذكر اسمه في الخطبة ، واعد جيشا كبيرا للزحف الى دهلى وامتلاكها ، واسقاط الحكم الخلجى (٣) .

لم يقف السلطان جلال الدين مكتوف اليدين ازاء هذه الحركة الخطيرة التى تهدف الى انتزاع الحكم منه ، بل عول على احباطها ، فأستخلف في دهلى ابنه الاكبر ولقبه خان الخانات ركن الدين ، وسار هو على رأس جيش كبير ، يتكون من عشرة آلاف مقاتل وقسمه الى قسمين ، قسم قاده اركالى خان ، والثانى تحت قيادته هو (٤) ، وباغت اركالى الاعداء على حين غفلة منهم ، وهزمهم شر هزيمة . غير أن المتمردين لم يهنوا ولم يضعفوا بل اعدوا تنظيم صفوفهم ، ودخلوا مع اركالى وجنده في معركة أخرى ،

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 15. (١)

Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 289. (٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ٩٠ .

(٤) ضياباراني : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٨٤ .

ولما علم جيغو باقتراب السلطان ، اسقط في يده ، وترك ميدان القتال ، ولاذ بالفرار لا يلوى على شيء ، غير أن أركالى خان اقتفى أثره ، ولجأ جيغو الى قلعة قريبة من ولايته ، واعتصم فيها ، فحاصره أركالى ، وشدد عليه الحصار (١) ، ومنع وصول الاقوات الى القلعة ، حتى استسلم جيغو ، ووقع هو وانصاره أسرى في ايدي جيش دهلي ، أما السلطان فقد سار الى كره ، وطهر في طريقه البلاد من المتمردين وعناصر الشغب ، واستعاد كره ، وسبق الاسرى المتمردين اليه مكبلين بالسلاسل والاغلال . على ان السلطان الرحيم امر بفك قيدهم ، وأن تكفل لهم وسائل الراحة ، وبدلاً من أن يحاكمهم بتهمة الخيانة والفدر ، عفا عنهم ، وتغاضي عن خطاياهم وآثامهم ، وشملهم بعنايته ورعايته وعطفه ، وحذر قواده من هذا التسامح الذي قد لا يؤدي الى وقف حركات التمرد والعصيان ، بل ربما يزيد الثورات اشتعالاً في دولته (٢) . ولكن السلطان الشيخ استند في عفوه وصفحه الى روح الاسلام التي تدعو الى تجنب اراقة دم المسلم ، وكان يرى انه في شيخوخته يجب عليه أن يختتم حياته بالاعمال الطيبة الصالحة . ومهما يكن من أمر فقد أفرج السلطان عن عناصر التمرد والفتنة ، وأرسل جيغو الى الملتان في ظل حراسة مشددة (٣) .

ظهرت حركات معارضة اخرى للحكم الخلجي من بينها حركة دبرها أمراء ونبلاء التمش ، وتزعمها تاج الدين كوشي ، وعقدوا عدة اجتماعات وندوات تحدثوا فيها عن مساوىء الحكم الخلجي وعدم جدارته بتولى زمام الامور في الدولة وعدم صلاحية جلال الدين بالذات لعرش سلطنة دهلي ، واتفقوا على العمل على ازاحة الخلجيين عن حكم البلاد ، ونقل زمام الحكم من جلال الدين الى تاج الدين كوشي ، ودبروا مؤامرة لاغتيال السلطان الخلجي . غير أن تفاصيل هذه المؤامرة نمت الى علم السلطان ، فأرسل اليهم يهددهم ويتوعدهم بسيفه ان لم يعودوا الى الولاة والطاعة ، ويقنعوا عن التآمر والتمرد فخشوا مغبة عصيانهم ، وأرسلوا اليه وفدا يعتذر عما بدر منهم ، ويطلب من السلطان العفو والصفح ويعلن عودتهم الى الولاة والطاعة ، فعفا السلطان الطيب عنهم . وبذلك احبط جلال الدين هذه المؤامرة بالطرق السلمية (٤) .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

Lal : op. cit. p. 20.

(٢)

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهي ، ص ١٨٩ .

Lal. op. cit. p. 22.

(٤)

وتعرض جلال الدين لمؤامرة أخرى كادت تقضي عليه ، ورأس هذه المؤامرة سيدى مولى ، وهو درويش من بلاد فارس ، لجأ الى الهند عقب الغزو المغولى لها ، واقام في دهلى ابان حكم بلبن ، وعاش فيها حياة زهد وتقشف وخشونة ، يتبسط في طعامه ويلبس الخشن من الثياب ومن الغريب انه يتعفف عن أموال الناس ، فلا يقبل ما يعرض عليه من منح وهبات ورغم ذلك كان ينفق عن سعة ، وبني خانقاة عظيمة ، ووفد عليه الناس من كل مكان بعد ان بلغ صيته الآفاق ، وكان يستضيفهم ويكرم وفادتهم ، ويدفع هذه النفقات الكبيرة من ماله الخاص ، ودهش الناس وأخذتهم الحيرة لعدم معرفتهم مصدر هذه الاموال حتى اعتقد بعضهم ان له صلة بالجن او معرفة بالسحر (١) .

كثرت اتباع هذا الرجل من الصوفية والفقراء والمساكين والنبلاء أيضا ، ونظر جلال الدين اليه نظرة شك وريبة فحضر مجلسه متنكرا ، وشاهد بنفسه التفاف الناس حوله ، واتضح ان سيدى مولى ليس درويشا ولا متصوفا ، وانما يتخذ من هذا المظهر وسيلة لتحقيق أغراض سياسية فقد كان يكثر من الاتصال بالامراء والنبلاء وقواد بلبن المعارضين لحكم جلال الدين ، وبلغ من ازدياد نفوذه ان خان الخانات ركن الدين بن جلال الدين أصبح من مريديه ، وتدخل الشيخ الدرويش في النزاع الذى حدث بين ابنى جلال الدين حول ولاية العهد ، وحاول كل منهما تقوية مركزه بضم الانصار والاعوان له ، ومن ثم ظهر حزبان في دهلى الاول موال لخان الخانات ويضم الشيخ الدرويش ، والآخر التف حول أركالى خان ، ويضم المناهضين للدرويش وحرص خان الخانات على ان يخاطب الدرويش بالابوة حتى يكتسب الى جانبه انصار الدرويش (٢) .

حرصت الحركات المعارضة للحكم الخلقى على نيل رضا الشيخ الدرويش حتى ان ابناء امراء العهد البائد تطلعوا الى الشيخ للوقوف الى جانبهم في استعادة نفوذهم ، وخلع السلطان الخلقى (٣) .

ومهما يكن من امر فقد دبر هؤلاء المعارضون للحكم الخلقى مؤامرة لاغتيال السلطان جلال الدين وهو ذاهب لصلاة الجمعة في مسجد دهلى

Munshi op. cit. p. 161.

(١)

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٩٢ .

(٣) بارانى : تاريخ زيروز شاهى ، ص ١٨٩ .

الكبير ، بعدها يعلنون سيدي مولى خليفة ، ويتزوج من ابنة السلطان ناصر الدين غازي كياني ، ويحصل على لقب غازي خان ثم يعين أبناء بلبن في الوظائف الرئيسية في الدولة ، على أن هذه المؤامرة فشلت فشلا ذريعا ، فقد علم السلطان بأنبائها ومخططها ، وأمر بالقبض على جميع المتآمرين ، وأجبروا بالعنف والشدة على الاعتراف بتفاصيل المؤامرة ، وأمر السلطان بإعدام المتآمرين على حياته - وعلى رأسهم سيدي مولى . وأمر بنفى وسجن المتآمرين الآخرين ، ولقد كان لمقتل سيدي مولى صدى كبيرا في دهلي ، فقد غضب انصاره ومريده لمقتله ، ونادوا بالانتقام لولاهم الذي قتل ظلما ومات شهيدا حسب اعتقادهم . غير أن ثورتهم أخمدت . وبذلك نجا السلطان ودولته من محاولة قلب حكومته (١) .

لم تنته متاعب السلطان الخلجي عند هذا الحد ، بل واجهه حركة استقلالية عن دولته تزعمتها مدينة رانمبهور ، وجدير بالذكر أن هذه المدينة كانت قوية التحصين حتى أن الغوريين لم يستطيعوا الاستيلاء عليها ، واستطاع التمش السيطرة عليها سنة ١٢٢٦ م ، واستعادها الراجيوتيون في عهد السلطانة رضية المضطرب ، ولما ولي بلبن السلطنة استردها ، ولكنها عادت الى الثورة من جديد في عهد جلال الدين الخلجي (٢) . ولم يتفاض هذا السلطان عن هذه الحركة الانفصالية فأناج عنه في دهلي ، ابنه أركالي خان وسار هو على رأس جيش كبير لاعادة الامن والهدوء الى هذه المدينة في مارس سنة ١٢٩١ م ، واجتازت قواته صحراء النار القاحلة الموحشة ، وقاسي الجند فيها الوان العذاب وأهلك العطش والجوع الكثير منهم ، وظلوا على هذا الحال عدة شهور حتى أكلوا معظم دوابهم (٣) ، ومهما يكن من أمر فقد بلغ جلال الدين وجنوده مدينة رانمبهور ، وأرسل فرقا استطلاعية لاختيار قوة المدينة وحشد جيشه على حدودها ، ورأى السلطان أن يستولى على مدينة غين Thain قبل رانمبهور حتى لا يطعن جنده اثناء هجومها على رانمبهور ، وباغت الجند الخلجي غين ، وألقوا الذعر بين سكانها ، وقتلوا الكثير من سكانها ، ولم يستطع راجا هذه البلدة دفع الخلجيين عن دياره ، وفر من نجا من سكان البلدة لا يلوون على دار ولا يركنون الى قرار ، ودخل جلال الدين غين ، وضمها الى حوزته ، وأعجبه جمال البلدة وروعة ما فيها من تماثيل

Lal : Hist of The Khaljis. p. 26.

(١)

(٢) تاريخ فرشته ص ٩٤

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢١٣ .

منقوشة من الحجر أو الخشب في قصر الراجا ، وزار معابد البلدة ، وشاهد نقوشها البديعة وتحفها الذهبية والفضية الرائعة . غير أن جلال الدين أمر باحراق التماثيل والتحف لأنها ترمز الى عبادة الاصنام (١) ، وأخذ قطعتين من البرنز من تمثال لبرهاما وأمر بتفتيتها الى قطع صغيرة ، ووزع بعضها بين ضباطه وجنوده وكبار موظفي دولته ، وزين ببعض الآخر بوابات مسجد دهلي الكبير (٢) .

وبعد أن استولى جلال الدين على غين ، أرسل فرقا من جيشه الى مالوا Malwa ، وهاجمتها ، وحطمت معابدها وعادت محملة بالفنائم والاسلاب . وقد مهدت هذه العمليات الحربية لشن الحرب على رانثمهور ، واعادتها الى حوزة دهلي ، وكان صاحبها قد أعد جيشا كبيرا لصد هجوم جلال الدين ، وانضم اليه عدد كبير من راجات البلاد المجاورة ، وتعاقدوا جميعا على صد الجيش الخلجي ، وحصنت المدينة خير تحصين ، ولما نمت الى علم السلطان قوة تحصين البلدة ، واستعداد أهلها الكبير للذود عنها ، ودرء هجمات العدو ، خشي ان اشتبك مع أهل رانثمهور أن يقتل ويجرح الكثير من جنوده المسلمين ، وهو كرجل مسلم يحرص على عدم اراقة دم المسلمين الذي يؤدي بالضرورة الى ترميل النساء ، ويتم الاطفال ، وهو أمر لا يحتمله ، ويخشي وقوعه ، لذا قرر هذا الشيخ الطيب الرحيم رفع الحصار عن رانثمهور وأمر بانسحاب جيشه وعودته الى دهلي ، غير مبال بالعواقب ولم يستجب لنصيحة قواده ومستشاريه بسوء عاقبة هذا العمل وما ينجم عنه من ضياع هيئته بين سكان هذه البلاد . وفعلا كان لانسحاب جلال الدين اثر كبير في تشجيع الحركات الانفصالية ، فقد استردت غين استقلالها ، وخرجت رانثمهور من هذه المحنة ظافرة منتصرة ، وتحقق أملها وحلمها في الانفصال عن دهلي (٣) .

ومن أهم الاحداث الداخلية التي شهدتها سلطنة دهلي ، تأمر علاء الدين على عمه السلطان جلال الدين فقد كان هذا الامير طموحا يتطلع الى العرش على الرغم من أن عمه السلطان قد أسند ولاية عهده الى ابنه ركن الدين ، وكان علاء الدين قد ولى من قبل عمه حكم إقليم كره سنة ١٢٥٤م وأسند اليه قيادة بعض الغزوات في ارجاء الهند كان آخرها في الدكن ،

(١) المصدر السابق ص ٢١٣ .

Lal : Hist .of the Khaljis. p. 30.

(٢)

(٣) باراني : تاريخ فيرور شاهي ، ص ٢١٣ .

وأحرز من هذه الغزوة بعض الانتصارات ، وعاد الى كره محملا بالغنائم والاسلاب ، وحينئذ وافته الفرصة لتدبير مؤامرتة ضد السلطان ، فأرسل اليه يخادعه ويدعوه الى زيارته ، ويزعم ولاءه ومحبتة له ، ولم يجد السلطان الشيخ غضاظة في الاستجابة لدعوة ابن أخيه على الرغم من تحذير رجاله له ، وسار الى كره ، وأفلح علاء الدين في اقناع السلطان بنزع أسلحة جنده منعا لحدوث صدام بين جند كره وجند دهلى ، أما علاء الدين فقد أعد جيشه وزوده بالأسلحة والمعدات ، وزوده بالخييل والفيلة ، وركز جنده فى عدة مواضع (١) . ولما وفد السلطان على ابن أخيه ، وأدرك سوء نواياه ، أسقط في يده ، وأدرك انه لامحالة هالك ، وانصرف الى قراءة القرآن (٢) . هنا أمر علاء الدين بقتل السلطان ، ولما نفذت المؤامرة أعلن علاء الدين نفسه سلطانا ، وركب جنده الفيلة ، ورفعوا رأس جلال الدين على حربة ، وتجولوا بها في شوارع كره ، وأنعم علاء الدين على جنده وأنصاره بالمنح والهبات والالقباب (٣) .

على أن قتل جلال الدين لم يكن معناه تولية علاء الدين العرش بسهولة ويسر ، فقد اعترضته عقبات كبيرة ، ذلك أن دهلى العاصمة لازالت في ايدي أبناء جلال الدين ، كما أن أهل العاصمة استاءوا من مقتل السلطان ، وعقدوا العزم على منع قاتله علاء الدين من دخول بلدهم ، وعدم الاعتراف به سلطانا ، ولما علمت الملكة جهان بمصرع زوجها السلطان ، أعدت العدة ، وعقدت العزم على عدم ضياع العرش من ابنها قدر خان ، فأعلنته سلطانا بعد أبيه ، ولقبته ركن الدين ابراهيم (٤) .

على أن الملكة قد أساءت الى ابنها الاكبر اركالى خان فلم تعهد اليه بالحكم ، ذلك أن هذا الأمير لم يكن محبوبا من والديه ، لكن اركالى خان بقى في الملتان ، ولم يحاول القدوم الى دهلى لانتزاع حقه في العرش . وعلى الرغم من ذلك فقد انقسم أهل دهلى على انفسهم بين مؤيد لابن الاكبر ، ومؤيد لقدر خان ، وقد مهد هذا الانقسام لعلاء الدين في تنفيذ خطته الرامية الى دخول دهلى والتمكين لنفسه وخلع ركن الدين ابراهيم والتخلص من أمه ، وأعد عدته لتنفيذ خطته ، وعسكر جيشه على مشارف دهلى (٥) ، وقد استغل

Lal : Hist of the Khaljis. p. 55. (١)

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

Lal. : Hist. of the Khaljis. p. 56. (٣)

Majumdar : An Advanced Hist. of India. p. 289. (٤)

A Short Hst of Hind-Pakistan. p. 162. (٥)

علاء الدين الانقسام الذي حدث بين ابناء جلال الدين وسكان دهلي عموما في محاولة جذب الانصار اليه من بين افراد الحزب الجلالى ، ونجح في ذلك الى حد كبير ، وتجلى ذلك في انفضاض الكثير من اتباع الحزب الجلالى عن الملكة جهان ، وانضمامهم الى علاء الدين ، الامر الذى ادى الى ضعف الحزب الجلالى ، وتقوية شأن علاء الدين ، ولما ايقنت الملكة ان موقفها من تولية ابنها الاصغر العرش بدلا من الابن الاكبر ادى الى انقسام اهل دهلي على انفسهم بين مؤيد ومعارض ، تراجعت وارسلت الى ابنها الاكبر اركالى خان في الملتان تطلب منه القدوم الى دهلي لتسلم زمام الحكم بدلا من ابنها ركن الدين ابراهيم ، ولكن اركالى رفض العودة وآثر البقاء في الملتان على الرغم من نداءات امه اليه التى حذرته بأن عدم عودته سيؤدى الى ضياع العرش من بيت جلال الدين ، وتربع علاء الدين عليه (١) .

وقد ادى موقف اركالى خان الى تقوية شأن علاء الدين ، وزيادة الضعف والانقسام في جيش دهلي وبالغ علاء الدين في بذل الاموال والهدايا لانصاره حتى انضم اليه الكثير من جند ركن الدين ، فأسقط في يده ، واعتزل العرش ، ومهد ذلك لعلاء الدين أمر تولية العرش في دهلي (٢) .

دخل علاء الدين دهلي سنة ١٢٩٦ م ، وأعلن نفسه سلطانا ، وقبض على ركن الدين ابراهيم ، وسمل عينيه ، كما زج امه في السجن ، واستصفى اموال انصار الحزب الجلالى ، ولقب أبو المظفر السلطان علاء الدنيا والمدين محمد شاه خلجى ، وضرب العملة باسمه ، وأقيمت الخطبة باسمه ، وفرض الهدايا على الناس ، وأقيمت الزينات والسرادقات في كل مكان ، وأقبل الناس عليه من كل صوب وحذب مؤيدين ومبايعين (٣) . وبذلك تربع علاء الدين على عرش سلطنة دهلي بعد أن تخلص من عمه وابن عمه ، وقوى من شأنه وجذب الانصار والاتباع له (٤) .

لما ولى علاء الدين السلطنة ، واجه مشاكل داخلية وخارجية معقدة فبلاده هدف لغزوات المغول من الشمال الغربى سنويا ، وهذا الغزو يقترن عادة بالخراب والدمار ، واقتطاع اراض من مملكته ، كذلك انتقم اركالى

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٢٩ .

(٢) المصدر السابق ٢٤٦ .

Lal : Hist : of the Khaljis. p. 63.

(٣)

Lane Poole : the Muhammadan Dynasties. p. 93.

(٤)

خان - ابن السلطان جلال الدين - من علاء الدين ، فاستقل بأقليم الملتان ،
وضم الى حوزته السند والبنجاب ، وبذلك اقتطع من سلطته دهلي بلادا
واسعة ، وفي السند مملكة الكجرات الغنية ويحكمها الامير الراجبوتيني
وبالقرب من الكجرات تقع ممالك الأمراء الراجبوتيين في Baghela
صحراء الثار ، وكل امارة مستقلة عن الاخرى ، وتحرص على الانفصال
عن دهلي ، ولم يستطع سلاطين دهلي من قبل اخضاعهم ، ومن ناحية
اخرى توجد ممالك مثل شيتور Chittor وراثمبهور تقف من دهلي
موقفا عدائيا ، يضاف الى ذلك أن بعض بلدان سلطنة دهلي مثل ملاوىء
Dhar ويوجين Ujjain لم تتأثر بعد بالحضارة الاسلامية ، بل
تنتهز الفرصة المواتية للاستقلال عن دهلي ، وتقف منها موقفا عدائيا (١) .
أما البنغال فولى حكمها ناصر الدين محمود ابن بلبن وأعقابه ، واستقلوا
عن دهلي . وحكم الدؤاب وماجاورها أمراء مستقلون عن دولة الاسلام
في الهند . وبذلك ولى علاء الدين السلطنة ، في وقت تفككت فيه الدولة
الاسلامية في الهند ، وانفصل عنها الكثير من اقاليمها (٢) .

ولى علاء الدين السلطنة في وقت كانت في أشد الحاجة الى رجل دولة
مثله ، فالسلطان الجديد يختلف عن سلفه جلال الدين ، يمتاز بقوة البأس ،
والحزم وحسن التدبير ، والكفاءة العسكرية ، والادارية قبض على زمام
الامور بيد من حديد ، وبذل قصارى جهده في اعادة الوحدة الى دولته ،
وانقاذها من الهوة التي تردت فيها ، ودرء الخطر الخارجى عنها .

وأبرز أعداء السلطان الجديد ، أبناء جلال الدين ، ونبلاء دهلي ،
وهؤلاء يعارضون العهد الجديد ، كما أن الراجات الذين استقلوا عن دهلي
في أثناء الاضطرابات التي حدثت في أواخر عهد جلال الدين ، وبعد مصرعه
من واجبه اعادتهم الى الولاة والطاعة له ، وكان عليه تنظيم ادارة البلاد ،
وتقوية الحكومة المركزية ، وضمان طاعة وولاة القادة العسكريين ، والحكام
المسلمين فى الولايات (٣) .

أعد علاء الدين جيشا في سنة ١٢٩٦ لاختضاع اركالى خان - الذى
استقل بالملتان وغيرها - ، وسار هذا الجيش الى الملتان ولم يستطع

(١) Majumdar. An Advanced iHst. of India. 291.

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٨ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

أرکالی له دفعا بل قبض علیه وعلى اخوته وأقاربه وقادته وعوقبوا
أشد العقاب وصودرت أموالهم وأمتعتهم ، وتكل بهم أشد تنكيل . وبذلك
استرد إقليم الملتان وبلاد البنجاب والسند ، وضمها الى حوزته (١) .

لم يكتف علاء الدين بذلك ، بل صادر ممتلكات نبلاء جلال الدين ،
والامراء والملوك الذين عملوا تحت قيادته - وكان لا يظمن الى ولائهم ،
وحرص على التنكيل بكل من حامت حوله الشبهات بعدم الولاء والطاعة
له ، وذلك بالمصادرة والسجن والتشويه ، وبذلك عادت البلاد الى الطاعة
والولاء له ، وجمع من المصادرات اموالا طائلة ، مكنته من توسيع رقعة
دولته ، ودرء الخطر الخارجى عنها ، والتصدى للحركات الانفصالية في
المملكة (٢) .

تتابعت انتصارات علاء الدين ، وفتح الكثير من البلدان ، وضمها الى
حوزته ، وحالفه التوفيق في دفع الغزو المغولى المدمر عن الديار الاسلامية
في الهند ، فأخذته نشوة النصر كل مأخذ ، وركبه الفرور ، وذهب عنه
صوابه ، فتوهم ان باستطاعته ان ينجز انجازات الاسكندر الاكبر من حيث
غزوه للعالم او محاولة ذلك ، وقهر الدنيا تحت سلطانه ، بل ذهب ابعد
من ذلك ، فقد تصور انه نبي لدين جديد وصاحب رسالة جديدة ، على
غرار محمد نبي الاسلام (ص) وتوهم ان اصحابه الاربعة بمثابة الخلفاء
الراشدين الاربعة ، وبدأ يتحدث عن امكانية نشر دعوته في أرجاء الدنيا ،
واستطاع بقوة بأسه وقوة جيشه وجنده التبشير بالدين الجديد والرسالة
الجديدة ، واستهوته قصص وأحاديث الشعراء والمؤرخين والأباء عن
الاسكندر الاكبر ، والتف حوله الانتهازيون الراجيون في تحقيق منافع
شخصية ، فزينوا له صحة ما توهمه ، وروجوا دعوته وهياً السلطان نفسه
لان يصبح الاسكندر الثانى . ومما لاشك فيه ان رجال ابلاط والقادة
المقربين اليه قد وافقوه لا عن اقتناع بل أتبعوه رهبه منه ، وخوفا من قسوته
وبطشه ، فلم يسعهم الا التعبير عن رضاهم (٣) .

تصور السلطان انه على حق فيما ذهب اليه ، ودفعه جنون العظمة
الى التماذى في افكاره وخيالاته ، وكان السلطان يقيم الحفلات الكثيرة ،

(١) بارانى : تاريخ فيروزشاهى ، ص ٢٤٩ .

(٢) Lal : Hist. of the Khaljis. p. 67.

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٦٦ .

ويجمع فيها كبار رجال دولته ، ويتحدث فيها عن دعوته ، وفي إحدى هذه الحفلات حذره عمه علاء الملك القاضي من خطورة ما ذهب إليه على ملكه ، وعلى الوضع الداخلى في البلاد ، ومن انتقاضه الكثيرين من الفيورين على دينهم ، فقال : ان الدين امر يوحى به الله للأخيار من عباده ، ولا يمكن ان يكون بفعل أو بصنع انسان . وقال : ان الاسلام دين الحق ، ولا يمكن القضاء عليه ؛ حتى ان قهار العالم وجبابرتهم مثل جنكيزخان ، اراقوا من دماء المسلمين ما اراقوا وكنهم لم ينالوا من الاسلام شيئاً ، بل دخل المغول في دين الله افواجا ، واوضح ان الناس اذا وجدوا السلطان يشككهم في معتقداتهم لن يسمعوا له ويطيعوا بل سيدمرون ملكه ، وبذلك تعم الفوضى البلاد ، وينتهز امراء الاقاليم فرصة هذه الفوضى ، ويحققون املهم في الاستقلال عن دهلى . واوضح علاء الملك للسلطان ان النبوة لا تأتى الملوك ، وان كان بعض الرسل قد اوتى من الملك نصيباً (١) وأما عن فكرة قهر العالم ، فقد اوضح علاء الملك للسلطان ان الظروف تغيرت ، وان الاسكندر كان يستند الى حكم الحكماء مثل ارسطو الذى اوتى الحكمة وفصل الخطاب ، وهو مالا نظير له عند علاء الدين كما ان الاسكندر ورث عن ابيه قليب المقدونى ، دولة اليونان الموحدة ذات الادارة القوية (٢) .

وختم القاضي نصيحته للسلطان بقصر جهوده وتركيزها فى اخضاع بلاد الهند لسلطانه ، وقهر الكفرة فيها ، والدعوة الى الاسلام فى غير بلاد الاسلام ، وواصلح البلاد ، والقضاء على الفتن والثورات وحماية البلاد من هجمات المغول ، وقد لقيت نصيحة علاء الملك اذنا صاغية من السلطان فأقلع عن فكرة الدعوة لنبوته ، وتأسيس دين جديد والتفرغ للغزو والفتح واصلح البلاد . وبذلك عدل السلطان عن دعوته التى كانت ستؤدى الى ثورات وانتقاضات فى المملكة . قد يذهب ضحيتها السلطان او تتفكك عرى الوحدة فى البلاد .

تعرض علاء الدين لمؤامرة كادت تودى بحياته ، وقاد هذه المؤامرة ابن أخيه سليمان شاه ، وكان يشغل منصب وكيل الدار واراد بخطته ان يسقى علاء الدين من نفس الكأس الذى اسقاه لجلال الدين ، ويتولى هو - أى سليمان شاه السلطنة وكان علاء الدين قد أرسل عدة حملات الى نواحي الهند الفتح والتوسع ، بينما سار هو الى رانشمهور ، وتوقف فى تلبات

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٧٠ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 75.

(٢)

Tilpat لبعض الوقت ، وباغته قواده - الذين انضموا الى سليمان شاه في مؤامراته - ورموه باسهم فأصيب بجراح شديدة ، وأعلن المتآمرين مقتله وأعد سليمان شاه العدة لتولى السلطنة ، وساد الذعر معسكر السلطان ، وتفرق الجند السلطاني (١) وفي خضم هذه الفوضى ، اخفى انصار السلطان ، السلطان ، وضموا جراحاته ، وعالجوه خير علاج وانجعه ، وحينما توجه سليمان شاه - رأس المؤامرة - الى معسكر السلطان مطالبا تسليمه له ، رفض رجال علاء الدين ذلك ، وفجأة حدث ما لم يكن في حساب المتآمرين ، فقد ظهر علاء الدين فجأة ، وان كان ضعيفا من آثار الجروح ، فاسقط في ايدي المتآمرين ، فلاذوا بالفرار بقيادة رئيسهم سليمان شاه لا يلوون على شيء الى افغانستان ، وبذلك احبطت هذه المؤامرة التي كادت ان تودي بالسلطان علاء الدين وتمهد السبيل لتولى ابن أخيه سليمان شاه سلطنة دهلي (٢) .

راى علاء الدين ضرورة استئصال شأفة المتآمرين فأرسل فرقا من جيشه الى افغانستان للقبض على المتآمرين ، وأدى الجيش مهمته فقبض على سليمان شاه وقتل وحملت رأسه الى معسكر السلطان (٣) وانتقم السلطان شر انتقام من المتآمرين فأمر بقتلهم ومصاردة اموالهم ، وسبى نساءهم واطفالهم ، وتوزيعهم على القلاع ، وبذلك فشلت محاولة التخلص من علاء الدين ، وخرج من هذه المحنة قويا .

على ان اغتصاب علاء الدين العرش من عمه سبب له متاعب كثيرة اذ اصبح واضحا عدم وجود قاعدة ثابتة لوراثة الملك ، وكان ذلك من اسباب طمع سليمان شاه في اغتصاب العرش ، وأشعل بعض امراء الاسرة الحاكمة ثورة في دهلي منتهزين فرصة غياب علاء الدين عنها ، وطالبوا بعزل السلطان ، وتولية واحدا منهم الحكم مبررين تدميرهم بشدة السلطان وقسوته ، واستبداده وجوره ، غير ان حكومة دهلي قبضت على المتآمرين ، وسيقوا الى علاء الدين في رانشمهور ، فأمر بسملهم ، وزجهم في السجون ، وتكل بأتباعهم (٤) .

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ص ٢٧٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٣ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 88.

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 89.

(٣)

(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٧ .

ولم تنته متاعب علاء الدين عند هذا الحد ، بل واجه حركة ثورية اخرى ضد نظام حكمه ، قادها حاجى مولى وهو رجل طموح واسع الاطماع ، كان يشرف على ادارة بعض الاراضي الملكية ، ولقد بدا حاجى مولى مؤامراته بالتصدي لتيرمیزی Tirmizi ، الذى عهدت اليه حكومة دهلى باصلاح بوابة بادون ، وعرف عن هذا الرجل شدة البأس والعنف والفطرسية ، لذا اضمر أهل دهلى له السوء ، وبينما صاحبنا يصلح بوابة بادون أحاط بمسكنه عدد من الاكواخ اقام فيها العمال الذين عهد اليهم بتشبيد القلعة ، وتوجه حاجى مولى الى منزله ، زاعما انه يحمل اليه رسالة من السلطان ، وبينما تيرمیزی يتسلم الرسالة باغته حاجى ورجاله وقتلوه ، واخرج من جيبه خطابا للناس نسبته الى السلطان زعم فيه ان علاء الدين امره بقتله ، وقد أخذ الناس الجزع والفرع بعد هذا الحادث حتى اغلقوا منازلهم وانضم الى حاجى مولى المتدمرون من علاء الدين ، والجند الفارين من جيشه بعد ان اضناهم طول الغياب في احرب والقتال . وافلح حاجى مولى في اشاعة الفوضى والذعر في دهلى ، وبالتمكن لنفسه ، وقاد اتباعه الى السجون ، وامرهم باقتحامها ، والافراج عن تزلاتها ، فكثرت اتباعه وقوى امره ، واشتد بأسه ، واطلق لاتباعه العنان فنهبوا خزينة الدولة ووزع الاسلحة والخيول والأموال على اصحابه وحصل على أموال طائلة من اعمال السلب والنهب التى قادها ، واختار طفلا من سلالة التمش ، وأعلنة سلطانا بدلا من علاء الدين الذى اعلن عزله ، واعتزم ان يحكم ابلاد باسم هذا الطفل ، وقد لقيت خطته قبولا من كثير من سكان المملكة امارهبة او كراهة لعلاء الدين ، فوفدوا على السلطان الجديد وبايعوه وقدموا له فروض الولاء والطاعة (١) .

كان طبيعيا الا يقف علاء الدين مكتوف اليدين ازاء هذه الثورة التى هدمت دولته ومملكه ، فاتخذ الالهبة لآخمادها ، وعهد بهذه المهمة الى ملك حميد الدين ، وبلغ خان ، وسار جيش السلطان الى دهلى ، واشتبك مع حاجى ورجاله في عدة معارك ، انتهت بهزيمة حاجى ، وسحق قوات التمرد ، وقتل حاجى مولى ، وعلقت رأسه على حربة ، ودار بها الجند في شوارع دهلى ، ثم ارسلت الى علاء الدين في رانثمهور ، وحرص حميد الدين على استئصال الفتنة من جذورها ، فأمر بالقبض على اعوان وانصار حاجى مولى ، وصادر امواهم ، التى يسر حاجى لهم نهبها ، واودعت هذه الاموال فى خزينة الدولة ، وانتقم حميد الدين من الثوار فقتل كل من قبض عليه (٢) . ومما لاشك فيه ان اخماد الثورات التى قامت ضد علاء الدين بالعنف

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ص ٣٧٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٨ .

والقسوة أدى الى استتباب الامر للسلطان ، واعادة الهدوء والسكينة الى البلاد ، واخماد الفتن والثورات ، وتوقف حركات التمرد والعصيان .

على ان كثرة الثورات التي حدثت ضد السلطان علاء الدين جعلته كثير الشك والريبة في رجال الدولة حتى المقربين اليه ، فيتهمه بعض المؤرخين بتدبير اغتيال بلغ خان اثناء سيره الى دهلي لقمع حركة حاجي مولى ، اذ خشي ان يتنزع سلطانه ، ولكن بارانى يشك في هذه الرواية التي ردها بعض المؤرخين ، ذلك ان بلغ خان كان شديد الاخلاص للسلطان ، وحزن عليه علاء الدين كثيرا ، بل امر بتوزيع الصدقات على روحه (١) .

غادر السلطان علاء الدين رانمبهور ، واتجه الى دهلي ، وتردد كثيرا في دخولها ، وبقي فترة من الوقت يجول ويصول في ضواحيها ، ولا يجسر على دخولها لان دهلي كثيرة الثورات ضد الحكم الخلجي ، وأمر قواده بتطهير العاصمة الهندية من المتمردين ، ولما اطمأن الى استتباب الامن والنظام في دهلي ، وخلوها من عناصر الثورة والفتنة دخلها ، واخذ في اصلاح احوالها ، وحل مشاكل الجماهير بها (٢) .

واستطاع علاء الدين بفضل ما بذله من جهد من اعادة الامن والطمأنينة الى البلاد ، غير انه لم يضع الحلول المناسبة لتفادي المشاكل الناجمة عن عدم وضع قواعد ثابتة اوراثة عرش دهلي ، الامر الذي ادى الى حدوث ثورات وفتن حول اغتصاب الحكم (٣) .

كان كافور - خصي علاء الدين - مقربا اليه وصاحب حظوة عنده وكان ظموحا يتطلع الى السيطرة على مقاليد الامور في البلاد عقب وفاة سيده ، فانتهاز فرصة اشتداد مرض السلطان ، وحمله على كتابة وصية يتولى ابنه الطفل عمر خان - وكان غرا صغيرا لا يتجاوز السادسة من العمر - وفي نفس الوصية طلب السلطان من ابنه الاكبر خسروخان التخلي عن المطالبة بالعرش ، ولزوم الولاء والطاعة لاختيه الاصغير ، وعهد السلطان الى كافور بالوصاية على ابنه الطفل ، وبذلك حقق كافور على يد سيده السلطان ما

(١) المصدر السابق ص ٢٧٨ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 97.

(٢)

Lal : His . of the Khaljis. p. 96.

(٣)

كان يصبو ويتطلع اليه من الاستئثار بالسلطة والنفوذ في سلطنة دهلي .

لما توفي علاء الدين سنة ١٣١٦ م جمع كافور النبلاء وكبار رجال الدولة ، وأظهر لهم وصية السلطان الراحل التي اودعها اياه والتي تتضمن تولية ابنه شهاب الدين عمر . وبذلك خلف هذا الطفل الصغير اباه ولقب شهاب الدين عمر خلجي . وبتوليته اصبح كافور سيد الموقف في سلطنة دهلي بلا منازع (١) .

ولكى يكتسب كافور احترام وتقدير الناس ، وتزداد سيطرته على السلطان الطفل وعلى الحكم ، تزوج من امه راماديفا Rama Deva وأمر بسمل عين خسرو خان الابن الاكبر للسلطان علاء الدين واخيه شادي خان ، حتى لا يطالب أحد الاخويين بالعرش بعد ان فقدوا الابصار ولم يكتف بذلك ، وانما جرد والده خسرو خان من حليها ، وأمر بنقيها الى جاولييار (٢) .

وشعر كافور انه غير آمن على نفسه ، وفعلا اشتدت المعارضة له ولحكمه ، واستنكر الناس فعله واستبقحوه ، ولم يرضوا عن سيطرته على الحكم ، فضلا عن تشويه واذلال بعض افراد البيت الحاكم ، وعادات الفوضي والاضطرابات الى البلاد ، فسعى الى حماية نفسه من اعدائه المتربصين به ، فعمد الى نفى كل من تحوم حوله الشبهات من الامراء وقواد الجيش وكبار رجال الدولة ، بل شوه بعضهم بالسمل ، وصادر أموال معارضية فضلا عن الحاقه ويلاته بهم ، وازدادت شكوكه ، فأبعد عن البلاط كل اعوان وانصار سيده علاء الدين ، وجردهم من وظائفهم واسندها الى اعوانه وانصاره (٣) .

على أن كافور لم تصف له الامور ، ولم تبسّم له الايام طويلا ، ولم يسعد بالسيطرة على سلطنة دهلي على الرغم من اجراءات العنف وسياسة البطش والقمع التي اتخذها ضد المشتبه فيهم ، فقد تدمر منه الناس وترقبوا ساعة الخلاص من هذا الحكم الفاشم ، واحاطوا كل تحركاته بالتحسس ، ودبرت الكثير من المؤامرات للتخلص منه ، وآخرها حدث حينما أرسل فريقا من جنده لقتل مبارك خان في سجنه ، ولما اقترب الجند من

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٤ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 287.

(٢)

Majumdar : op. cit. pp. 287-288.

(٣)

هذا الامير ، القى ماله من ذهب وفضة لهم وناشدهم عدم التعرض له ، فاستجاب الجند لندائه ، وتيقظ ضميرهم ، ولم يكن غائباً عن اذهانهم ان كافور رجل ظالم مستبد ، وأن الاوان للتخلص منه ، وتمردوا عليه (١) ، بل ساروا الى قصره ، وشنوا عدة هجمات على القصر ، تمكنوا من اقتحامه اخيراً ، وقتلوه ، وبذلك خلصوا البلاد من استبداد وبطش وجور كافور الفاشم الذي حكم البلاد خمسة وثلاثين يوماً ارتكب خلالها اعمالاً عدوانية بشعة ضد افراد البيت الحاكم ورجال سيده (٢) .

لم يكتف الثوار بذلك ، بل افرجوا عن مبارك خان وعينو نائبا للسلطان شهاب الدين بدلا من كافور ، وقد بدا حكمه للبلاد بداية حسنة ، فأعطى الثبلاء والقواد ورجالها اماناً على انفسهم ، ورد اليهم الاموال التي صادرها منهم فطابت نفوسهم ورضوا عنه وناصروه والتفوا حوله وايدوه (٣) ، غير انه عاد الى الاستبداد واعمال العنف ، وحدثته نفسه بالانفراد بالسلطة فنفي شهاب الدين عمر الى جاولييار ، وعزله عن العرش ، وولى هو السلطنة ولم يعد له منازع في الحكم او البلاط واعتزم تحطيم وتدمير كل مراكز القوى التي بالمملكة ، والتي قد تضعف نفوذه او تعرقل سياسته ، وبدأ بالجند الذين افرجوا عنه ، وقتلوا كافور ، وولوه بدلا منه ، فشتتهم في البلاد ، ورفض الاستعانة بهم في ادارة دولته ، وفي نفس الوقت تخلص من انصار كافور ، وكل من يخشي بأسه (٤) .

أعلن مبارك شاه نفسه سلطاناً في ابريل سنة ١٣١٨ وبدأ عهده - كما فعل أسلافه من قبل - بمنح الهبات والهدايا والالقباء لكبار رجال الدولة (٥)

كانت البلاد في ذلك الوقت تمر بظروف حرجة للغاية وفي أشد الحاجة الى حكومة قوية تنقذها من الهاوية التي تردت فيها ، وتتراب الصدع ، وتعيد الأمن والطمأنينة الى الناس ، بعد أن فرقت بلادهم الفتن والثورات ، وعمت فيها القلاقل والاضطرابات نتيجة للمنازعات والمشاحنات حول السلطة والنفوذ ، وأدى السلطان الجديد في مستهل

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٤ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٧٧ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

(٤) Ma jumdar : An Advanced Hist. of India. p. 303.

(٥) باراني تاريخ فيروز شاهي ص ٣٧٧ .

عده دوره فى اعادة الهدوء والسكينة الى البلاد ، واثبت انه رجل الساعة ، واصلح البلاد فاطمأن الناس الى العهد الجديد (١) . وأفرج السلطان عن الألوف الذين زجوا فى السجون بتهم التمرد أو الاشتباه فى ذلك على كافور ، ومنح الجند مكافآت مالية ، وأغدق المال على المحتاجين من رعاياه ، وأعاد الأموال التى صادرها علاء الدين الى أصحابها ، وخفف عن الناس عبء الضرائب ومنع كبار موظفى الحكومة من استغلال الأهلين ، وكان ينظر فى الشكاوى والالتماسات التى يرفعها الناس له ، ويضع بنفسه الحلول المناسبة لهما ، وألغى القوانين الصارمة التى وضعها علاء الدين على التجار (٢) ، وكانت تحدد أرباحهم فانتعش التجار ، وراجت التجارة ، وخفف عن الفلاحين ضريبة الأرض ، ورقع اجور الموظفين . وباختصار تحسنت أحوال الناس المعيشية على اختلاف طبقاتهم (٣) . وإذا أضفنا الى ذلك الحريات التى كفلها للشعب تستطيع أن تقول أن هذا السلطان حقق لبنى وطنه ما لم يحقق لهم منذ سنوات طوال .

على أن رجال علاء الدين لم يرضوا عن السلطان الجديد ، لأنه أقصاهم عن مباشرة شؤون الدولة ، وعولوا على التخلص منه ، وتزعّم هذه الحركة اسد الدين ، وقد انتقد هؤلاء المعارضون السلطان قطب الدين لسوء اختياره لموظفى الحكومة ورؤساء الدواوين ورجال البلاط ، واتهموه بأنه يقضي وقته فى اللهو والعبث والاستماع الى العناء وقاد اسد الدين المعارضة فى مؤامرة كبرى تهدف الى قتل السلطان قطب الدين وهو فى طريقه الى دهلى ، وتوليته - أى تولية اسد الدين - السلطنة (٤) .

لم يقدر لهذه المؤامرة النجاح ، فقد أخطر كبار رجال الدولة السلطان بالمؤامرة قبل تنفيذها ، فتدارك الأمر فى أوله ، وتلاحقه فى ابتدائه قبل أن تضطرم نار الثورة ، ويعم الكرب ويشتد البلاء ، فأمر السلطان بالقبض على زعيم حركة الانقلاب المرتقب ، وكل من اشترك وسأهم فى محاولة قلب نظام الحكم من قريب أو بعيد ، وأمر بقتلهم وصادر أموالهم ، وكان انتقامه شديدا جدا من الثوار حتى انه قتل بعض أطفالهم ، وشرّد البعض الآخر فى شوارع دهلى لا مأوى لهم ، ولا عائل يعولهم ولم يكتف

Majumdar : An advanced Hist. of India. p. 304. (١)

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٤ .

A Short Hist. of India. p. 166. (٣)

(٤) تاريخ فرشته ص ١٢٥ .

بذلك ، بل نصب المشانق فى دهلى واقام مذبحه مروعة قتل فيها كل من ينتمى الى البيت الحاكم بصله وكل من تحوم حوله الشبهات باحتمال قيامه او اشتراكه فى انقلاب ضده فى المستقبل ، واستأصل الفروع والجدور من اسرة علاء الدين ، وأسرف فى القتل واراقة الدماء حتى نائبه الذى كان مخلصا له ، واتهمه بالاهمال وعدم كشف المؤامرة فى حينها (١) .

ولكن سياسة العنف هذه لم تقض على محاولات عزل قطب الدين عن العركن ، فقد ظهرت مؤامرة أخرى اختلف المؤرخون حول اسم السلطان الذى رشحه المتآمرون لتولى الحكم ، وضربوا العملة بأسمه فيذكر مؤرخ متؤخر أنه ابن خسروخان بن علاء الدين ، أما بارانى فلا يذكر ذلك وينفى اشتراك خسروخان أو أحد أبنائه فى المؤامرة ، وعلى ذلك فان الاسم الذى نقش على العملة ، لملك شاهين - نائب السلطان على دهلى والذي قتله السلطان على اثر دخوله دهلى (٢) .

لم يكف السلطان قطب الدين عن أعمال العنف ضد أبناء علاء الدين ، لأنه كان يتوجس منهم خيفة ، ويخشى أن يتآمروا عليه ، وينضم اليهم أنصار أبيهم ، وهم خسروخان ، وشادى خان ، وشمس الدين ، وأمر بالقبض عليهم وارسال افراد عائلاتهم الى دهلى ، وهؤلاء الأمراء سملت عيونهم ، وعاشوا فى المنفى فى شظف من العيش ، وعمد السلطان الى اذلالهم ، فكتب الى خسروخان رسالة ذكر له فيها انه - أى خسروخان - فقد بصره ، واعتلت صحته ، وعرض عليه أن يفرج عنه ، ويعينه حاكما على أحد الأقاليم ، ويمنحه الألقاب والامتيازات المناسبة له ، فى مقابل أن يتخلى عن زوجته ديفال رانى التى قال انه أصبح ذليلا لها ، وطلب منه إرسالها الى البلاط لتهدئه عاطفته نحوها واعادتها اليه بعد ذلك جارية مطيعة . على أن خسروخان قد حزن من هذه الرسالة ، ورفض الاذعان لنداء السلطان ، وتمسك بزوجه بل آثر الموت على التخلي عن محبوبته ، ورفض اغراءات السلطان له التى يهدف السلطان منها اغتصاب زوجته بالقوة . وقد تعرض خسروخان فعلا للموت بسبب رفضه عرض السلطان ، فقد أمر باعتياله ، وكان حدثا مروعا اهتزت له قلوب الناس فى كل مكان ، ووصفه ابن بطوطة وعلم به ماركو بولو من بعض الهنود ، ورواه غيره من الرواه . وارسلت ديفال الى دهلى ، وأمر السلطان بقتل شادى خان ،

Lal : Hist. of the Khaljis p. 296.

(١)

Camb : Hist. of India. 111, p. 131.

(٢)

وشمس الدين وغيرهم واغتصب زوجاتهم ، وشرذ اطفالهم ، وقد وصف لنا بارانى مدى استياء الناس من الجرائم التى ارتكبها قطب الدين (١) ولكن على الباغى تدور الدوائر .

على ان أعمال العنف التى اتبعها السلطان مع اعدائه لم توقف المؤامرات ضده ، ولم تخمد الثورات المعارضة لحكمه فى البلاد ، بل زادت اشتعالا ، وأبرز هذه الانتفاضات ، ما قام به نظام الدين اوليا ، وهو رجل تقى ورع ، طبقت شهرته الآفاق ، ووفد اليه الناس من كل صوب وحذب للزيارة والتبرك ، وكان علاء الدين يقدره ويعتز به ، أما قطب الدين فقد ناصبه العداء ، وخشي من تجمع الناس حوله لما فى ذلك من خطورة عليه ، اذا قاد هؤلاء الجموع فى حركة غزو ضده فمنع النبلاء وكبار رجال الدولة من زيارته ، وحاول اضعافه وابعاد الناس عنه ، فشجع الشيخ زادا على النيل منه ، والحملة عليه ، وتحريض الناس على التفرق من حوله ، كما حرض المشايخ الكبار فى الدولة عليه ولم يكتف بذلك بل أمر بقتله حتى يخمد ما قد يثيره هذا الشيخ من متاعب فى وجه هذا السلطان الظالم (٢) .

أدت سياسة السلطان الداخلية المتسمة باليقظة الى توقف الحركات الاستقلالية فى الكوجرات ودكا ، ولكن قسوته على خصومه واسرافه فى اراقة الدماء ، واستبداده وعدم استماعه لنصح الناصحين ، ادى الى اشتداد كراهة الناس له ، وتطلعهم الى التخلص منه ، وبذلك فقد ثقة الرعية به ، وازداد بطشه للناس ، وقضى أيامه فى لهو وعبث ومجون ، وضم بلاطه المغنون والمغنيات والراقصات (٣) .

لم تتوقف المؤامرات ضد هذا السلطان على الرغم من بطشه بأعدائه ، فاندلعت ثورة ضده فى ديفاكيرى قادها ياك لاکى Yaklakhi فعبول السلطان على اخماد هذه الفتنة وأرسل فرقا من الجيش لقمعها ، ولكن التأثير لم يعد العدة الكافية لصد جيش السلطان ، وكان يعتقد ان جند السلطان سينضمون اليه نظرا لحالة التذمر السائدة فى البلاد ولكن حدث ما لم يكن يتوقع ، فهاجمه جيش دلهى ، وخشي رجاله سوء

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٩٣ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 299.

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٩٦ .

Gibbon. Decline and Fall of the Roman

(٣)

Empire. 1. p. 128.

العاقبة ، فانفضوا من حوله ، عندئذ ضعف أمر الثائر ، فقبض عليه جند دلهى وأمر السلطان بقطع أنفه واذنه (١) . وبذلك فشلت هذه الحركة ، واشتدت قبضة السلطان على الدولة ، وتأكدت سيطرته الكاملة عليها من جديد .

ولكن طغيان قطب الدين واستبداده لم يوقف محاولات قتله واغتياله، فتعددت المحاولات للتخلص منه ، كان آخرها مؤامرة وزيره خسرو ، فقد نجح فى ضم بعض النبلاء اليه ، وعاهدوه النصره والتأييد ، وانضم اليه الكثير ممن لحقهم الضيم على يديه (٢) :١٥

بدأ الوزير مؤامرتة ضد السلطان ، بأن اقنعه بأنه - اى السلطان - يخرج فى حروب كثيرة ، ويجب فى غيابه أن يطمئن على الأمن والنظام فى دلهى ، ولا يستطيع - اى خسرو - الاطمئنان لأحد فى هذه المهمة سوى رجاله المقربين من الكوجرات ، فوافق السلطان على طلب وزيره وامتلأت دلهى بأهل الكجرات ، وأغدق عليهم خسرو الأموال ، واعطاهم خيولا وأسلحة وملابس ، واستكثر خسرو منهم ، حتى صاروا حوالى أربعين ألفا كلهم طوع ارادته ورهن اشارته . وبذلك عظم شأن خسروخان وقوى أمره ، واشتد بأسه ، وعهد الى رجاله بحراسة القصر ، فأصبح هذا السلطان تحت رحمة وزيره ، ودبرت المؤامرة (٣) ، وكان من اليسير جدا نجاحها وتنفيذها وفقا للخطة المرسومة ، فأمر خسرو رجاله بقتل السلطان ، فانهالوا عليه ضربا بسيوفهم حتى قتلوه (٤) وألقوا رأسه فى فناء القصر (٥) . وبذلك تجرع هذا السلطان من نفس الكأس الذى أسقاه الكثيرين فى أبريل سنة ١٣٢٠ م . وخاب كل جبار عنيد .

وقد لحق الناس من السلطان قطب الدين الكثير من المظالم ، على الرغم من أنه بدأ عهده بالعدل بين الرعية وأصلاح أحوال البلاد ولكن المؤامرات العديدة التى تعرض لها جعلته غير مطمئن على نفسه وعلى

Lal ; Hist. of the Khaljis. p. 304.

(١)

IBID.

(٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٢٧ .

(٤) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٤٠٢ .

Majumdar : An Advanced Hist of India. p. 305.

(٥)

ملكه ، فاشتد في قمعها ، وقلب على شعبه ظهر المجن ، فطفى وتجبر ، بل اساء الى مشاعر الناس الدينية ، فأهمل المراسم الدينية كالظهور في الصلاة ، والاحتفالات الدينية في رمضان والعيدين وأساء الى الدرويش - نظام الدين ، وعلى الرغم من ذلك فقد لقب نفسه بألقاب لا يستحقها ، مثل خليفة ، الامام الاعظم ، أمير المؤمنين .

ومهما يكن من أمر فقد عبر خسرو خان عن سخط شعب المملكة الهندية على سلطانها ، وتخلص منه ، لذا نادى به النبلاء ورجال الدولة سلطانا ، وتربع على عرش سلطنة دلهي ، ولقب ناصر الدين خسرو شاه ، وأمر بالدعوة له في الخطبة على أنه أمير المؤمنين (١) .

ولى خسرو شاه العرش في هذه الظروف العصيبة ، ولما كان مدينا لبنى قومه من الكجرات فيما بلغه من جاء فقد خصهم بالمناصب الرفيعة في الدولة ، واعتمد عليهم في شؤون الحكم والادارة (٢) .

على ان هذا السلطان الجديد اتخذ سياسة تختلف كل الاختلاف عن سياسة اسلافه من الحكام المسلمين ، فقد اباح لكفار الهنود باظهار نحلهم وملهم والتعبير عنها علنا . فنصبوا اصنامهم في كل مكان ، وازداد الامر خطورة ، فاستفزوا شعور المسلمين ، ومزقوا المصاحف ، ووضعوا اصنامهم في القصر الملكي ، وهاجموا المساجد واقتحموها ، ومنعوا المسلمين من تأدية شعائرهم فيها ، بل نصبوا اصنامهم في بيوت يذكر فيها اسم الله ، واغتصبوا البنات المسلمات . ومن الطبيعي أن يرض كفار الهنود عن هذا السلطان فالتفوا حوله وناصروه ، ورأوا فيه خير معين على المحافظة على شعائرهم واظهارها والانتقام من المسلمين ، ولم يكتف هذا السلطان بالتغاضي عن ايداء شعور المسلمين الديني بل فرض عليهم الاموال ، وأغدق عليهم (٣) .

وبرر السلطان تصرفه هذا بأنه انتقام من المسلمين الذين دمروا معابدهم ، ودمروا اصنامهم ، وأحرقوا كتبهم . ولذلك يرى البعض بأن حكم هذا السلطان مظهر من مظاهر الردة عن الاسلام ، ونستبعد ما يذكره بارانى بأن السلطان اراد أن يعيد الوثنية الى الهند ، ويعيد البلاد الى حكم راجات الهنود ، ذلك انه دخل الاسلام وهو طفل صغير وعاش

I,al : Hist of the Khaljis. p. 308.

(١)

IBID. P. 312.

(٢)

IBID. P. 313.

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٩ .

ونشأ في الحياة الإسلامية وكان شديدا قاسيا حينما اشتبك في دكا مع كفار الهنود قبل توليته الملك ، بل كان أكثر قسوة من أي حاكم مسلم ، وفي نفس الوقت ظل على دينه وعقيدته وان ظل تاركا حركة اضطهاد المسلمين من كفار الهنود تسير في مجراها دون أن يتدخل لانهاؤها أو يشترك في دفعها ، وابقى على الحكام المسلمين في الولايات ، وربما اراد السلطان بذلك كسب محبة وتأييد فريق كبير من الناس للوقوف الى جانبه ومناصرته ضد حركات التمرد التي انتشرت انتشارا واسعا ضد سلطان دهلي ، ويقودها عادة كبار رجال الدولة من المسلمين ضد هذا السلطان الوضيع الذي ينتمي أصلا الى طبقة جامعي القمامة في الهند الغربية ، فقد عجل بنهايته بسياسته الفاشمة التي آذت شعور المسلمين ، وساد التدمير بينهم ، وأعدوا عدتهم للخلاص من هذا الحاكم - ناصر الكفرة الملاعين .

وقد تفلق حركة المعارضة ضد هذا السلطان ، فزحف بجيش كبير يضم خيرة جند شمال غرب الهند وصنا ديدهم ، الى دهلي (١) ، فأرسل خسرو خان جيشا لصد عدوه ، وقد تناقص جيشه بعد فرار الجند الفيورين على دينهم منه ، وانضمام بعضهم الى جيش تفلق (٢) ، ومهما يكن من أمر فقد التقى الجمعان في ديوبالپور Deopalpur وهزم الجيش الملكي ، وتفرق الجند ، ولاذوا بالفرار ، بل فر قائد الجيش الملكي ، تاركا الاسلحة والخيول والقبيلة والأموال ومهمات الجند واستحوذ جيش تفلق على هذه الغنائم ، ثم زحف تفلق وجنده الى دهلي (٣) ، وانتظر السلطان مصيره المحتوم وقدره الذي حدده بسياسته الفاشمة . سار تفلق وجنوده الى دهلي لا يعترض طريقهم معترض ولما اقترب تفلق منها نصب معسكره ، ودعا الناس في دهلي الى طاعته ، ولقبت دعوته هوى من أهل دهلي الذين كرهوا خسرو خان الذي آذى شعورهم ومعتقداتهم ثم دارت المعركة الفاصلة سنة ١٣٢٠ بين جيش تفلق وجيش السلطان انتهت بهزيمة جيش السلطان ومقتله - أي السلطان - والقيت رأسه في فناء القصر ، كما أقيت رأس مبارك شاه . وبذلك انتهى حكم خسرو خان بعد أربعة اشهر وبنهايته انتهى حكم سلاطين الخلجيين في بلاد الهند (٤) .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 307.

(١)

IBID. P. 308.

(٢)

(٣) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

A Short : Hist. of Hind Pakistan. p. 167.

(٤)

٣ - الاحداث الداخلية فى سلطنة دهلى الاسلامية

فى عهد بنى تغلق

ينسب آل تغلق الى عنصر تركى ، كان يقيم فى الهند منذ زمن طويل ، وأول من حكم سلطنة دهلى من هذه الأسرة ، غياث الدين تغلق شاه ، قدم بلاد السند فى خدمة بعض التجار فى أيام السلطان علاء الدين ، ودخل فى خدمة أولوخان - أمير السند اذ ذاك - فظهرت شجاعته ، وتدرج فى سلك الفروسية ، حتى صار أميراً للخيل (١) ، وكان أولوخان يعده من كبار الأمراء ، وسمى بالملك الغازى لأنه صد الكثير من غزوات المغول وهجماتهم ، وحاصرهم ونكل بهم ، ولما ولى قطب الدين ولاء مدينة دبال يور وأعمالها ، وعهد الى ابنه محمد تغلق بامارة الخيل وظل يشغل هذا المنصب فى عهد السلطان خسرو شاه ، فلما استاء تغلق من خسرو شاه الذى اغتصب العرش ، وقتل السلطان ، وأباح للهنود الوثنيين اظهار نحلهم ، والتنكيل بالمسلمين ، واظهر أمورا منكره منها النهى عن ذبح البقر على قاعدة كفار الهنود (٢) ، وأعلن أى تغلق الثورة والخروج على الطاعة ، وكان له ثلاثمائة من أصحابه الذين يعتمد عليهم فى القتال ، وكتسب الى كشلوخان - أمير الملتان - يطلب منه القيام بنصرته والأخذ بشأر قطب الدين لسابق فضله وإخلاصه ، ولكن كشلوخان اعتذر لأن ابنه فى خدمة السلطان فى دهلى ، فحرض تغلق ابنه باصطحاب ابن كشلوخان ، والهرب سويا من دهلى ، فلحق الرجلان بتغلق ، وحينئذ وامت الفرصة تغلق ، فحشد أنصاره ، واعد العدة ، والتف حوله الكثير من الناس ، فقوى أمره ، واشتد بأسه ، وانضم اليه كشلوخان وزحف الجيش الثائر الى دهلى - كما اوضحنا - وهزم تغلق جيش السلطان بقيادة أخيه - خان خانان - واستولى على خزائنه ، وشتت شمل جنده ، وقصد تغلق دهلى ، وخرج اليه خسرو خان فى عساكره ، وفرق الاموال على أنصاره ، ودارت رحى معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة تغلق غير أن الجند السلطاني انشغل عقب المعركة فى جمع الفنائم فباغتتهم جند تغلق على حين غفلة منهم ، وهزموهم شر هزيمة ، ولاذ من نجا من العدو بالفرار ،

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣١ - ٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٢ .

فدخل جند تغلق دهلى لا يعترضهم معترض ، ولا يعوقهم عائق ، ودخل تغلق القصر الملكى ، وجلس على سرير الملك ، وقدم الناس لمبايعته (١) . وبذلك انتقل حكم سلطنة دهلى من الخليجين الى بنى تغلق .

* * *

لم يقدر لسلطنة دهلى الاسلامية الهدوء والاستقرار فى عهد بنى تغلق ، وانما كثرت القلاقل والاضطرابات فى الدولة وتعرض سلاطين هذه الاسرة للمؤامرات التى تستهدفهم بالدرجة الاولى لانتزاع كرسي الحكم منهم ، بل تأمر الابن على ابيه ، كما حدث سنة ١٣٢٥ ؛ ذلك ان محمد ابن تغلق ثار على ابيه ، وكان الأب ينقم على ابنه تقربه للولى نظام الدين البدوانى ، وساء منه أمور منها استكثاره من شراء الممالك واجزاله العطايا واستجلابه قلوب الناس ، فلما عاد تغلق من سفره ، أمر ابنه باقامة قصر فى الطريق الى دهلى ، واقام محمد بن تغلق القصر ومعظم بنائه من الخشب وصمم هذا القصر بحيث اذا وطئتها الفيلة ، وقع ذلك القصر وسقط ، ونزل السلطان بالقصر ، وأطعم الناس وتفرقوا ، واستأذنه ولده فى ان يعرض الفيلة بين يديه وهى مزينة فأذن له ، فلما وطئت الفيلة القصر ، سقط الكشك على السلطان وولده محمود ، ولقى السلطان حتفه ، ودفن بخارج البلدة التى سميت بأسمه ، تغلق اباد ، وبها كانت خزائن تغلق وقصوره ، وبها القصر الأعظم ، واستولى محمد على هذه الكنوز ، وولى السلطنة ، ولقب ابو المجاهد محمد شاه (٢) .

كان السلطان محمد بن تغلق غريب الاطوار ، فهو أحب الناس الى اغداق العطاء ، واراقة الدماء ، فلا يخلو بابه من مغبى يغنى أو حى يقتل ، وله حكايات كثيرة فى الكرم والشجاعة ، والفتك والبطش بدوى الجنائيات وهو أشد الناس مع ذلك تواضعا ، وأكثرهم اظهارا للحق والعدل ويتشدد فى تأدية الفرائض الاسلامية ، ويعاقب تاركى الصلاة وفاطرى رمضان (٣) .

رأى السلطان محمد بن تغلق نقل حاضرة دولته الى مدينة ديوكر

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٢ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٣) Rawlinson. A Short Cultural Hist. of India. p. 232. IBID. P. 232.

لحصانتها وتوسطها مملكته الواسعة المترامية الاطراف ، ولكى يأمن من خطر المغول الذين يهاجمون دهلى من وقت لآخر ، وأسمى العاصمة الجديدة دولت اباد ، وأمر سكان دهلى بترك بلدهم ، والهجرة الى العاصمة الجديدة طوعا أو كرها ، وشق الطرق المؤدية الى دولت اباد ، وحمل سكان دهلى أمتعتهم ، وهاجروا من مدينتهم الحبيبة الى قلوبهم كارهين (١) ، وساروا الى مقرهم الجديد على كره منهم فى رحلة شاقة ذاقوا فيها ألوان العذاب وهلك كثيرون منهم ، وخربت دهلى بهجرة أهلها منها ، واصبحت بلدة موحشة ، تبكى قصورها ودورها من شيدها وبنائها وأقام صرحها . أما المهاجرون من ديارهم وبلدهم ، فلم يستطيعوا المعيشة فى المدينة الجديدة ، وقاسوا ويلات الجوع والحرمان ، لأن سبل المعيشة فيها غير متوفرة وغير كافية للقادمين الجدد (٢) ، وقد ارتكب السلطان خطأ جسيما لأنه لم يراع الشروط الواجب توافرها فى تشييد المدينة الجديدة ، فيجب أن تقع فى بقعة زراعية تكفل لسكانها العمل والعيش ، أو على طريق تجارى ، يضمن لأهلها المعيشة من عمليات البيع والشراء فضلا عن طيب الهواء للسلامة من الامراض (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد تراجع السلطان عن قراره بعد أن أدرك فشل مشروعه ، وأمر أهل دهلى بالعودة الى بلدهم ، غير أن دهلى قد تطرق اليها الخراب والدمار ، ولم تعد تصلح للحياة ، فشىد السلطان لهؤلاء القوم الذين قاسوا الشدائد من سياسته الفاشمة ، مدينة جديدة قرب دهلى ، كفل لهم فيها أسباب الحياة الميسرة ، والأمن الغذائى (٤) .

لم تستقر الأمور فى سلطنة دهلى فى عهد محمد بن تغلق فقد قامت ضده عدة ثورات ، وحركات استقلالية ، واضطربت الدولة اضطرابا شديدا فغادر السلطان دهلى - على الرغم مما كانت تقاسيه من مجاعة - الى اقليم الدكن ، لقمع ثورته ، لكنه اضطر الى العودة الى دهلى بعد أن فتك الوباء بجنده سنة ١٣٣٥ م ، كما أعلنت البنغال الاستقلال عن دهلى بقيادة فخر الدين ، ولم يستجب امراء البلدان

IBID. P. 233.

(١)

IBID. P. 233.

(٢)

(٣) عصام الدين عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية الكبرى ، ص ١١٣ .

Rawlinson India P. 233.

(٤)

المجاورة للبنغال لأوامر السلطان بالخروج الى البنغال ، وقمع الثورة .
مما يدل على أن سلطان دهلي قد فقد نفوذه في تلك البلاد .

وعمت الفتن والاضطرابات لاهور وديوكر وغيرها من الولايات الهندية ، ولم يستطع السلطان القضاء على هذه الفتن ، وتوفي سنة ١٣٥١ م بعد أن تدهورت سلطنة دهلي ، واستقلت معظم ولاياتها (١) .

لم يكن للسلطان محمد بن تغلق وريث يخلفه ، لذا ولي ابن عمه فيروز تغلق الحكم من بعده ، وقد حكم هذا السلطان بالعدل ، وسار في الناس سيرة حسنة ، غير أنه واجه بعض المتاعب الداخلية ، فقد ظلت البنغال على تمردا وتزعج الحركة الانفصالية فيها حاجي اليأس ، لذا لم يتفاض هذا السلطان عن هذه الحركة ، وعول على إعادة البنغال الى حوزته ، وأرسل منشورا الى الاهلين يدعوهم الى الاستسلام والعودة الى الولاة والطاعة الى سلطان دهلي ، ووعدهم بالعفو والصفح ، ورفع الضرائب عنهم سنة كاملة أن استجابوا لندائه ، وأذاع في منشوره بأنه مفوض من قبل الخليفة العباسي بالقاهرة ، وأن الخروج عليه خروج على الاسلام ، وسار هذا السلطان الى البنغال ، وطهر البلاد في طريقه من المتمردين ، ودخل اقليم ججنكر ، ودخل الراجا في طاعته ، بل اعتنق الاسلام ، كما أن حكام المدن المجاورة ، اقبلوا على السلطان معلنين اسلامهم ، والدخول في طاعته (٢) .

كذلك عاد الزط في لاهور وما جاورها الى التمرد والعصيان ، فعهد فيروز شاه الى أحد قواده لقمع حركة الزط ، فدخل معهم في معركة حاسمة ، أدت الى هزيمتهم ، وأس زعيمهم (٣) .

أما عن الدكن فقد اتجه أهلها الى الاستقلال عن دهلي ، وتمكنوا منه فعلا منتهزين فرصة انشغال السلطان بمتاعبه الداخلية والخارجية ، وقد تعددت الثورات في الهند حتى نتج عنها ضياع مساحات كبيرة من الاراضي من سلطنة دهلي (٤) .

IBID. P. 233.

Prasad, p. 227.

IBID. P. 227.

Rawlinson : India. p. 234.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

على أن هذا السلطان كان محبوبا من رعاياه ، فقد كان بارا بالفقراء
وانشا ديوانا للخيرات لمساعدة الفقراء على قضاء ضروريات حياتهم ، وتقديم
معونات مادية للفتيات الفقيرات فى حالة الزواج ، واعانة الاطفال اليتامى
والعجزة والشيوخ (١) .

لكن سلطنة دهلى ظلت مسرحا للقلقل والاضطرابات . ففى اواخر
عهد السلطان فيروز شاه ، قوض هذا السلطان أمور دولته الى وزيره خان
جهان ظفرخان ، ولكن هذا الوزير اخل بالثقة التى منحها له السلطان ، واعتزم
الاستحواذ على العرش ، وازاحة ولى العهد ، محمد بن فيروز من طريقه
حتى يخلو له الامر ، وضم اليه فعلا بعض الامراء ورجال الدولة ، وحرص
السلطان على خلع ابنه من ولاية العهد بتهمة أنه يتآمر عليه مع بعض اعدائه
ولكن السلطان فطن الى سوء نوايا وزيره ، وعزله ، ومن ثم انفرد محمد بن
فيروز بأمور البلاد بلا منازع ، ولكن هذا الامير كان سيء السيرة ، قاد البلاد
الى الدرك الاسفل ، وعكف على اللهو والعبث بل اعتمد على عناصر السوء
فى البلاط وخارجه ، فثار عليه الامراء ورجال الدولة ، والتفوا حول ابنى
اخى السلطان ، بهاء الدين وكمال . وبذلك أصبح فى دهلى فريقان يتنازعا
السلطة والنفوذ ، وتصدى كل فريق للآخر ، وتدهور الوضع فى البلاد
تبعاً لذلك ، ودارت معارك دامية فى شوارع دهلى بين الفريقين ، فلم ير
السلطان الشيخ بدا من الخروج من عزلته ، وظهر للناس ، واقنعهم بلزوم
الطاعة والهدوء والسكينة ، والتوقف عن اعمال الشغب ، وكان لنداء
هذا السلطان الطيب تأثير كبير فى قلوب الاهلين ، فهدءوا واستكانوا ، وكفوا
عن اثاره الفوضى والفتن (٢) .

عزل السلطان ابنه محمد من ولاية العهد لانه من عوامل الاضطرابات
فى دهلى ، وأسند ولاية عهده الى حفيده غياث الدين بن فتح خان ، ولم
يلبث أن توفى السلطان الشيخ ، وولى حفيده الشاب الحكم . على ان
السلطان الجديد لم يكن جديرا بتولى مهام الحكم ، وهو فى غضاضة الشباب ،
فقد انصرف الى اللهو والعبث ، وأغفل مشورة الامراء وأهل الحل والعقد
فى الدولة ، فثاروا ضده ، وكثر المعارضون له ، وقاد الحملة ضده ابن عمه
ابو بكر ، وهاجم الثوار القصر الملكى ، فلاذ السلطان بالفرار منه ، على أن

IBID. p. 235.

(١)

Rawlinson. op. cit. p. 241.

(٢)

الثوار لحقوا به ، وقتلوه بعد ان حكم البلاد ما يقرب من خمسة اشهر ، وولى ابو بكر السلطنة (١) .

على ان محمد بن فيروز لم يتفاض عن حركة ابن عمه ابي بكر ، واغتصابه العرش ، فجمع حوله الكثير من الانصار فى الدؤاب وقوى امره ، واشتد بأسه ، ودخل دهلى واقتحمها ، وقبض على السلطان الجديد ابي بكر سنة ١٣٩١ ، وولى هو السلطنة . على ان البلاد لم تهدأ فى العهد الجديد ، وانما ظلت مضطربة متوترة وتنافس الامراء ورجال الدولة حول السلطنة والنفوذ ، وانقسم الناس الى احزاب وشيع ، حتى جنح كثير من حكام الولايات وامراء الهنادكة الى نبذ سيادة دهلى والاستقلال بما فى ايديهم من بلاد وحصون (٢) .

وظلت سلطنة دهلى فى هذا الوضع المضطرب حتى توفى آخر سلاطين آل تغلق سنة ١٤١٢ ونصب اعيان دهلى دولت خان - من الاسرة اللودية - حاكما على البلاد ، وتعرضت سلطنة دهلى للغزو التيمورى فى الفترة من ١٣٩٨ حتى ١٤٩٠ م ، الذى اهلك الحرث والنسل ، واتى على الاخضر واليابس ، واقام الخضر خانيون - الذين خلفوا آل تغلق - دولتهم فى دهلى فى ظل هذا الدمار وكان خضر خان اول افراد هذه الاسرة من امراء فيروز شاه التغلقى ، وكان واليا على الملتان ، ولما توفى محمود شاه التغلقى اعلن استقلاله .

الامارات المستقلة فى الهند عن دهلى

لم يكن سلطان دهلى طوال العصور الوسطى قادرا على السيطرة على الولايات التابعة لمملكته ، ومن ثم استقلت بعض الولايات عن دهلى خصوصا البعيدة النائية عنها ، حتى اندمجت نهائيا فى امبراطورية المغول ، وهذه الامارات Jaunpur Mandu وكشمير والبنغال ، واستقلت كذلك مملكة الكجرات سنة ١٤٠٠ وشيد السلطان احمد شاه ١٤١١ - ١٤٤١ مدينة احمد آباد لتكون عاصمة لمملكة الكجرات ، وتقع فى وسطها ، وتشتهر هذه المملكة بسرائها ، وتقدمها فى صناعة المنسوجات الحريرية والقطنية ، وتتصل

IBID. p. 244.

IBID. p. 245.

(١)

(٢)

بالبحر بسهولة ويسر ، وقد اشاد الزوار الاجانب بمدينة احمد آباد ،
وذكر بعضهم انها من اجمل مدن الارض ، وشبهها آخرون بالبندقية (١) .

ومن اشهر سلاطين الكجرات محمد بياجارها (١٤٥٠ - ١٥١١) وكان له
تأثير كبير على الزوار الاجانب مثل الرحالة الايطالي Ludovico di
Varthema ، ومظهر هذا السلطان آثار الدهشة . طويل
القامة ، حاد المظهر ، له شنب كثيف ، ولحية تتدلى الى وسطه ، ويتخذ
أدوية تحصنه من السم (٢) .

ولى محمود العرش فى سن الثالثة عشرة ، ورغم صغر سنه
استطاع أن يسيطر على البلاد ويتغلب على خصومه ، وسيطر على بعض
البلاد المجاورة وتغلب على دولة Champanir الهندية ودخل خلفاؤه
فى حروب مع الراجبوتين فى وسط الهند ، وفى سنة ١٥٣٤ استولى
السلطان محمود (١٥٢٦ - ١٥٣٧) على شيتور ولاذ أميرها بالفرار ،
والقت النساء فى هذه البلدة بأنفسهن فى النار حتى لا يقعن فى الأسر ،
وتعرض رجال شيتور لسيوف المسلمين ، ومزقوا شر ممزق . على انه فى
العام التالى هزم سلطان دهلى همايون ، سلطان بهادور ومن ثم سادت
الفوضى والحروب الاهلية امارة الكجرات حتى امتلكها الامبراطور المغولى
اكبر سنة ١٥٧٢ م (٣) .

واشتهرت العاصمة احمد آباد بجمال مبانيها ، وشيد بها العديد
من المساجد، وتميزت بارتفاع ورشاقة مآذنها. وشيد السلطان محمود بفارها
قصرًا على ضفاف بحيرة صناعية فى سارخيخ ، وتقع على بعد اميال قليلة
من المدينة . على أن أهم انجازاته العمرانية ، المسجد الجامع فى
شامبانير وبه قبة رائعة ومآذن وأعمدة ، ومزين من الداخل ، ونقشت على
جدرانه آيات قرآنية ، ويعد من اجمل المنشآت الدينية وابهاها فى غرب
الهند (٤) .

وفى سنة ١٣٤٧ خلال حكم محمد تغلق ، انتهز ضابط افغانى يسمى

Rawlinson. op. cit. p. 249. (١)

Rawlinson. op. cit. p. 250. (٢)

Manual of Indian Hist. p. 176. (٣)

IBID. P. 177. (٤)

حسن جانجو الفرص ليكون دولة مستقلة عاصمتها Gulbarage
فى جنوب غرب الهند وتسمى دولة حيدر آباد ، واستمرت مملكة البهمانى
من سنة ١٣٤٧ حتى سنة ١٤٨٢ ، وامتدت فى ابان قوتها من البحر
الى البحر ، واشتملت على حيدر آباد ومنطقة فى جنوب مدراس ،
وجزءا من منطقة بومبى ، ومن الطبيعى ان يدخل امراء حيدر آباد فى
حروب مع الحكام الوراثيين الذين انتزعوا منهم الحكم . واشتمل
بلاط ملوك البهمانى على مواطنين واجانب . وقد تحيز ملوك البهمانى
الى الاجانب دون المواطنين الذين عمدوا الى اضعاف شأنهم ، وانتهجوا
سياسة دعوة فريق من المغامرين من العرب وفارس وبلاد الافغان ،
واسندوا اليهم المراكز الهامة فى البلاد . وادى ذلك الى احقاد عميقة .
وزاد الامر سوءا ان القادمين الى البلاد من الشيعة . اما المواطنون
فسنين (١) .

انقسمت مملكة البهمانى الى اربع ولايات ، تتمتع كل منها بقدر
من الاستقلال ولكل حاكم من حكام الولايات جيشه ، ومن حقه فرض
الضرائب وجبايتها من ولايته ويعين الموظفين الذين يساعدونه فى حكم
الولاية . وبالجمله كان يشرف على الشؤون الادارية والمالية والدفاعية
لولايته . اما السلطان فيساعده ثمانية وزراء ، كل مسؤول عن اختصاصه
مثل المالية او الشؤون الخارجية ، القضاء ، الامن . . . الخ ونظم ملوك
هذه الاسرة الجيش احسن تنظيم (٢) .

لما توفى مؤسس هذه الاسرة سنة ١٣٥٨ خلفه ابنه محمد الاول
وبدا هذا الملك حكمه بان حصل على تقليد بالحكم من الخليفة العباسي
بالقاهرة حتى يضى على حكمه الصفة الشرعية .

نشبت حرب بين مملكة بهمانى ومملكة Vijayanagar ،
تقدم فيها جيش بهمانى عبر اراضي العدو ، ولكنه لم يستطع مهاجمة
اراضيها . وانتهت الحرب بعقد اتفاقية سلام بين الطرفين (٣) .

وولى محمد الثانى العرش سنة ١٣٧٨ ، وكان حاكما عادلا مصلحا
شجع العلوم والآداب ، ودعا الى بلاطة الشاعر حافظ بن شيراز ، وشيد
مدارس لابناء المسلمين اليتامى ، وحاول بكل ما يستطيع تقديم العون
وتخفيف المعاناة عن الارامل والفقراء من النساء . ومن سلاطين هذه

Rawlinson. op. cit. p. 252.

IBID. p. 252.

IBIBD. p. 252.

(١)

(٢)

(٣)

المملكة الأقوياء فيروز شاه (١٣٩٧ - ١٤٢٢) كان حاكما مستتيرا ومصالحا . وبلغت المملكة في عهده اوج عظمتها وازدهارها . ولقد فرض السلام على مملكة Vijayanagar بعد أن لقنها درسا قاسيا على الرغم من قسوة جيشها وضخامته ، فقد دبر أحد ضباطه خطة ناجحة بأن عهد الى بعض جنده بالتنكر في زي مشعوذين ، واستطاعوا اقتحام معسكر العدو ، والقوا الذعر بين الجنود الهنود ، وفي خلال ذلك تمكن الجند المسلمون من مهاجمة العدو ، وهزموهم شر هزيمة . وانتهت الحرب بين الفريقين بعقد معاهدة سلام تعهد فيها راجا Vijayanagar بتقديم فيله ومبالغ من المال للسلطان فيروز شاه . وقدم له إحدى بناته ليتزوجها . وتزوج السلطان من ابنة الراجا . غير أن هذا الزواج لم يؤد الى ارساء سلام دائم بين المملكتين المتنافرتين (١) .

ولقد شيد السلطان فيروز المنشآت الضخمة في مملكته ، وكان يحب ويشجع العلوم والآداب والموسيقى ، واهتم بالدراسات الدينية في مختلف الأديان ، وكان قصره يضم نساء أوروبيات وهنديات ، واستطاع السلطان التفاهم معهن بلغاتهن . وانتهت حياة هذا السلطان بمؤامرة دبرها ضده أخوه أحمد الذي خلفه في الحكم ، ونقل هذا السلطان عاصمة بلاده الى بدار Bidar ، وتقع في نقطة هامة ترتفع عن سطح البحر قدر ٢٥٠٠ قدم . والى غربها يمتد سهل منبسط يضم أشجار المانجو والتمر هندي (٢) .

وآخر من حكم مملكة البهماني ، محمد شاه الثالث (١٤٦٣ - ١٤٨٢) ويرجع ما حققه من نجاح في سياسته الى وزيره محمود جوان ، وينتمي الى اسرة فارسية عريقة وعرف عنه المهارة القتالية والحنكة الادارية والعدالة والمقدرة السياسية والمالية ، وكان يعيش حياة زهد وتقشف ، وأسس مدرسة في بدار ، مبناهما ضخمة مرتفع ، وغرف المحاضرات مضيئة ، وتشتمل مكتبة المدرسة على ثلاثة آلاف مجلد ، وبالمدرسة غرف للأساتذة والطلاب ومسجد ، والواجهة نقش عليها آيات قرآنية .

على ان السلطان قلب ظهر المجن على وزيره ، فقد اتهم بمحاولة خلع السلطان ، وتنصيب نفسه حاكما مستقلا على المملكة . ولقد سعى حكام الولايات وكبار الموظفين الى بث الوقيعة بينه وبين السلطان لانه تشدد في مراقبتهم ، ولم يتهاون مع واحد منهم ، فضلا عن انه فارسي الاصل ،

Manual of Indian Hist. p. 178.

(١)

H.R. Major : India in the Fifteenth century. p. 130.

(٢)

وما زالوا بالسلطان حتى خشي من تأمر وزيره عليه ، ووجه اليه السلطان
تُهمة الخيانة العظمى ، ودافع الوزير عن نفسه ، وأنكر التهمة ، وحاول اثبات
براءته ، فحذر الوزير جوان السلطان من مغبة وعاقبة قتله ظلما ، لان ذلك
سيؤدي الى فقدانه لشخصيته وضياع ملكه . وقتل الوزير المصلح وهو في
الثانية والسبعين من العمر ، بعد أن خدم المملكة باخلاص خمسة وثلاثين
عاما . وبعد فترة من الوقت اكتشف السلطان أن وزيره قتل ظلما ، فشعر
بالذنب ، وظل يتناول الشراب من الخمر ، وهو يردد أن محمود جوان
سيقطعه أربا وما زال يشرب حتى توفي (١) .

أخذت المملكة في الضعف والتدهور بعد وفاة هذا السلطان وعمت
الفوضى البلاد ، وساد القتال في الشوارع بين المواطنين الهنود والوافدين
الإجانب ، وحكم البلاد ملوك كانوا العوبة في ايدي القواد الاتراك . وظل
الامر كذلك حتى استعان آخر ملوكها بسلطان المغول في دهلي - باير -
لانتقاه من الفوضى السائدة في البلاد . ودخلت المملكة في حوزة دهلي ،
وتوفي آخر ملوك البهماني سنة ١٥٢٦ (٢) .

نشأ مجتمع جديد في مملكة البهماني من تزاوج العناصر الأجنبية
بالعناصر الوطنية . أما الفلاح في القرية فلم يطرا جديد على حياته الا في
عهد الوزير جوان ، فقد حقق الزراع دخلا كبيرا نتيجة لسياسته الاقتصادية
واستتباب الامن والنظام في البلاد ، وعم العمران حتى تشابكت القرى ،
ولقد وصف لنا رحالة روسي اثنا سيوس Nikitin (١٤٧٠ - ١٤٧٤)
محمود الثاني بأنه في العشرين من عمره ، وعنده جيش ضخم يتكون من مشاه
مسلحين وفيله مهيأة لركابها ، وفي كل قرية مسجد يتعلم فيه الاطفال القرآن
الكريم ، ويديرها القاضي بمقتضى الشريعة الاسلامية ، وفي المدن مدارس
لتعليم اللغتين العربية والفارسية ، ولها اوقاف ينفق من ريعها على ادارتها .
واضعف من شأن ملوك البهماني ، ادمانهم للشراب ، الامر الذي تسبب في
ضعف الادارة الحكومية والتدهور الاقتصادي والاداري وكثرة الحروب
الاهلية .

وملوك البهماني ، اهتموا عموما بالعمارة ، ويتجلى ذلك في القلاع التي
شيدوها في طول البلاد وعرضها ، وأدى اختراع البارود الى ضرورة تقوية
القلاع واحيطة بأسوار ضخمة ، أشهرها قلعة دولت آباد .
قلنا ان مملكة البهماني انقسمت الى اربع ولايات ، ولما ضعفت هذه
المملكة تطلع الولاة الى الاستقلال بولاياتهم ، ومن أقوى هؤلاء الولاة ، يوسف

IBID. P: 132.

IBID. P: 133.

(١)

(٢)

عادل شاه حاكم ريجابور ، أعلن استقلاله سنة ١٤٨٩ ، وكان عبدا اشتراه الوزير جوان ، وهو الابن الاصغر للسلطان التركي مراد الثاني ، حيث هرب في وقت استخلاف أخيه وهرب من القتل ، وتعرف جوان على مقدرته وأسند اليه وظيفة رئيسية . وأثبت يوسف عادل شاه أنه حاكم قدير ومستنير ، استفاد من استاذة جوان ، ترك المذهب السني ، واعتنق المذهب الشيعي ، وتزوج امرأة من Martha وأخلص لها ، واستعمل لغة المارثا في المخاطبة ، وكان ذلك من أسباب تقرب الهنود له ، وأسند المناصب الرسمية للهنود ، ويصفه فرشته بالحكمة والفصاحة والنجابة وكان موسيقيا بارعا واديبا فذا ، حرص على بث الفضيلة بين وزرائه ورجال دولته وضرب المثل بنفسه ، وحثهم على التعامل مع الاهلين بالعدالة والحكمة ، وجلب الى بلاطه رجالا أكفاء من فارس وتركستان والروم ، وفنانين من مختلف البقاع والاصقاع ، وكفل لهم الحياة الكريمة الهنيئة ، ووضع لخلفائه المبادئ والاسس التي ينبغي للحاكم أن يتحلى بها (١) .

ومن ابرز حكام ريجابور ابراهيم الثاني (١٥٨٠ - ١٦٢٦) واصل سياسة اسلافه الحكمة ، وشجع التجارة مع القوى الخارجية ، وجلب الى بلاطه الفنانين والادباء وتعاطف مع المسيحيين ، ومنحهم اراض لاقامة كنائس ، واهتم بالادب الفارسي ، والادب الاردي على السواء ، وأوجد مدينة Nauraspur كمركز أدبي وديني ، وآخر حكام بيجابور العظام ، السلطان محمد عادل شاه (١٦٢٦ - ١٦٥٦) خضع للمغول مضطرا سنة ١٦٣٦ م (٢) .

ومدينة بيجابور تقع على الفى قدم فوق مستوى البحر ، وبها أسوار دفاعية هائلة ، وعليها ابراج نصب عليها مدافع ، وتمثل هذه المدفعية مهارة وسائل الدفاع ، واشتهرت هذه المدينة بمدارسها وأساتذتها ، ومن أشهر أساتذتها ، محمد قاسم فرشته ، قدم من استراباد ، واستقر في احمد ناجار ، ولجأ الى بلاط ابراهيم عادل شاه الثاني في سنة ١٥٨٩ . وتاريخه عن الاسلام في الهند ، فريد في نوعه كتاب فيه الاصاله والنقاوة ، بعيد كل البعد عن التأثير ببلاط السلطان والكتاب مرجعنا الرئيسي عن تاريخ الاسلام في الهند في الفترة ما قبل سنة ١٦١٢ وترجم الى الانجليزية بواسطة الكولونيل Briggs . سنة ١٨٢٩ (٣) .

Rawlinson. op. cit. P. 256.

IBID. P. 258.

IBID. P. 258.

(١)

(٢)

(٣)

البَابُ الثَّالِثُ

العلاقات الخارجية

لسلطنة دهلئ الاسلامفة

١ - مع دول الهند المستقلة .

٢ - مع الفسول .

واجهت سلطنة دهلي منذ قيامها مشاكل خارجية معقدة ، فهي معرضة لغزو المغول المدمر من حين لآخر والولايات التابعة لها تحاول وتسعى الى الانفصال عنها ، واتبعت السلطنة منذ قيامها سياسة خارجية تتضمن توسيع رقعة اراضيها في بلاد الهند ، لذلك اشتبكت في عدة حروب مع راجات الهند الذين دافعوا عن استقلال ولاياتهم بكل ما اوتوا من قوة . وهنا يجب ان نتساءل عن العوامل التي دفعت سلاطين دهلي الى بذل الجهود في توسيع رقعة اراضيهم .

هناك دوافع اقتصادية لها اهميتها ، ذلك ان حكومة دهلي سعت الى الاستفادة من اقتصاديات البلاد التي تطلعت الى فتحها مثل اقليم الكجرات الفنى . يضاف الى ذلك انه من الناحية الاستراتيجية تأمن السلطنة على نفسها كلما ضمت اراض اليها حتى لا تكون محاطة بأعداء يحاولون الانتفاض عليها في الوقت المناسب وهناك عامل لا يمكن اغفاله وهو نشر الاسلام في غير بلاد الاسلام .

بدأت سياسة التوسع في بلاد الهند في عهد السلطان جلال الدين خلجى ففي نهاية سنة ١٢٩٢ ، طلب علاء الدين من السلطان جلال الدين أن يأذن له بغزو فيديشا Vidisha بعد أن أتم فتح ما ندور Mandor واجتاز غين Jhain للمرة الثانية ، ووافق السلطان على طلب ابن أخيه ، فغادر كره ، وطهر البلاد في طريقه من الأعداء ، وحينما بلغ البلدة ظهر امامها بقواته ارتاع أهلها ، وفزعوا وجزعوا ، وأخفوا اصنامهم حتى لا تتعرض للتدمير من قبل الجنود المسلمين ، وهاجم علاء الدين البلدة بقوة وضراوة ، ودمر معابدهم ، وغنم مغانم كثيرة ، وعاد الى دهلي يحمل من بين الفنائم قطعاً من الأصنام التي دمرها (١) ، وأمر جلال الدين بالقائها عند بوابات المدينة يراها الناس رمزا لانتصار الاسلام على الكفر والشرك بالله ، وكأفاً السلطان صهره وابن أخيه علاء الدين بأن أسند اليه منصب رئيس ديوان العرض (الجيش) واقطعه مدينة أوده (٢) .

وكان علاء الدين ظموحا ، يتطلع الى خوض غمار حروب يحسب فيها انتصارات يجنى منها ثروات طائلة وشهرة فائقة ، أستمتع عن ثروة

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 34.

(١)

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 36.

(٢)

مملكة ديفا جيري فاعتزم غزوها وحشد جيشا قويا في كره لهذا الغرض ،
 وطلب موافقة السلطان على الغزو ، وأغراه بالفنائم التي تؤول اليه من
 غزواته ، فلقى إجابة استجابة من السلطان الذي كان يولى ابن أخيه
 ثقة كبيرة ، ويفضل عن نواياه نحوه ، وأمدده السلطان بجيش قسوى
 معد خير أعداد ، الأمر الذي جعل علاء الدين مستعدا للغزو بجيش قوى ،
 سار على رأسه الى ديفاجيري وتقع بين الهند الشمالية وجزيرة دكا ،
 وفي شمالها وشمالها الغربى تقع مملكة مالوا Malwa وجوجرات ،
 وفي الشرق والجنوب تقع مملكة تلنجانا Telingana و Dwar as amudra
 وظلت هذه المملكة في مأمن من الخطر الخارجى ، الذى تعرض
 له شمال الهند فى الفترة ما بين القرن الثامن والثالث عشر الميلادى حتى
 تطلع علاء الدين الى غزوها ، وكان يحكم هذه المملكة فى الوقت الذى
 غزاها فيه علاء الدين أسرة فادافا Vadava وحاكمها يسمى واجاشاندرا
 Chandra ، وتدعى هذه الاسرة لنفسها نسبا عريفا ، وسيطرت هذه
 المملكة فى القرن ١٣ على جوجرات ومالوى والبلاد المجاورة واصبحت
 قوة بحسب لها الف حساب وحساب فى شمال الهند ، ولما ولى راجا
 شندرا الحكم ، حرص على تقوية جيوش مملكته ، وأكد سيطرته على
 البلاد التى ذكرناها ، وأصلح أحوال مملكته الداخلية ، ونشر فيها الأمن
 فعم البلاد الرخاء فى سنى حكمه التى تجاوزت خمسة وعشرين عاما ،
 وانتعشت التجارة وراجت الصناعة وعمرت خزينة البلاد ، ولم يعد لها
 حكام اجانب ينهبون ثرواتها ، وتطلع علاء الدين الى غزو هذه البلاد
 طمعا فى ثرواتها الهائلة ، وذهبها الكثير ومجوهراتها الثمينة وأحجارها
 الكريمة (١) .

وقف علاء الدين على قوة مملكة ديفاجيري ، واستعداداتها العسكرية ،
 وقوة ملكها ، فأعد جيشا قويا ، وغادر كراة اوائل سنة ١٢٩٦ ، ولكى يغطى
 موقفه ويوهم ملك ديفاجيري بأنه لا يقصده ، أتجه الى شانديرى ، زاعما
 انه يعتزم غزو هذا الحصن الذى يقع فى وسط الهند ومنه يتجه الى
 فيديشا Vudisha وأمن جميع الطرق المؤدية اليها ، وعبر بقواته
 الجبال التى اعترضته ، وسار بعناية فائقة على رأس جيشه ، عبر
 التلال الوعرة ، واجتاز انهارا ، ولما قرر علاء الدين انهاء المعركة فى أسرع
 وقت ، لم يبق فى دكا كثيرا حتى لا يثير شكوك ملوك الهند الأقوياء
 فى نواياه ، ولا يعارضه نبلاء دهلى الكارهين له ، والمتربصين به وحرص

Lal : Hist of the Khaljis. p. 41.

(١)

أن يتفوق في الحرب ، لأن عودته الى كره منهزما ، تضعف من شأته ، وتعطى لأمرائه سلاحا للنيل منه ، وأتجه الى مملكة ديفاجيرى دون أن يسمح لقواته بالاعتداء أو الهجوم على البلدان التى فى الطريق لأن ذلك مضيعة للوقت ، ويبعده عن هدفه الرامى الى اجتياز المملكة فى أسرع وقت ، وأطلق أشاعة مؤداها أنه يعارض جلال الدين ، ويتجه الى راجا Rujmundri فى تلنجانا قادمًا لعقد محالفة معه ، حتى لا تتعرض له البلاد فى طريقه الى ديفاجيرى (١) .

ومهما يكن من أمر فقد وصل علاء الدين الى مشارف المملكة ، وخرج الناس فيها لمقاومته ، وقادت بعض حركات المقاومة امرأتان ، قادت كل منهما فرقة من الجند وتصدت لمقاومة علاء الدين ، وفشل فى صد هجماتها العنيفة ، فانسحب منهزما ، ثم عاود الهجوم ، وأحرز انتصارا رائعا على أعدائه بعد أن ضعفوا ووهنوا ، وانسحبوا من المعركة يجرون أذيال الفشل والخيبة ، وكانت هزيمتهم فادحة ، وخسارتهم مروعة (٢) .

مهدت هذه المعركة التى انتصر فيها علاء الدين ، الى الزحف داخل مملكة ويفاجيرى دون أن يعترضه معترض ، أو يقاومه مقاوم ، وأثار علاء الدين حماس جنده ، وابلغهم أنه لا يزال امامهم عمل شاق ، ينتظرهم ، وإذا كانت النساء فى هذه الاصقاع يحاربن بشدة وضراوة ، فماذا يفعل الرجال ؟ وأغرى جنده - فى نفس الوقت - الثروات الهائلة والمغانم الكثيرة التى يحصلون عليها من فتح هذه المملكة ، وجدد جنده يمين الولاء والطاعة له ، وتعهدوا بمواصلة الحرب تحت قيادته حتى الموت (٣) .

باغت علاء الدين وجنده المملكة ، ففزع الملك وجزع واستنجد الملك بحلفائه من البلاد المجاورة ، واعتصم بقلعته ، وتقع على تل مرتفع جدا ، قوية التحصين ، وحاصر علاء الدين القلعة ، وشدد عليها الحصار ، حتى

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١١ .

(٢) باراقى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٠٠ .

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 42.

(٣) :

نفذت المؤن والأقوات ، وقبض علاء الدين على رؤساء التجار ، وكانوا يمدون القلعة بما تحتاجه من ميرة ، كما استولى على اسطبلات الملك ، وغنم ما فيها من فيلة وخيول . لذا لم يستطع الملك مقاومة الحصار طويلا (١) بعد أن نفذت المؤن والمعدات من القلعة ، وأصبح من العسير تزويدها ، وتخرج موقف الملك ، ورأى أن لا طاقة له بعلاء الدين ، واستخدم علاء الدين سلاح الحرب النفسية ، فأشاع أن الجند الذين معه مجرد طلائع لجيشه فقط ، وهو في الطريق الى ديفاجيري ، الامر الذي اضطر الملك الى طلب الهدنة ، وعقدت فعلا ، وبمقتضاها تتوقف العمليات الحربية ، وينسحب علاء الدين وجيشه من ديفاجيري ، ويتبادل الطرفان أسرى الحرب (٢) .

على ان هذه الهدنة لم توضع موضع التنفيذ ، ذلك ان سنغانا Singhana ولى العهد - الذى كان خارج العاصمة وقت الحرب عاد بعد الاتفاق على هذه الهدنة ، وأثاره هذا الاتفاق ، واعتبره هزيمة ونيلا من كرامة الملك ، والمملكة فقرر نقض الهدنة ، ومحاربة العدو بكل ما أوتى من قوة ، وأرسل الى علاء الدين يهدده ويتوعده ، وينذره بسرعة الانسحاب بدون قيد أو شرط (٣) .

رفض علاء الدين التهديد ، ولم يكن هناك بد من الحرب والقتال ، واعد العدة لمواجهة العدو وقهره ، واتبع في ذلك خطة واضحة ، فأبقى على حصار القلعة بفرقة من جيشه ، أسند قيادتها الى نصرت خان ، وبذلك حال بين الملك وبين الاتصال بابنه العنيد ، ودارت رحى معركة عنيفة بين سنغانا وبين علاء الدين ، وانسحب نصر خان من امام القلعة ، وانضم الى علاء الدين وشيّد علاء الدين من هجماته على العدو حتى وهنوا وضعفوا (٣) ففروا الى الحقول المجاورة ، وبعد انتصار علاء الدين ، عاد الى القلعة ، وجد حصاره لها ، وقتل الكثير من جندها ، وإستنجد الملك بعد فوات الأوان بإراجاة البلاد المجاورة ، وانتهت الحرب باستيلاء علاء الدين وسيطرته على المملكة ، ولم يبق سوى القلعة ، فعاد اليها ، وشدّد حصاره لها ، ورأى الملك أن لا قبل له بعلاء الدين ، واستولى على القلعة ، وغنم مغانم

(١) تاريخ فرشته ، ص ٩٦ .

(٢) المصدر السابق

(٣)

Lal : Hist of the Khaljis. p. 45.

كثيرة ، منها عدة أحمال من الذهب ، وكميات كبيرة من الاحجار الكريمة
والمعادن (١) .

وبذلك حقق علاء الدين هدفه من هذه الحملة ، فقد استسلمت مملكة
ديفاجيرى له ، وتعهد ملكها بدفع جزية سنوية ، وتزوج علاء الدين من
ابنة الملك وانسحب من المملكة بعد ان حصل منها على ثروات هائلة اختلف
المؤرخون في تحديدها وتقديرها ، ولم يكتف علاء الدين بذلك بل اجبر الملك
على دفع جزية سنوية عن ولاية Ellichpur الشبور التابعة له ، وافرج
علاء الدين عن اسرى الحرب ، وغادر ديفاجيرى ، وفي طريقه الى كره ، دمر
حصن اسير جره Asirgarh الذي يحكمه ثحد الراجات ولم ينج من الحصن
الا من لاذ بالفرار (٢) .

وبينما كان علاء الدين مشغولا في عملياته الحربية ، نثار جلال الدين
الى جاوهار في مستهل سنة ١٢٩٦ ، وقد غضب من مسلك علاء الدين ،
اذ لم يأذن له بمهاجمة ديفاجيرى ، وان كان قد اسعدته الانتصارات الرائعة
التي احرزها هذا الامير في المعارك التي خاضها ضد العدو ، بل عقد
احتفالات كثيرة بهذه المناسبة .

ولما عاد علاء الدين الى كره محملا بالفنائم ، لم يتصل بالسلطان
جلال الدين عدة أشهر ، ووقعت الوحشة بين الرجلين ، واستعد جلال
الدين للمسير الى كره لاعادة ابن اخيه الى الطاعة والولاء ، ولكن علاء الدين
لما رأى الموقف في دهلى ضده ، ويهدد طموحه ونفوذه ، أرسل الى عمه
جلال الدين يستعطفه ويسأله العفو والصفح ، ويعدده بأرسال الفنائم
والثروات الهائلة - التي حصل عليها - اليه ، فلقبت هذه الدعوة استجابة
من الملك الشيخ فأرسل الى ابن اخيه امانا وعفا عنه وعن كل أخطائه ،
ولكن علاء الدين كان يظمر السوء لعمه ، ويتطلع الى التخلص منه ، والقبض
على زمام الامور في ساطنة دهلى (٣) .

وانتهت الخلافات بين الرجلين - كما قلنا بتخلص علاء الدين من
عمه السلطان ، وولى السلطنة بعد أن تغلب على العقبات التي اعترضته ،

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٠٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٣ .

(٣) بارانى ص ٢١٩ .

ودخلت المملكة في عهد جديد ، تطلع الناس من خلاله الى مستقبل سعيد (١) .

تعرضت سلطنة دهلي لمشاكل خارجية هددت كيانها ووجودها ، فقد شن الغزاة من أهل الهند وغير أهل الهاد عدة حملات عليها ، فلم يكف المغول عن غزو سلطنة دهلي سنويا من الشمال الغربي ، كما أن قبائل الكهكيرية الشديدة المراس تكررت هجماتها في البنجاب والملتان والسند ، وتثير الرعب والفرع في النفوس وفي جنوب السند تقع مملكة الكجرات الغنية ، ويحكمها أحد الامراء الراجبوتين ، وبالقرب من الكجرات تقع الممالك المختلفة ، ويحكمها امراء من الراجات ، وكلها مستقلة عن بعضها ، ومستقلة عن سلطنة دهلي ، ولم يستطع الحكام المسلمون السيطرة الكاملة على هذه البلاد ، وفي نفس الوقت تحافظ دول في الهند مثل شيتور Chittor وراثمبهور على الاستقلال عن دهلي وفي وسط الهند تقع ممالك مالوا و Dhar ويوجين Ujjain وكلها مستقلة . (٢)

بينما حكم راجات الهنود أو الامراء المسلمون بهار والبنغال واوريسا . وفي البنغال بالذات حكم ناصر الدين محمود وخلفاؤه من بعده مستقلين ، وكانت الدواب في أيدي الاقطاعيين من المسلمين أو الهنود . ولم يصل نفوذ دهلي الى اودة والبلاد المجاورة لها (٣) .

راى علاء الدين ضرورة السيطرة على كل هذه البلاد ، وتوسيع رقعة دولته على حساب البلاد المجاورة لها ، فبدأ بتنظيم شؤون دولته ، والضرب بيد من حديد على مثيري الفتن والانقسامات الداخلية ، وفي نفس الوقت أعد جيشا قويا لتنفيذ سياسته (٤) .

تطلع علاء الدين الى مملكة الكجرات ، وكانت من أعظم الممالك الهندية ثروة في العصور الوسطى ، ونتاجها الزراعي يأتي بعد الدواب وانتعشت فيها الصناعة ، وراجت التجارة ، ومن موانئها حملت صناعاتها الى بلاد فارس وبلاد العرب وزارها ماركوبولو ، وأعجب بطيب هوائها ، وتقاوة وعذوبة مائها ، وجمال عمارتها ، وازدهار زراعتها . وجدير بالذكر ان هذه

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 68. (١)

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 63. (٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .

(٤) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٤٧ .

المملكة تعرضت لغزوات الغزنويين والغور والماليك ، وظلت تحت ظلم
الراجبوتيين حتى شرع السلطان علاء الدين في غزوها ، وقسم جيشه الى
قسمين أسند قيادة الاول الى يلغ خان ، والثانى الى نصرت خان وقد غادر
يلغ دهلى في فبراير سنة ١٢٩٩ ، وأمره السلطان بأن يسير من السند ويلحق
بالقوة التى يقودها نصرت خان (١) .

اجتاز يلغ خان البلاد التى في طريقه الى كجرات واستولى عليها ،
وبدأ بمهاجمة الكجرات ، واستولى على مدينة انهلواره الجميلة ، وقد فزع
رأجا المدينة ولاذ بالفرار الى ديفاجيرى ، وأسر المسلمون رجاله ، واستولوا
على كنوزه ، وتعقبت فرق من الجيش الملك الهارب بينما سارت فرق أخرى
الى سومنات - وقد أعيد بناؤه بعد أن دمره السلطان محمود الغزنوى ،
وصادر المسلمون الثروات الهائلة التى كان يدعها الهنود لزوار هذا المعبد ،
ودمروا الصنم ، وحمل الى دهلى واجمع المؤرخون على ان نصرت خان
وبلغ خان دمرا مدنا بأسرها في الكجرات ، وغنموا ثروات هائلة من القصور
والمعابد في الكجرات (٢) .

سيطرت جيوش دهلى على مملكة الكجرات بعد معارك متعددة مع
جندها ، وعادت الى دهلى محملة بالغنائم الهائلة ، تتضمن أسرى من
الرجال والنساء والولدان وكميات هائلة من الذهب والفضة والحلى وأمتعة
لا تقدر بثمن (٣) .

وفي أثناء عودة الجيش الى دهلى محملا بالغنائم حدثت معركة تمرد في
الجيش ، واستولى بعض الجند على قدر كبير من الغنائم ، وقتلوا بعض
اقرباء قائدى الجيش بلغ خان ، ونصرت خان ، غير ان المتمردين فروا من
الجيش قبل دخوله دهلى خوفا من عقاب السلطان ، ولما بلغ الجيش دهلى ،
وعلم السلطان بحركة التمرد ، نكل بأفراد أسر المتمردين ، وكان انتقاما
وحشيا ببربريا ، حتى ان الطفل كان يقطع اربا اربا (٤) .

وفي خلال غزو السلطان لمملكة الكجرات ، أرسل السلطان علاء الدين

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٢ .
(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٥١ - ٢٥٢ .
Lal : Hist. of the Khaljis. p. 71.
(٣)
(٤) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٥٣ .

قائده ظفرخان لمحاربة المغول المحتشدين بأطراف الهند ، وهزم القائد الشجاع جيش المغول وسيق الكثيرون منهم أسرى الى دهلى سنة ١٢٩٩ التى فتحت فيها الكجرات (١) .

قضت الحملات التى شنها السلطان علاء الدين فى أواخر القرن الثالث عشر على البلاد الهندية المجاورة ، وعلى معظم الراجيات الاقوياء وخضعوا لسلطان دهلى ، وفى الفترة من سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣١٠ اشن علاء الدين عدة حروب فى شمال الهند ، وأكثرها شدة وضراوة كانت فى صحراء الثار . وفى الفترة الواقعة بين سنتى ١٣٠٨ ، ١٣١٢ أخضع حكام دكا ، ولكن معظم جهود علاء الدين تركزت فى البنغال حيث واجهت قواته مصاعب كثيرة (٢) .

اتخذ السلطان علاء الدين كافة الاستعدادات لغزو اقليم البنغال وضمه الى مملكته ، وأرسل السلطان فرقا من جيشه الى هذا الاقليم ، وأمر جنده بالاتجاه شرقا ، واتخاذ الطريق الشرقى الى البنغال واوريسا ، بينما سار السلطان الى جزيرة دكا (٣) .

ولا يفوتنا ان نذكر ان البنغال ظلت مستقلة عن دهلى بعد ان حكمها الخلجيون ولم يحاول جلال الدين الخلجى بسط نفوذه على هذا الاقليم النائى البعيد ، وكان يحكمه ناصر الدين محمود بن بلبن حتى وفاته سنة ١٢٩١ ثم خلفه ابنه ركن الدين خلجى ، وكان متمردا وثائرا على ابيه حتى انه أرسل الى علاء الدين يحالفه ، وعاشت البلاد فى مستهل القرن الرابع عشر فى قلق واضطراب ، وثار شمس الدين فيروز على اخيه ، واستقل بغرب البنغال ، وتاريخ البنغال فى هذه الفترة بالذات غامض كل الغموض ولا نعرف عن هذين الملكين شيئا ، ولم ترد عنهما أية معلومات اللهم الا العملة التى تحمل اسميهما (٤) .

وقد لقب فيروز نفسه سلطانا . ومن المحتمل جدا ان حركات التمرد والعصيان ضد السلطان علاء الدين وانشغاله فى قمعها قد أغرى فيروز بالاستقلال نهائيا عن دهلى . على أن سياسة علاء الدين - كما قلنا -

Lal : Hist of the Khaljis p. 77. (١)

(٢) تاريخ بارانى ، ص ١١١ .

Lal : Hist. of the Khaljis. 78. (٣)

Camb : Hist. of India, 111. p. 108. (٤)

اتجهت الى استعادة سيطرة دهلي على البنغال ، بل كان يتطلع - قبل توليته السلطنة - الى البنغال والاستقلال بها ، واعد العدة للمسير فعلا الى البنغال والاستيلاء عليها والاستقلال بها ، اذا فشل في تحقيق خطته الرامية الى التخلص من عمه سلطان دهلي (١) .

أرسل علاء الدين - كما ذكرنا - جيشا الى البنغال لضمها الى مملكته ، بعد انتزاعها من فيروز الذي استقل بها نهائيا عن دهلي . وحوادث غزو البنغال ونتائج غامضة كل الغموض ، مضطربة كل الاضطراب ، ولكن يفهم من روايات المؤرخين ان جيش علاء الدين لم يستطع هزيمة جنود البنغال ، واخضاع الاقليم - تبعا لذلك - لسلطان دهلي . وكان علاء الدين في ذلك الوقت مشغولا في قمع حركات التمرد والعصيان التي قامت ضده . على كل حال ظل شمس الدين فيروز يحكم البنغال حكما مستقلا حتى سنة ١٣٢١ (٢) .

ولا يمكن قبول رواية باراني عن البنغال ، اذ ان عرضه لهذه الفترة التاريخية التي نحن بصدد الحديث عنها - يدل تماما على غموض الأحداث بالنسبة له ، فهو يروي ان البنغال كانت في سلام في ظل حكم ناصر الدين محمود بن بلبن ، وحتى زمن علاء الدين وخلفائه الى ان حكمهما غياث الدين تغلق ، ويخطئ المؤرخ باراني كذلك بين ناصر الدين محمود ، وشمس الدين فيروز ، ويذكر ان ناصر الدين حكم ٤٣ سنة . وهذا القول غير صحيح ، وتؤكد العملة عدم مطابقة قوله مع الواقع . فرواية باراني غير موثوق فيها عن هذه الفترة . ويردد - كما رأينا - أحداثا غير صحيحة (٣) .

ومهما يكن من امر فقد عادت حملة علاء الدين على البنغال ادراجها الى دهلي دون ان تحقق اهدافها ، وقد الحق بها شمس الدين فيروز هزيمة فادحة ، وبقي آمنا في بلده بعد انتصاره على علاء الدين ، مستقلا في حكمه ، قويا في مملكته .

على ان علاء الدين الخلجي لم يقف مكتوف اليدين ازاء هزيمته بل عول على العودة الى غزو البنغال ، والعمل على تحقيق هدفه الرامي الى

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٠٣ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٨ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٩٥ .

السيطرة على هذا الاقليم ، ولكنه رأى أن يبدأ بالامارات التي يحكمها
الراجات حكما مستقلا عن دهلى ، ورأى أن هزيمتهم والسيطرة على
بلادهم تكسبه هبة كبيرة فى بلاد الهند ، ويرفع من شأن سلطنة
دهلى (١) .

بدأ علاء الدين حملاته على بلاد الراجبوتيين بأن هاجم جيسالمير
Jais almer ، وجدير بالذكر أن السلطان جلال الدين شن عليها
حملة من قبل ، ولا تشير المراجع التي كتبها المسلمون المعاصرون عن
وقت غزو علاء الدين لهذه البلدة ، الا أن المراجع الفارسية تشير الى أن
ذلك تم في اثناء مسير جيش علاء الدين الى الكجرات سنة ١٢٩٩ ، ولكن
الراجبوتيين يشيرون الى غزو علاء الدين لجيسالمير ، وان كانوا
لا يذكرون موعد هذا الغزو كعادتهم فى تسجيل الأحداث التاريخية ،
وقد تم ذلك بقيادة يلغ خان الذى كان يقود جزءا من الجيش الذى سيره
علاء الدين الى الكجرات ، وقد احتل هذا الجيش الحصن ، وقتل عددا
كبيرا من كفار الهند ثم غادر البلدة الى الكجرات بعد ان ترك في البلدة
حامية استقرت في قلعتها (٢) .

بعد ذلك أعد علاء الدين العدة لغزو رانثمبهور ولهذا الاقليم أهمية
خاصة لدهلى ، لقربه منها ، ولأن جلال الدين سبق أن فشل فى السيطرة
عليه يضاف الى ذلك حصانتها ومناعتها ، ويعمل لقوتها كل حساب وقد
تكون خطرا على أمن وسلامة سلطنة دهلى ، والسبب المباشر لغزو علاء
الدين لها يرجع الى أن راجا هذه البلدة ، ساعد ووقف الى جانب راجا
جيسالمير ضد غزوات دهلى ، وقد تعرضت هذه البلدة لغزوات القادة
المسلمين قبل جلال الدين ، ولكن لم يستطع واحد منهم السيطرة الكاملة
عليها (٣) .

ومهما يكن من أمر فقد أمر السلطان علاء الدين قائديه يلغ خان
ونصرت خان بالمسير الى رانثمبهور سنة ١٣٠٠ (٤) ، وتحركت جيوش دهلى
صوب حصنها المنيع وفى طريقهم احتلوا غين Jhain بدون أن

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 80. (١)

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 84. (٢)

Camb : Hist of India, 111. p. 832. (٣)

(٤) باراقى : تاريخ فيرور شامى ص ٣٧٢ .

تصادفهم مقاومة ، وارسل يلغ خان الى أمير رانثمبهور يطلب منه التسليم
حفظا لدمائه ودماء قومه وحماته ولكن الراجا رفض الاستسلام ، وآثر
الحفاظ على تقاليد أسرته وشرفها ومجدها التي ترفض وتتصدى بكل
قوة للغزو الخارجي ، وترفض السيطرة الخارجية مهما كانت
التضحيات (١) .

وعلى ذلك فقد أمر يلغ خان قواته بالأهبة والاستعداد وسرعة المسير
الى رانثمبهور ، وعسكر بجوارها ، وحاصرها وشدد عليها الحصار ،
ونصب المنجنيقات وادوات الحصار وأعد راجا رانثمبهور العدة لمقاومة
الحصار ، وقهر الغزاة ، وكان جيشه يتألف من ١٢ ألف فارس وعديد
من المشاة ، ويضم الجيش عددا كبيرا من الفيلة وانهالت القذائف من
رانثمبهور على القوات الخلجية - كما يقول ناصر خسرو - وأدت الى مصرع
نصرت خان . وقد انتشر الذعر بين المسلمين بفقد القائد ، وتأثرت روحهم
المعنوية ، وضعفوا ووهنوا ، وأدرك راجا رانثمبهور اضطراب الجند
الخلجي ، فهاجم قوات المسلمين ، وحطم خطوطهم الدفاعية ، ولم يستطع
يلغ خان التصدي له ، ووقف هجماته ، وهزم جند دهلي ، ولاذوا بالفرار
الى جيسا لير . وبذلك فشلت محاولة علاء الدين فى السيطرة على
رانثمبهور ، وقرر علاء الدين المسير بنفسه لتحقيق هدفه الرامى الى
السيطرة على رانثمبهور ، واضعاف قوة الراجوتين الفرسان (٢) .

على أن علاء الدين اعترضته عقبات أثناء مسيره الى رانثمبهور ،
وقامت ضده عدة ثورات وحركات تمرد ، وبعد أن انتهى منها سار الى
رانثمبهور ، وشدد الحصار على قلعتها ، وأثار حماس قواته ، واستمر
الحصار عدة أسابيع ، قاسى فيه جند دهلي ويلات الشقاء والبؤس ، ذلك
أن المدافعين عن القلعة ألقوا على المهاجمين مواد مشتعلة انهكت قواهم .
كما قاست قوات العدو المحاصرة من نقص فى المون والقوت ، والجوع
كافر - كما يقولون - لذا ضعفت مقاومة جند رانثمبهور ، ووهنت
عزيمتهم ، واشتد بهم الكرب ، أما السلطان علاء الدين فكان يشجع قواته
على المضي قدما فى مهاجمة العدو ، وينفق الاموال الطائلة فى مرضاتهم ،
فظابت نفوسهم ، وقويت عزيمتهم (٣) .

Munshi. op. cit. 180.

IBID. P. 181.

Camb : Hist of India 111. p. 517.

(١)

(٢)

(٣)

دارت رحى معركة فاصلة بين الفريقين ، اريقت فيها دماء غزيرة ، وقتل في هذه المعركة الكثير من الراجات الذين اشتركوا فيها الى جانب حليفهم راجا رانمبهور ، ومن القتلى راجا هامير ، بعد ان حارب ببسالة نالت اعجاب معاصريه ، وكتب كتاب كثيرون عن هذه المعركة ، وكتبوا عن اساليب الفروسية التي اظهرها الراجات في حربهم ضد علاء الدين ، وجمع بين الراجات تحالف وثيق ضد العدو المشترك - علاء الدين - الذي اصبح خطرا يهدد استقلال بلادهم (١) .

على كل حال انتصر علاء الدين على اعدائه واستولى على رانمبهور وحطم اصنامها ، ودمر بعض المعابد ومن بينها معبد هارديفا Har Deva الذي جعله السلطان دكا ، ودمر الكثير من منازل البلدة . واصبحت رانمبهور تابعة لسلطنة دهلي ، وعهد السلطان الى يلغ خان بالاشراف على قلعة رانمبهور . كذلك ضم علاء الدين الى حوزته غين (٢) .

شجع هذا النصر الرائع الذي احرزه سلطان دهلي في رانمبهور ضد حاكمها الراجبوتيني ، شجعه على مواصلة النضال ضد الامراء الراجبوتيين في ارض الهند ، وجاء دور شيتور Chittor اقوى قلعة في الراجبوتانا وتقع على تل ارتفاعه خمسمائة قدم ، قوية التحصين ويحكمها راجا مستقل حتى سنة ١٣٠٣ حين غزاها علاء الدين (٣) .

ظلت شيتور زمنا طويلا عاصمة لاقليم ميوار Mewar وتعرضت لغزو السلطان التمش ، ولكنه لم يتمكن من السيطرة عليها ، كما غزاها ناصر الدين محمود سلطان دهلي - وفي سنة ١٢٩٩ هاجم يلغ خان ميوار - وهو في طريقه الى الكجرات - ولكنه هزم (٤) .

سار علاء الدين الى شيتور في مستهل سنة ١٣٠٣ ، وحاصر القلعة، وشدد عليها الحصار ، وباشر السلطان بنفسه عملية الحصار ، واستعان براجات البلاد المجاورة ، غير انهم لم ينظموا عملية انقاذ شيتور ، ذلك ان الخلافات كانت شديدة بينهم من ناحية ، وبين بعضهم وراجا شيتور من ناحية اخرى ، لذا لم توضع خطة موحدة لانقاذ شيتور ، وخرج لنجدته

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 96. (١)

Munshi. op. cit. p. 181. (٢)

(٣) باراك : تاريخ فيروز شاهى ص ٢٨٢ .

(٤) المصدر السابق ص ٢٩٠

منهم من خرج متفرقى الكلمة . ومهما يكن من امر فقد اشتدت مقاومة جند شيتور في القلعة حتى تحولوا في بعض فترات الحرب من الدفاع الى الهجوم ، غير ان علاء الدين شدد هجماته على العدو ، والقى قذائف عديدة على القلعة حتى اشتد اليأس بين اهل شيتور واقام النساء خنادق تحت الارض ، واحرقن انفسهن فيها حتى لا يقعن اسرى في ايدى اعدائهم ، ومن بينهن نساء الامراء والفرسان الراجبوتيين (١) .

واصل السلطان علاء الدين تشديد هجماته على القلعة ، حتى استسلمت في اغسطس من نفس السنة ، بعد ان بذل جند دهلى جهودا مضنية في الحرب وامر السلطان علاء الدين بقتل كل من وقع في يده من العدو ، ودمر المعابد واحرق الاصنام وكل مظاهر الشرك ، ويختلف المؤرخون حول مصير راجا شيتور ، فيرى بعضهم انه قتل في اثناء المعركة ، ويرى آخرون انه قتل بعد المعركة ، ويؤيد خسروخان الراى الاخير ، وجدير بالذكر انه رافق السلطان علاء الدين في الحرب (٢) .

استسلمت قلعة شيتور بشرط دفع الجزية لسلطنة دهلى ، وضم علاء الدين شيتور الى حوزته ، وضبط الامور في البلدة ، واعاد اليها الامن والطمأنينة ، ونظم ادارتها في ظل الحكم الجديد ، وعاد الى دهلى مسرعا ، اذ كان يتوقع غزوا مغوليا لدولته (٣) .

ازدادت هيبة السلطان علاء الدين في بلاد الهند على اثر سيطرته على رانثمهور الحصينة والقوية وعلى شيتور ، وتغلبه على المعارك الضارية التي خاضها ، لذا خشي بعض الامراء الراجبوتيين من ان تدور الدائرة عليهم ولا طاقة لهم بسلطان دهلى ، وارسلوا يقدمون اليه فروض الولاء والطاعة . على ان راجا ماهلاك Mahlak حاكم مالوا Malwa رفض الاستسلام لدهلى ، واعد العدة لمقاومة السلطان الخلجى (٤) .

وجدير بالذكر ان الجيوش الاسلامية غزت البلاد قبل علاء الدين ، غزاها شمس الدين التمش سنة ١٢٣١ ، واستولى على بعض حصونها ،

(١) تاريخ بارانى ، ص ٢٩٩ .

(٢) المصدر السابق .

Lal : Hist of the Khaljis. p. 113.

Majumdar. op. cit. p. 295.

(٣)

(٤)

ودمر المعبد المشهور ماهلاك *Mahlak* ، ولكن هذا الغزو كان
خاطفا . وعاد ديفا بالا الى حكم هذه البلاد - كما كان الحال من قبل -
وتعرضت مالوا لغزو سريع ايضا في عهد السلطان جلال الدين (١) .

على ان الغزو الحقيقي الذي تعرضت له مالوا من قبل المسلمين ، كان
بقيادة علاء الدين ، سار اليها - كما قلنا - سنة ١٣٠٣ ، وكانت مهمة
السلطان الخلجي عسيرة معقدة ذلك ان راجا مالوا كان يمتلك جيشا قويا
يضم الكثير من المشاة والفرسان ، ويتولى قيادته قائد شجاع ، خبر
أساليب الحرب والقتال .

سار علاء الدين الى مالوا ، ودارت معركة بين الجند الخلجي وجند
مالوا ، قتل فيها موليتاني - القائد المالوي - وقد ادى مقتله الى اشاعة
الفوضى والاضطراب بين جنده ، وكانت فرصه سانحة لجند دهلي ،
فشددوا هجماتهم على جند مالوا وانتصر الخلجيون على اعدائهم ، وقتلوا
منهم كثيرين ، ثم حاصر الخلجيون القلعة ، وشددوا عليها الحصار ،
وقد عثر الخلجيون على منفذ مكنهم من دخول القلعة وفوجيء جند مالوا
بالخلجيين داخل القلعة - حصنهم الحصين - ودارت معركة رهيبة بين
الفريقين انتصر فيها جند دهلي ، واستولوا على القلعة ، واستسلم جند
مالوا وتبع ذلك سيطرة الخلجيين على مالوا بأسرها وكان لهذا
الانتصار الرائع أثر كبير في التطور التاريخي لبلاد الهند ، ذلك ان سلطنة
دهلي أصبحت اكبر قوة ضاربة في بلاد الهند ، فضلا عن ازدياد ضعف
الراجبوتيين . وسر السلطان بهذا الفتح المبين ، والنصر المؤزر ، وامر
باقامة الزينات والحفلات في دهلي عدة ايام ، واقامت الولايم لاهل دهلي
على اختلاف مستوياتهم (٢) .

ومن ابرز نتائج ضم مالوا الى سلطنة دهلي ، تيسير السبيل امام
الخلجيين لبسط سيطرتهم على الكثير من الامارات الراجبوتية ، فدخلت
مدن يوجين *Ujjain* وماندو ود هارنا جاري *Dharnagaari*
وشانديري في طاعة السلطان الخلجي ، اذ خشي حكامها من غزو السلطان
لبلادهم . وعهد السلطان الى عين الملك موليتاني بجكم ماندو بالاضافة الى

IBIBD. p. 296.

Indian Historical quarterl. 1. 1925. p. 653-656.

(١)

(٢)

مالوا مكافأة له على شجاعته وبسالته وقهره للعدو (١) .

لم يكتف علاء الدين بما احرزه من نصر ، بل تطلع الى ضم المزيد من الاراضي الى دولته ، فأعد جيشا سار على رأسه الى سيفانا لفتحها ، وكان يحكمها ساتال ديفا Satal Deva - احد القادة الراجبوتيين الشجعان في سنة ١٣٠٨ - واعد الراجا العدة لمقاومة الهجوم ، وانضم اليه الكثير من الراجبوتيين وحاصر علاء الدين العدو في القلعة ، وشدد عليها الحصار ، ودام القتال وقتا ليس بالقصير ، وقد صمد المدافعون عن القلعة ، وألقوا بالنيران والحجارة على الخلجيين الذين لم تفتر عزيمتهم - رغم ذلك وقرروا مواصلة الحرب حتى النصر ، ودرس الخلجيون القلعة من جميع جوانبها ، حتى عرفوا نقط الضعف فيها ، وتمكنوا من اجتياز القلعة على اثر ذلك ، واستولوا عليها ، وقد اسقط في يد الراجا فغادر القلعة ، ولاذ بالفرار لا يلوى على شيء واتجه الى جالور Jalor ، ولكنه سقط في كمين ، ولقى مصرعه . ويذكر امير خسرو ان ساتال ديفا قوى البنيان متين الجسم ، وقد دهش السلطان ورجاله من منظر رأسه الضخم التي أحضرت الى معسكره ومهما يكن من امر فقد عاد علاء الدين الى دهلي بعد ان سيطر على سيفانا ، وعهد الى كمال الدين جورج Gurg بحكمها (٢) .

اعتزم علاء الدين وهو في طريقه الى دهلي ، غزو جالور ، كجزء من سياسته الرامية الى السيطرة على كل البلاد الخاضعة للراجبوتيين ، وجدير بالذكر ان السلطان الخلجي غزا جالور سنة ١٢٩٩ في اثناء عودة قواته من الكجرات . ويذكر فرشته (٣) انه في سنة ١٣٠٤ بينما القائد نصرت خان والبخان عائدين من مالوا ، وبلغا جالور ، استسلم راجا البلدة للمسلمين ، واعلن ولاءه للسلطان الخلجي ، دون ادنى مقاومة ، لانه خشي ان يتعرض للمصير الذي لقيه حكام البلاد التي غزاها الخلجيون . وأما الغزو الذي نحن بصدده الحديث عنه - فقد حدث سنة ١٣٠٨ حينما ادرك علاء الدين ان جالور لم تعد موالية لدهلي ، فاعتزم اخضاعها ، كما اخضع الممالك الراجبوتية من قبل .

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٥ .
(٢) Lal : Hist of the Khaljis. p. 118.
(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٢٨ .

على كل حال ارسل علاء الدين جيشا الى جالور سنة ١٣١١ ، ولم يعرف اسم قائد الجيش الذي عهد اليه سلطان دهلى بهذه المهمة ، ولكن يبدو ان هذا القائد لم يكن على قدر كبير من الكفاءة والشجاعة ، ودارت عدة معارك بين جند جالور والخلجيين ، هزم فيها جيش دهلى ، ودارت المعارك عدة سنين ، وقد جزع علاء الدين لذلك ، وارسل جيشا قويا اسند قيادته الى قائده الشجاع كمال الدين جورج ، وشدد هذا القائد الحصار على قلعة جالور ، ونثر الذهب على بعض اهالى جالور حتى يكونوا عوناً له ، فأخبروه على ممرات سرية تؤدي الى داخل القلعة ، وتمكن القائد الخلجى بذلك من اقتحام القلعة ، ودار قتال داخلها بين الفريقين ، هزم فيه الخلجيون اعداءهم ، وقتلوا منهم الكثيرين ، واستولوا على القلعة وعلى البلدة ايضا (١) .

سقطت جالور اذن في ايدي الخلجيين سنة ١٣١١ ، ولكى يخلد علاء الدين انتصاره ، شيد مسجداً على اشهر قلعة في دهلى ، لا يزال موجوداً الى يومنا هذا . وبدخول جالور في حوزة علاء الدين نستطيع ان نقول بأن راجات دول الراجبوتانا دخلوا في طاعة سلطان دهلى جسامير ، رانشمهور ، شيتور ، سيفانا ، جالور والبلاد التى تتبع هذه الدويلات ، على كل حال لم ينته النصف الاول من القرن الرابع عشر الا وكان الراجبوتيون قد ضعف امرهم ، ولم يعد لهم شأن في بلاد الهند وخضعت بلادهم لسلطنة دهلى ، وفتقدوا ما اتصفوا به منذ القدم ، بالفروسية والشجاعة (٢) .

* * *

ويجدر بنا ان نناقش الدوافع والاسباب التى ادت الى هزيمة الراجبوتيين امام جيوش علاء الدين على الرغم من قوة بأسهم ، وحرصهم على الاستقلال .

دخل السلطان علاء الدين - كما ذكرنا - في معارك متعددة مع الراجبوتيين وبالذات في الفترة ما بين سنة ١٣٠٠ حتى سنة ١٣١١ وحقق فيها انتصارات رائعة على اعدائه ، وقاوموه بكل ما اوتوا من قوة ،

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٨ .
(٢) المصدر السابق .

لكنه اصر على دحرهم وهزيمتهم ، الامر الذى احدث معارك دموية بين الطرفين ، تكررت في اثناء حصار السلطان لكل حصن .

كان الراجبوتيون - على الرغم من اصرارهم على المحافظة على حريتهم ، ودرء كل محاولة تهدف النيل من استقلالهم متفرقى الكلمة ، لم يستطع واحد منهم توحيد صفوفهم في وجه العدو المشترك ، لذا حارب السلطان كل بلد من بلادهم على انفراد ، الامر الذى مكنه منهم ، وكان الراجبوتيون يلتمسون الامان في حصونهم المنيعة . وتبدأ المجاعة تعمل عملها بين الجند ، وتؤدي حتما الى ضعف مقاومتهم وتوقفها في النهاية .

وفي نفس الوقت ينتاب أهل البلدة التي بها القلعة الجزع والفرع ، فاما يفرون منها ، واما يبقون بها تحت رحمة العدو ، وفي هذه الحالة تضعف عزيمتهم ، ويستبد بهم اليأس ، ويضطر نفر منهم من اصحاب النفوس الضعيفة ان يخبر العدو عن ايسر السبل للنفاذ الى القلعة ، واذا استطاع العدو دخول القلعة ، وشدد ضرباته للمدافعين داخلها ، - وقد انهك طول الحصار وشدته قواهم ، خصوصا اذا نفذت المؤن والمعدات - استطاع المهاجمون ازاء هذه العوامل التغلب على المقاومة داخل القلعة ، والسيطرة عليها ، وربما فرض معاهدة استسلام على حاكم البلدة .

وثمة حقيقة اخرى لا يمكن تجاهلها عند مناقشتنا لاسباب الهزائم المتلاحقة التي حلت بالراجبوتيين على الرغم من شجاعتهم وبسالتهم ، وذلك ان الراجبات ظلوا يحافظون على تقاليدهم التي ورثوها منذ زمن قديم في الحرب ، واستمروا في استخدام الاساليب القديمة الموروثة عن الآباء والاجداد ، والاسلحة التي فات اوان استعمالها وعفا عليها الزمن ، وولت ايامها ، ولم يحاولوا الاستفادة من التقدم الحربي الذى بلغته بلدان وسط آسيا ، والاسلحة المتطورة التي استخدموها ، واتفقوا اساليب استعمالها ، فكان جيش دهلى يستخدم الاسلحة الحديثة وقتئذ ، ويطلع على فنون الحرب خصوصا عند المغول ، واستخدام الآلات الحربية المتطورة - خصوصا المنجنيقات - حتى اصبح لدى دهلى تكتيكات حربية رائعة ، اما الراجبات فكانوا يستخدمون الفيلة الضخمة ، وحكوماتهم تركز على مبادئ اقطاعية ، ويعهدون بالجندية في اوقات الحروب الى فئة يختارونها لهذا الغرض ، واذا نشبت الحرب ، واعتصموا في القلاع - كما ذكرنا - واحتاجوا الى تعزيزات من الجند ، فمن الصعب ادخال هذه التعزيزات في القلعة المحاصرة ، بل من العسير جدا اختيار العناصر الصالحة وهم محاضرون في القلعة .

يضاف الى ذلك ان موارد الثروة في بلاد الراجات كانت محدودة ، فبلادهم جبلية وعرة ، قاحلة ، انتاجها الزراعى محدود جدا يكاد يكفى احتياجاتهم . وهذه الحالة الاقتصادية المتدهورة اضعفت من شأن الراجات امام اعدائهم في سلطنة دهلى ذات الموارد الاقتصادية المزدهرة ، فمن ولاياتها البنجاب واده وكوجرات اعظم المناطق خصبا في بلاد الهند ، فهى توفر لدهلى الاموال الكثيرة ، والجند ، واذا اجتمع المال والرجال ، اصبحت عوامل النصر متاحة وممكنة الى حد كبير .

ولكن علينا ان نقرر حقيقة على جانب كبير من الاهمية ، ذلك ان الراجات كانوا لا يهابون الموت ، ويرونه شرفا في ارض المعركة ، ودليلا على رضاء آلهتهم ونعمة كبرى ، وفي نفس الوقت كان الراجات يتقنون اساليب الفروسية ، لذا كان سقوط بلادهم في ايدى اعدائهم امرا صعبا وعسيرا ، ولا يتم الا بعد لاي وعناء ، وتضحيات جسيمة في الانفس والاموال .

على كل حال حارب الراجات حتى الموت ، وحينما ياسنوا من المعركة ، ووهنوا وضعفوا ، القوا نساءهم في النار حتى لا يقعن في ايدى العدو ، ومع ذلك فان سيادة دهلى على الامارات الراجوتية لم تدم طويلا ، ذلك لان الراجات دأبوا على المطالبة باستقلالهم ، والتمسوا الاوقات المناسبة لذلك ووضعوا العراقيل في سبيل حكام سلطنة دهلى ونجحت بعض البلاد الراجوتية في نيل استقلالها عن دهلى ، لذا فان سيطرة دهلى على بلاد الراجوتانا لم تكن مستقرة ، ولا كاملة ، واستمر الصراع دون انقطاع بين الامارات الراجوتية وسلطنة دهلى واستولى علاء الدين - كما رأينا - على رانثمبهور وسافانا وجالور ، البلدة تلو الاخرى دون ان يتحرك الراجوتيون لمساعدة اخوانهم ، وتجلت الخلافات بينهم حينما هاجم علاء الدين سافانا ، ولم يتحرك راجا جالور لمساعدتها ونجدها، على الرغم من ان سقوط سافانا يشكل خطرا عليه ، وعلى بلده التى تبعد خمسين ميلا عنها وفعلا دارت الدائرة على جالور ، وسقطت في ايدى الخلجيين بعد عامين .

ومن اسباب هزائم الراجوتيين ان حصونهم تقع على قمم جبال عالية ، بحيث تستعصى على الغزاة لصعوبة الصعود اليها الامر الذى يضطرهم الى التجمع على سفح الجبل ، وفي هذه الحالة تكون المحاصيل والدواب في متناولهم ، فبينما يجد الجيش المحاصر ما يلزمه من الميرة

والعلوفة ، فان المدافعين القابعين في القلعة عليهم الاعتماد على ما في القلعة من مؤن وتنفيذ اذا طال الحصار .

اتجهت انظار السلطان علاء الدين بعد ذلك الى الدكن وكان هذا الاقليم الى جانب بعده عن العاصمة ، يحكمه عصابة من امراء الهند الاقوياء (١) .

عهد السلطان علاء الدين الى قائده كافور - وكان مملوكا حيشيا قديرا - بفتح الدكن ، فاخترق هو وجنده مالوه ثم الكجرات - اعظم اقاليم الهند التجارية واغناها واطيبها جوا ، ثم هاجم راي كران ، فلاذ بالفرار من بلده ، وهناك انضم يلغ خان ورجاله الى قوات كافور ، فساروا جميعا الى ملجأ غريمهم ، وتم القبض عليه مع افراد أسرته ، وافرج عنه السلطان واعاده الى ولايته ، وزوج ابنته من ابنه . وبذلك ضمن هذا السلطان ولاء الامير الهندوكي (٢) .

القت انتصارات كافور الرعب في نفوس امراء الدكن ، وما يلي بلادهم جنوبا . ففتحت البلاد ابوابها للغزاة المسلمين . وفي سنة ١٣٠٩ استسلمت تليجانا - قاعدة اقليم اودة - وافندى قومها انفسهم باموال طائلة وثروات كبيرة حملها الى دهلي الف بعير ، كادت تنوء بها ، عدا مئات من الفيلة ، والوف من رؤوس الخيل (٣) .

شجعت الانتصارات التي احرزها جيش دهلي والغنائم والثروات التي احرزها علاء الدين على المضي قدما في الفتح طلبا للمزيد من الاراضي والثروات . وعاد كافور على رأس جيشه الى دهلي سنة ١٣١٠ بعد ان استولى على اقليم مير في الجنوب الشرقي من الدكن ، ولم يرجع قائد الجيش الجسور من الدكن حتى تم له اخضاع الجنوب الهندي كله ، بل كان سلطان الخليجيين يشمل شبه القارة الهندية كلها . وبالتحديد ترك علاء الدين مملكة تمتد من البنجاب الى البنغال ، ومن جبال الهمالايا الى تلال الوندهايا ، وهي الرقعة التي اصطلح على تسميتها الهندوستان (٤)

-
- (١) تاريخ باراني ، ص ٢٧٣ .
Lal : Hist. of the Khaljis. p. 194.
(٢)
(٣) تاريخ باراني : ص ٣٧٥ .
Lane Poole : Medieval India. p. 101.
(٤)

وبينما تتعرض بلاد الهند لغزاة يهاجمونها من اجل الحصول على الذهب والفضة ، نرى ان السلطان علاء الدين لا يتطلع في غزواته في البلاد الهندية الى الثروة بقدر ما يتطلع الى تحقيق هدفه الرامى الى توحيد بلاد الهند تحت سلطانه فنراه يقضي السنوات الطوال في صحراء الثار ، القاحلة يحارب الراجبوتيين هناك ويقاسي جنده الشدائد في حربهم ، ولا ينال مو وجنده من الغنائم ما يتناسب مع الجهد والمشقة في ارض الثار القاحلة (١).

وبسقوط جالور Jlor دخلت بلدان شمال الهند بما في ذلك الثار في حوزة سلطان دهلى . بينما نفذت جيوشه الى الشمال الغربى من الهند حتى بلغت غزنه . وفي الشمال الشرقى من الهند امتد نفوذ دهلى الى بنيبال . وبالجملة اصبح السلطان علاء الدين بفضل قوة بأسه وسطوته سيد بلاد الهند وستان بلا منازع .

وأسند حكم الولايات الهندية التى خضعت لسيطرته الى ولاية محليين ممن يثق في طاعتهم وولائهم .

وأتم السلطان علاء الدين السيطرة على شمال الهند واتبعا بالسيطرة على جنوبها ، وأسند قيادة هذه العملية الى قائده المخلص ملك كافور الذى هاجم ممالك الجنوب ، وسقطت كلها في يده الواحدة تلو الاخرى ، تساقط اوراق الخريف .

وظلت هذه البلاد موالية لسلطان دهلى علاء الدين ، ولما توفى ، وولى قطب الدين مبارك شاه ، وقتل حاكم الكجرات - الب خان - تطلع اهل الكجرات الى استعادة استقلالهم عن دهلى ، واصلوا الانفصال ، وقتلوا قائد جيش دهلى كمال الدين جورج ولم تعد الكجرات تعترف بسيادة دهلى ، ولما علم نائب الملك بثورة الكجرات عهد الى عين الملك موليتانى - حاكم ديفاجيرى - بالمسير الى الكجرات ، لكنه علم في طريقه بوفاة نائب الملك ، فتوقف عن المسير الى الكجرات وعاد ادراجه الى ديفاجيرى (٢) .

على أن السلطان قطب الدين لم يتفاض عن اقتطاع ولاية الكجرات

(١) تاريخ بارانى : ص ٣٨٥ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٨

عن دولته بل عول على استعادتها ، وأسند هذه المهمة الى ملك تغلق ، وأمره بالانضمام الى عين الملك ، والمسير الى الكجرات ، واعادتها الى الطاعة والولاء لدهلي . ولما بلغت الجيوش السلطانية الكجرات ، استبد الجزع والخوف بقائد الحركة الاستقلالية ، ففر من الكجرات هو وأنصاره ، وكان عين الملك قائدا محنكا وسياسيا قديرا ، كتب نداءات سرية الى ضباط جيش الحركة الانفصالية يطالبهم فيها بقتل قوادهم والخضوع والولاء لسلطان دهلي ، وذكرهم بأنه ليس من المعقول أن يتقابل المسلمان بسيفهما ، واذا لم يعد هؤلاء الى الولاء ، فمن اليسير جدا على قوات دهلي هزيمة الانفصاليين واسحقهم . ونجحت دعوة عين الملك ، فقد استجاب كبار الضباط لندائه ، وأقنعوا الجند بالكف عن القتال حقنا للدماء ، ولما اصطف الفريقان للحرب ، انسحب الكثير من جند الكجرات ، وانضموا الى جانب القوات الامبراطورية الامر الذي اضعف من شأن الحركة الانفصالية ، ولم تعد لها سوى فئة قليلة حاربت بشدة وضراوة الفئة الكبيرة ، وهزم الانفصاليون شر هزيمة ، وفر من نجا منهم الى أماكن نائية في الهند (١) . وبذلك فشلت الكجرات في الانفصال عن دهلي ، وعادت الى الطاعة لسلطانها وبقيت تابعة لسلطنة دهلي .

وأسند السلطان لظفر خان ولاية الكجرات ، واستطاع هذا الوالي بفضل حنكته الادارية وحزمه وقوة بأسه أن يعيد الاستقرار والامن والطمأنينة الى الكجرات وحكم بالعدل بين الناس ، وعم البلاد الرخاء في عهده ، فالتف الناس حوله ، وأنساهم ذلك أيام ألب خان (٢) .

على أن الكجرات لم تنعم طويلا بالامن والسلام ، ذلك لان المؤامرة التي دبرت لاغتيال السلطان في دكا غيرت سياسته ، وتحول الى حاكم مستبد سريع الشك في نوايا رجال دولته والمقربين اليه ، ومن ضحاياها ظفر خان - والى الكجرات ووالد زوجته - شك في اخلاصه ، كما شك في اخلاص غيره ، وكان لمقتل ظفر خان وقع سيء على أهل الكجرات ، ففقدوا ثقتهم بسلطان دهلي ، ونبذوه ، وحكم البلاد هشام الدين ، فجمع أقاربه وأنصاره ، وأسند اليهم وظائف الاقليم ، واعتمد عليهم في الشؤون الادارية في الكجرات ، واستاء الناس منه ، ورفعوا شكاواهم منه

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٩ .

(٢) باراق : تاريخ فيروز شاهی ص ٢٩٢ .

الى السلطان ، فعزله واستبدله بوال اخر ، وتدهورت الكجرات ، وساء حكم دهلي فيها ، وتطلع أهلها الى الاستقلال ، وضعفت حكومة دهلي ، واصبحت في وضع لا تستطيع فيه ادارة ولاياتها وضبط امورها .

واستقلت الكجرات في نهاية الامر عن سلطنة دهلي ، وتبعثها الكثير من الولايات مثل ولاية ديفاجيري ، واستقل بها هاربال ديفا Harpal Deva ولم يتفاض قطب الدين عن موقف حاكم ديفاجيري الانفصالي عن دهلي ، بل سار بنفسه على رأس جيش كبير لاعادة البلدة الى حوزته، وسار سنة ١٣١٨ تجاه دكا وأتاب عنه حاكما في دهلي ، وعول على اخضاع ديفاجيري ، وحمل امراء دكا وتلنجانا Telingana على أداء الجزية ، واقترب السلطان من ديفاجيري ، وفي طريقه اليها انضم اليه الكثير من المتطوعين ، فكثر جنده ، وعظم جمعه ، واشتد بأسه ، وخشي حاكم ديفاجيري الانفصالي من بأس السلطان وسطوته ، ففر مع وزرائه الى التلال القريبة ، ودخل قطب الدين ديفاجيري ، واستعاد سيطرة دهلي عليها دون ان تصادفه مقاومة ذات شأن يذكر ، وفر الجند الذين حشدتهم هاربال ديفا في ديفاجيري لحمايتها ، وخضعت البلدة تماما لدهلي ، ووقع هاربال ديفا في الاسر ، وعاقب السلطان المتمردين ، وأعاد الهدوء والسكينة والامن الى البلدة ونظم امورها ، وأقام فيها وحدات عسكرية لضمان ولائها الى الدولة ، وعين فيها واليا من قبله (١) .

ولى غياث الدين تغلق العرش ، وقد تفككت سلطنة دهلي ، واستقلت ولاياتها ، وضعف نفوذها حتى في البلدان التابعة لها ، فعول على استعادة ممتلكات دهلي ، وبدأ باقليم الدكن والاقاليم الشرقية ، وأرسل حملة بقيادة ابنه الغ خان الى تلنجانا ، وتمكن من اعادتها الى حوزة دهلي ، ولم يكتف سلطان دهلي بذلك بل سار الى البنغال على رأس جيش كبير ، ولما بلغها رأى حاكمها ناصر الدين حفيد بغرا خان بن بلبن ان لا طاقة له بجيش دهلي ، فأعلن دخوله في طاعة سلطان دهلي . وبذلك عادت البنغال الى حوزة دهلي .

وشرع السلطان التغلقى في مشروع خطير وهو غزو خراسان والعراقين، وشجعه على هذا العمل الكبير حكومة المدايك في مصر ، واعد

(١) باراقى : تاريخ فيروز شاهى ص ٣٩٥ .

لهذا الغرض جيشا كبيرا قوامه ٣٧٠ ألف مقاتل . وأبقى جيشه تحت السلاح عاما كاملا ولكن المماليك عدلوا عن مطلبهم ، بل تحالفوا مع أبي سعيد ميرزا - صاحب بلاد ما وراء النهر - وأطلقوا يده في بلاد الفرس والتركمان فعدل سلطان دهلي عن قراره (١) .

حرص السلطان التغلقى على توسيع رقعة دولته ، فأرسل جيشا الى ولايات الهملايا العليا ، ولكن جيشه تعرض لمصاعب شديدة ، بسبب البرد الشديد ، وقتل من جند دهلي كثيرون ، ويقال انه قصد من حملته غزو بلاد الصين للحصول على ثرواتها الطائلة . وعادت حملته خاسرة (٢) .

أدى فشل السلطان في مشروعاته الى ضياع هيئته بين الناس ، فانفصلت عن دهلي الكثير من ولاياتها وبذل السلطان جهودا مضمنية لاقرار الامور في الشمال ، ثم حاول اعادة الدكن الى حوزته ، وهذه الولاية استقلت عن دهلي وشجعت بلدان الجنوب على أن تحددو حدودها ، وفشل السلطان في اعادة الدكن الى حوزته ، واستقلت الكجرات كذلك وتوفى محمد تغلق سنة ١٣٥١ بعد أن استقلت معظم ولايات سلطنة دهلي ، ولم يعد لدهلي الا القليل من هذه البلاد (٣) .

ولم يستطع السلطان فيروز استعادة الولايات التي انفصلت عن دهلي الى حوزته . لذا أخذت دولته في التفكك والانحلال . وخلفه سلاطين ضعاف انصرفوا الى الصراعات الداخلية ، بينما تنفصل البلدان عن دهلي ، الامر الذي أدى الى تدهور سلطنة دهلي .

(١) تاريخ فرشته ص ١٢٨

(٢) المصدر السابق ص ١٢٨

(٣) المصدر السابق ص ١٢٩

٢ - مع المغول

قبل أن نتحدث عن الغزو المغولي لبلاد الهند يجدر بنا أن نتكلم عن الدولة الخوارزمية ، وعلاقتها بالمغول لما في ذلك من صلة بتطلع المغول لغزو بلاد الهند ، وتوجيه انظارهم اليها

أسس الدولة الخوارزمية توشتكين - أحد الأتراك في بلاط ملكشاه - وكان يشغل وظيفة الساقى ، وما زال يترقى في سلك الوظائف ، وكان حسن الطريقة كامل الأوصاف ، وقد أدب ابنه محمد ، وأحسن تأديبه ، لذا وقع اختيار أحد قادة بركياروق عليه ليكون حاكماً على إقليم خوارزم ولقبه خوارزمشاه سنة ٤٩٠ هـ ، وكان حاكماً عادلاً ، قصر أوقاته على معدلة ينشرها ، ومكرمة بفعلها ، وقرب أهل العلم والدين ، فازداد ذكره حسناً ومحله علواً ، ولما ملك السلطان سنجر السلجوقي خراسان ، أقر محمد خوارزمشاه على إقليم خوارزم وأعمالها ، فظهرت شجاعته وكفايته ، وعظم سنجر محله وقدره (١) .

لما توفى محمد بن توشتكين ولى ابنه أتمسز فمد يداً للامان وأفاض العدل . وقربه السلطان سنجر ، وعلم ابنه واستصحبه معه في أسفاره وحروبه ، فظهرت منه الكفاية والشهامة ، فزاده تقدماً وعلواً .

عول أتمسز على توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السلجوقية المتداعية وانتهز فرصة تهديد الخطأ للسلاجقة ، لكن سنجر احبط محاولته ، وهزمه ، على أن أتمسز استجمع قوته . وانتهز فرصة سيطرة الخطأ على بلاد ما وراء النهر ، واستولى على خراسان ، وجلس على عرش سنجر ، واستولى على أمواله وجواهره سنة ٥٣٦ هـ / ١١٤١ م ولكن السلطان سنجر استطاع أن يسترد إقليم خراسان من أتمسز سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م ، وتعهد أتمسز بالاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية .

على أن الدولة الخوارزمية أخذت تزداد قوة ، بينما أخذت الدولة السلجوقية في الضعف والانحلال بعد وفاة سنجر ، ومدت الدولة الخوارزمية نفوذها على البلاد التابعة للسلاجقة ، واستطاع السلطان الخوارزمي تكش

(١) ابن الأثير الكامل حوادث ، سنة ٤٩٠ هـ .

أن يهزم ويقتل آخر السلاطين السلاجقة ، ويستولى على ملك السلاجقة في العراق ، واستولى على أصفهان والرى .

ولما توفى تكش ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م خلفه ابنه علاء الدين محمد خوارزمشاه فسار على سياسة أبيه الرامية الى توسيع حدود دولته ، فاستولى على معظم اقليم خراسان ، واستطاع أن يهزم الخطأ سنة ٦٠٦ هـ / ١١٠٩ م ، ويبسط سيطرته على بلاد ما وراء النهر . واستولى على اقليم كرمان ومكران ، والاقاليم الواقعة غرب نهر السند وعلى ممتلكات الغور في أفغانستان . وبذلك بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساعها في عهد السلطان علاء الدين خوارزمشاه ، إذ امتدت من حدود العراق العربى غربا الى حدود الهند شرقا ، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالا الى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوبا (١) .

على أن الدولة الخوارزمية قد جاورت دولة المغول ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين .

وكان العالم الاسلامى في ذلك الوقت قد مزقته الانقسامات ، ولم تعد فيه دولة قوية الا الدولة الخوارزمية ، وكان الخليفة العباسي الناصر يخشي بأس هذه الدولة ، لان خوارزمشاه كان يطمع في بغداد ، فسعى الى تدبير المؤمرات والذسائس للنيل منه ، بل تقاعس عن نصرته ، ولكن لا يمكن قبول ما أشيع في ذلك العصر من أن الخليفة العباسي الناصر لدين الله حرض المغول على غزو أعدائه الخوارزميين ، وكان من الطبيعي أن تكثر الشائعات في هذه الايام المضطربة ، وكان السلطان جلال الدين منكبرتى يتهم الخليفة العباسي بأنه يحرض عليه المغول دون أن يمتلك دليلا على اتهامه (٢) . والخليفة العباسي يعلم يقينا أن غزو الدولة الخوارزمية يؤدي بالضرورة الى تهديد الدولة العباسية المتداعية ، ذلك انها تقف سدا منيعا يحول بين المغول وبين العراق .

نشأ المغول في صحراء جوبى القاحلة ، وهم شعب اشبه بالترك في اللغة والمظهر العام ، وعاش هؤلاء القوم في بلادهم في شظف من العيش ، يعملون بالصيد والرعى في حياة كلها ترحال وتجوال ، وكثر بينهم النزاع

(١) حافظ حمدى : الدولة الخوارزمية والمغول ، ص ٢٨ .

(٢) بارقوالة : تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ص ١٦٠ .

والشقاق ، وتكررت اغاراتهم على المناطق الخصبة المجاورة لذا شيد الصينيون سور الصين العظيم درعا لشرهم وحماية لبلادهم من شرهم المستطير (١) .

ظلت هذه القبائل في منازعاتها وفرقتها حتى ظهر منهم شباب في ريعان شبابه الغض هو تيموجين ، واستطاع أن يوحد هذه القبائل تحت اوائه ، وهذا الشاب نشأ يتيما ، وكان ثبوه زعيما لاحدى قبائل المغول ، ولما توفى انفض أفراد القبيلة من حول تيموجين واستتصغروا شأنه واستضعفوه ، وعاش هذا الفتى مع أسرته عيشة بؤس وحرمان وشقاء(٢) ، وكان عليه ان يتلمس سبل العيش ، وقاسي الكثير من النكبات وهذه المحن اصقلته واخرجت منه رجلا صلبا شجاعا (٣) .

ولما بلغ تيموجين مبلغ الرجال ، التف افراد قبيلته حوله لما اظهره من قوة البأس ومضاء العزيمة ، ولم يكتف بذلك بل ظل يناضل حتى تمكن من السيطرة على قبائل المغول ، وقضى على كل الحركات التى تهدف الى عرقلة جهوده . ولم يأت عام ٦٠٢ هـ / ١٢٠٦ م حتى كان قد اخضع لسلطانه كل بدو صحراء جوبى ، واتخذ من حصن قراقورم مقرا له ووضع نظاما للقبائل الخاضعة له يسمى الياسا وهو دستور اجتماعى وحربى صارم أساسه الطاعة العمياء للسلطان ، واخبر تيموجين الرؤساء بأن السماء اضفت عليه اسما جديدا هو جنكيز اى امبراطور البشر واعظم حكام الارض (٤) .

تطلع جنكيز خان - بعد أن وحد القبائل المغولية تحت سيطرته - الى توسيع رقعة دولته ، وكان المجال الحيوى له بلاد الصين التى تقع جنوب مملكته - حيث الخصب والرخاء والازدهار - فشن عدة حملات على امبراطورية كين واستولى على مساحات شاسعة من بلاد الصين ، وسيطر على بكين سنة ٦١٢ هـ / ١٢١٥ م (٥) .

Hart : Mongol Campaigns. p. 705.

(١)

Grenard : Gengis-Khan. p. 8.

(٢)

IBID. pp. 7-8.

(٣)

IBID. pp. 65-66.

(٤)

Douglas : The story of China. p. 387.

(٥)

أصبحت امبراطورية المغول القوية تجاور الدولة الخوارزمية العظيمة ، دولة الاسلام القوية البأس ، ولم يكن هناك بد من حدوث احتكاك بين الدولتين العظيمتين ، ولابد ان تنقض احدهما على الاخرى ، ووجد السبب لاشتعال الحرب ، فقد وفد جماعة من التجار من رعايا جنكيز خان الى اترار في الدولة الخوارزمية ، فارتاب فيهم ينال خان - حاكم اترار - وارسل الى السلطان محمد خوارزمشاه يخبره بالامر ، فأمره بالقبض عليهم واعدامهم على اعتبار انهم جواسيس بعث بهم جنكيزخان ، وظاهر امرهم التجارة ، وهؤلاء التجار كان مركزهم خجند وتسير منها قوافلهم الى منغوليا تحمل الى خان المغول الهدايا من نسيج الكتان والديباج ، وكان يشجعهم على ممارسة نشاطهم التجارى (١) .

ساءت العلاقات بين الدولتين عقب قتل التجار ، وشعر السلطان خوارزمشاه بمغبة قتل التجار ، فأرسل الى دولة المغول جواسيس لاستطلاع قوتهم ، ومعرفة نواياهم فعادوا اليه ، وأخبروه بكثرة عددهم ، وانهم من أصبر خلق الله على القتال لا يعرفون هزيمة ، وانهم يعملون ما يحتاجون اليه من سلاح بأيديهم .

وعلى الرغم من ذلك فقد تشدد علاء الدين محمد مع جنكيز خان ولم يقبل شروطه في تجنب الحرب ، فقد أرسل جنكيز خان الى خوارزمشاه رسلا يطلب منه تسليم حاكم اترار ، وجاء في رسالة خاقان المغول : فان كنت تزعم ان الذى ارتكبه ينال خان - حاكم اترار - كان من غير امر صدر منك ، فسلم ينال خان الى لاجازيه على ما فعل حقنا للدماء ، لكن السلطان الخوارزمي اعتقد انه لو لطف جنكيزخان ، في الجواب ، لم يزد ذلك الا طمعا فيه . فتماسك وتجلد بل أمر بقتل الرسل سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م ويقول الجويني : « ان دمهم آهرق ، ولكن كل قطرة منه قد كفر عنها بسيل جارف من الدماء ، وان رؤوسهم قد سقطت ، ولكن كل شعرة منها ، قد كلف مئات الالوف من الناس حياتهم » ، يقول النسوي (٢) : « فيالها من قتلة هدرت دماء الاسلام ، واجرت بكل نقطة سيلا من الدم الحرام ، فاستوفى عن الغيظ فيضا ، وأخلى بكل شخص أرضا » .

(١) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 204.

(٢) سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٨٨ .

ونستطيع أن نقول أن الدولة الخوارزمية كانت ستعرض لغزو المغول سواء حدثت مذبحة اترار أو لم تحدث ، ذلك أن دولة المغول قامت على أساس التوسع والغزو وضم الاراضي اليها بالقوة ، ونعرف من تاريخ المغول أنهم استمروا في ضم البلاد واحتلالها طمعا في ثرواتها وخيراتها ، ولكن مذبحة اترار كانت بمثابة الشرارة التي فجرت الموقف بين الدولتين ، وعجلت بغزو المغول للدولة الخوارزمية .

اتسمت غارات المغول على الدولة الخوارزمية بالوحشية والهمجية ، وتدمير المدن والقرى ، وهذا يتضح من كتابات المعاصرين ، ويقول ابن الاثير (١) : « لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر هذه الحادثة استعظاما لها ، كارها لذكرها . . وهؤلاء لم يبقوا على أحد ، بل قتلوا النساء والرجال والاطفال ، وشقوا بطون الحوامل ، وقتلوا الاجنة . . وكان مظهر المغول يدعو الى الفرع والجزع ، ويلقى الرعب في النفوس ، كانوا قساة مع اعدائهم ، لم يبقوا على أحد من قاهريهم ، واشاعوا الخراب والدمار في كل بلد ملكوه ، وكانوا يستزلون اسراهم ، بحيث يجعلوهم في طليعة الجيوش التي يحاربون بها ، واذا بدأت المعركة يقدفون بهم في المقدمة ، ويتخذونهم دروعا لهم ، حتى تحولت المدن العامرة ، والقرى والمزارع الخصبة الى صحارى (٢) ، وقد يقدفونهم في الفجوات التي يحدثونها في أسوار المدينة ليمسكوا الخنادق بأجسامهم ، واذا سلم أحد منهم يتخلصون منه بالقتل ، حتى يفسحوا المجال للاسرى الجدد . على كل حال اكتسح هذا الزلزال المدمر ، وتلك القوى الجامحة العالم الاسلامى واتوا على الاخضر واليابس ، واهلكوا الحرث والنسل .

أعد جنكيزخان جيوشه لمهاجمة الدولة الخوارزمية ، وقسم جنده الى أربع جيوش ، الاول بقيادة ابنه حفتاي وأوكتاي ، ومهمته فتح مدينة اترار ، والجيش الثانى سبند قيادته الى ابنه جوجى ، ووجهته البلاد الواقعة على ساحل نهر جيجون (٣) والثالث مهمته فتح مدينتى بناكت وخجند على نهر سيجون . أما الجيش الرابع فيتكون من أغلب قوات المغول ، ويقوده جنكيزخان ومعه ابنه تولوى ، ووجهته وسط اقليم ما وراء النهر (٤) .

-
- (١) الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .
(٢) Sykes : A Hist of Persia, p. 56 .
(٣) Harold Lamb the Grusades. p. 337.
(٤) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tomi. pp. 217-219.

سارع المغول الى مدينة اترار ، وشددوا هجماتهم عليها ، وقد اعتصم ينال خان - حاكمها - بقلعتها ، ودافع بكل بسالة بل انهك المغول واجهدهم شهرا كاملا بضربات القوية لهم ، حتى فقد معظم رجاله ، ونفذت المؤن والاقوات وشدد المغول حصارهم للقلعة ، فألقى بنفسه الى سقف أحد المنازل ، وظل يقاتل المغول بكل ما أوتى من قوة حتى قبض عليه المغول ، وسيق الى جنكيزخان - وكان أمام سمرقند - فأمر بسبك الفضة وقلبها في اذنيه وعينيه ، فقتل تعذيبا . وبذلك انتقم جنكيزخان من قاتل التجار، وسقطت مدينة اترار - مفتاح بلاد ما وراء النهر سنة ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م بعد ان قتل المغول سكانها ودمروها تدميرا (١) .

سار الجيش الثاني بقيادة جوجي الى مدينة جندعلى نهر سيجون بعد ان استولى في طريقه على المدن والحصون على ساحل سيجون . ولما بلغ المغول جند ، رأى قائدها أن لا قبل له بالمغول ، فغادر البلدة تاركا أهلها يدافعون عن مدينتهم ، وأغلق أهلها ابواب المدينة ، وشدد المغول هجماتهم ، ورموها بالمنجنيقات حتى اقتحموها . وبذلك سقطت جند في ايدي المغول (٢) .

اتجه الجيش الثالث الى منطقة فرغانة والوادي الاعلى من نهر سيجون ، وحاصر هذا الجيش بناكت ، ولم يجد المغول مقاومة من سكان هذه المدينة ، فاستولوا عليها بسهولة ويسر ، وعلى الرغم من اعطائهم الامان لأهلها ، الا انهم قتلوا منهم الكثيرين ولم يبقوا الا على من التمسوا فيهم المقدرة على خدمتهم ، ثم سار المغول الى خجند - وهي مدينة جميلة اشتهرت بحدائقها الفناء وانتعاش التجارة فيها ، وشجاعة أهلها وقوة بأسهم - وقد قاوم حاكمها الشجاع تيمور ملك المغول بكل بسالة ، حتى ضعفت قوته ، فامتطى جواده ، واتجه الى خوارزم حيث كان يربط السلطان (٣) . ودخلت خجند في حوزة المغول .

سارت جيوش المغول بقيادة جنكيزخان الى بخارى ودارت الحرب بين جند المغول ، والجند الخوارزمي ثلاثة ايام هزم فيها الخوارزميون ، وفر الجند الخوارزمي فضعف أهلها ووهنت عزيمتهم ، واعتصم بعضهم في

(١) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٩١ .

(٢) D'ohsson : Histoire Des Mongols. 1. p. 77.

(٣) Howorth : Hist. of the Mongols. 1. p. 77.

القلعة ، وشدد المغول هجماتهم عليها ثلاثة ايام ، وقاتل من فيها حتى قتلوا جميعا ، وتسلم جنكيزخان القلعة ، وامر اعيان المدينة وتجارها بالاجتماع معه وجردهم جميعا من اموالهم ، وطردهم من المدينة ، وقتلوا كل من صادفوه في بخارى من اهله بعد ذلك ، فنهبوا البلدة وكان يوما عظيما من كثرة البكاء من النساء والرجال والولدان ، وتفرقوا ايدي سبا ومزقوا شر ممزق ، واحرقت المساجد والمدارس (١) ، وبعد ان استولى المغول على بخارى ساروا الى سمرقند ، وامامهم الاسرى مشاة على اقبح صورة ، وكل من عجز عن المشي قتل ، وحاصروا سمرقند ، وبها الكثير من الجنود الخوارزمي ، واعد اهل سمرقند العدة لمقاومة المغول ، ودار قتال شديد بين الفريقين ، هلك فيه اكثر الجنود الخوارزمي ، الامر الذي اضعف مقاومة اهل سمرقند ، وطلبوا الامان ، واجابهم المغول الى طلبهم ، وفتحوا ابواب البلدة ، وطلبوا من اهل البلدة تسليم اسلحتهم وامتعتهم ودوابهم ، ففعلوا تجنباً للقتل ، ولكن المغول كعادتهم وحبهم لسفك الدماء اعملوا السيف في رقاب الاهلين ، حتى افنوهم عن آخرهم ، ودخلوا البلد ونهبوا ما فيه ، واحرقوا الجامع ، وبذلك دخلت سمرقند في حوزة المغول سنة ٦١٧هـ / ١٢٢٠ م (٢) .

وبعد ان امتلك المغول بخارى وسمرقند ، اعد جنكيزخان جيشا يتألف من عشرين الف مقاتل ، وامر قائده بالتوجه الى خوارز مشاه والبحث عنه أينما وجد «ولو تعلق بالسما حتى تدر كوه وتأخذوه» فسارت جيوش المغول تتعقب خوارز مشاه الذي اخذ يضرب في الارض ، وينتقل من بلد الى بلد ، وجند المغول تطارده ، وانتهى به المطاف الى الاستنداد - وهي من امنغ النواحي في اقليم مازندران - وباغته المغول فلجأ الى احدي جزر بحر قزوين (٣) وقد انتابه اليأس من الحياة ، ومرض ، وكان يقول : « لم يبق لنا مما ملكناه من اقليم الارض قدر ذراعين نحفر فنقبر ، فما الدنيا لساكنها بدار ، ولا ركونه اليها سوى انخداع واغترار » . واقام بالجزيرة في عزلة تامة يعاني المرض وكان اهل مازندران يقدمون اليه كل ما يشتهي ، وقبل وفاته سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م اوصي بالسلطنة من بعده لابنه جلال الدين (٤) .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦١٦ هـ .

(٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٠٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

(٤) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

وولى جلال الدين منكبرتي السلطنة بعد ان سيطر المغول على بلاد ما وراء النهر - اهم اجزاء دولته المتداعية وامتلكوا اقليم مازندران رغم حصانته ومناعته ، ثم اتجهوا الى الري ، وفي الطريق التقوا بالملكة ترکان خاتون - والدة السلطان علاء الدين - وقد غادرت خوارزم على اثر تهديد المغول ، ولم تر فيه دار قرار واستصحبت ما امكنا استصحابه من حرم السلطان وصغار اولاده ونفائس خزائنه ، وقبض المغول عليها ، واستولوا على ما معها من ثروات هائلة . وهكذا قضت الملكة ايامها الاخيرة في اسر المغول ، وجدير بالذكر ان ترکان خاتون كانت ذا مهابة ورأى ، تنظر في المظالم ، وتحكم فيها بالعدل ، وتنصف المظلوم من الظالم ، ولها اصلاحات كثيرة ، وكان لها من كتاب الانشاء سبعة من مشاهير الكتاب (١) .

باغت المغول الري على حين غفلة من اهلها ، وملكوها ونهبوها ، واسترقوا نساءها ، وقتلوا اطفالها ، ثم غادروها في طلب خوارزمشاه ، وعاثوا في البلاد التي مروا بها نهباً وفساداً ، واقتربوا من همذان ، فقدم اهلها للمغول الاموال والهدايا حتى يكفوا عن قتلهم ، وسيطر المغول على هذه البلدة ، ثم زحفوا الى قزوين ، وامتلكوها عنوة وقهراً (٢) . وبذلك سيطر المغول على بلاد العراق العجمي .

اثار المغول الرعب في بلدان الدولة الخوارزمية حتى ان اقتربهم من مدينة او قرية ، يثير الفزع في النفوس ، فيهجرون بلدانهم ، او يقدمون فروض الولاء والطاعة لاعدائهم . وبذلك استسلمت البلاد الاسلامية للمغول في سهولة ويسر ، الا ان استسلام الاهلين لم ينجهم من بطش المغول وويلاتهم ، وظل المغول يواصلون تقدمهم حتى بلغوا تبريز - عاصمة اذربيجان - ويحكمها اوزبك بن البهلوان ، وهو شيخ بلغ من العمر اربعمائة ، يقضي وقته في الشراب ، ولا يكاد يفيق ، ولما اقترب المغول من بلاده ، ارسل اليهم المال والهدايا والثياب والدواب وصالحهم ثم اتجهوا الى ساحل البحر حيث المراعى الكثيرة اللازمة لدوابهم ، وواصلوا سيرهم حتى بلغوا موقان ، ودخلوا في معارك حامية مع اهالي بلاد الكرج ، وهزموهم ، وامتلكوا مراغة سنة ٦١٧ هـ . وبذلك سيطروا على اذربيجان وبلاد الكرج .

-
- (١) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٩٩ .
(٢) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 243.
(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

شرع جنكيزخان بعد ان امتلك بلاد ما وراء النهر وبلاد العراق العجمى واذربيجان الى السيطرة على خراسان وخوازم حتى يتم له السيطرة على بلاد الدولة الخوارزمية قاطبة ، فأعد جيشين ، الاول عبر جيحون وقصد مدينة بلخ ، وطلب اهلبا الامان فامنهم المغول سنة ٦١٧ هـ ، ولم يتعرض المغول لهم بالقتل والنهب وادخلوا البلدة في حوزتهم ، وواصلوا تقدمهم في بلاد خراسان ، فسقطت البلاد في ايديهم ، البلدة تلو الاخرى (١) ثم حاصروا مرو ، وشددوا عليها الحصار حتى استسلمت وامعنوا في قتل اهلبا ، ونهبوا البلدة ، وضموا اليهم ارباب الحرف والصناعات من سكان مرو ، ويقال انهم اجهزوا على اهل البلدة جميعهم حتى بلغ عدد القتلى سبعمائة قتيل ، ثم ساروا الى نيسايور ، فامتلكوها بعد حصار دام خمسة ايام ، وارتكبوا مع اهلبا من الفظائع ما ارتكبه مع غيرهم ، واقاموا في البلدة خمسة عشر يوما ينهبون ويدمرون ، وواصلوا سيرهم حتى بلغوا طوس ، وامتلكوها ثم ساروا الى هراة ، وبسطوا سيطرتهم عليها ، ومنها اتجهوا الى غزنة ، فالتقوا بالسلطان جلال الدين منكبرتى ، ودارت معركة انتصر فيها خوارزمشاه على اعدائه (٢) .

اما الجيش المغولى الذى اتجه الى خوارزم ، فقد لقى مقاومة باسلة من اهلبا ، ودارت بين الفريقين معارك ضاربه ، وصمد اهل خوارزم للحصار الذى دام خمسة اشهر ، وقتل من الفريقين خلق كثير ، وبلغ الامر بالمغول ان ارسلوا الى جنكيزخان يطلبون منه النجدة وامدهم بجيش كبير ، وتمكنوا من الاستيلاء على خوارزم بعد لاي وعناء ، وبعد ان امتلك المغول خوارزم بعد هذا الجهد الشاق والتضحيات الكثيرة قتلوا كل من فيه ، ونهبوا كل ما فيه ، ولم يكتفوا بذلك ، بل فتحوا ماء جيحون على خوارزم ففرقت البلد ، وتهدمت الابنية ، ولم يسلم من البلدة ثحد ، فمن اختفى من النار اغرقه الماء ، ومن سلم من الماء قتله الهدم ، فأصبح البلد خرابا يبابا ، كأن لم يكن بالامس (٣) .

ولى السلطان جلال الدين منكبرتى - كما رأينا - في وقت حرج ، اذ

(١) Howorth : Hist of the Mongols. p. 93.

(٢) D'ohsson : Histoire des Mongols. 1. p. 325.

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، حوادث سنة ٦١٧ هـ .

استولى المغول على معظم المملكة ، ونهبت خزائنها ، ومزق جيشها ، وكان جلال الدين شجاعا مقداما ، اعتزم استرداد ملكه السليب ، وطرد الغزاة المعتدين عن بلاده، واستطاع جمع شمل جنده المبعثرين في البلدان الخوارزمية، واقام في غزنة بعد أن استردها من المغول ، ونظم جيشا قوامه ستين الف مقاتل، وقد ازعج ذلك جنكيزخان، فعول على التخلص من خصمه، وأرسل جيشا الى غزنة ، التقى بالجيش الخوارزمي في معركة حامية الوطيس ، انزل الله فيها نصره على المسلمين ، وانهزم المغول شر هزيمة ، وقتل المسلمون منهم كثيرين (١) . وكان لهذا النصر اهمية كبيرة في البلاد الاسلامية التي فرقها هزائم المغول المتكررة ، وعاش أهلها في يأس وقنوط وتمزق فارتفعت الروح المعنوية عند المسلمين ، وتيقظوا وثاروا على المغول ، وقتل اهل هراة واليهم المغولي (٢) .

سار جلال الدين على سياسته الرامية الى طرد المغول من بلاده ، وارسل الى جنكيزخان يتوعده ويهدده ويقول «في اي موضع تريد يكون الحرب حتى تأتي اليه» فلم يتفاض جنكيزخان عن هذا التهديد ، وشن الحرب من جديد على جلال الدين الذي أصبح يشكل خطرا على مملكته المترامية الاطراف، ولكن السلطان الخوارزمي انتصر مرة أخرى على جيش جنكيزخان ، وقتل الكثير من المغول ، وغنم الخوارزميون ما معهم واسترد للمسلمين اسراهم من العدو ، لكن الخوارزميين انشغلوا بجمع الغنائم ، وكانت تفوق كل وصف، وتنازع جند السلطان حول المغائم نزاعا ادى الى انقسام خطير في الجيش وعجز السلطان عن تداركه ، وفارق فريق من الجيش الخوارزمي المعركة بقيادة بغراق الى بلاد الهند ، وحاول جلال الدين عبثا ان يثنى هذا الرجل عن عزمه ، واوضح له خطورة عمله هذا على الاسلام والمسلمين ، والح عليه في ترك الخلاف والشقاق بل بكى بين يديه (٣) . لذلك ضعف أمر جلال الدين بمفارقة معظم جيشه له ، ونهض اليه عدو الله بجيوشه ، ودارت المعركة بين الجمعيين على حافة نهر السند ، وكادت ان تدور الدائرة على المغول ، لولا ان نصب جنكيزخان كمينا ادى الى قتل كثير من الخوارزميين ، وحلت الهزيمة بالمسلمين ، وكان الرجل منهم يأتي النهر فيهوى بنفسه في تياره ،

D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. i. p. 267. (١)

IBID P. 268. (٢)

(٣) العمري : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٥٥ وما بعدها .

وهو يعلم انه لا بد غريق « وان ليس له الى الخلاص طريق » واسبر ولد جلال الدين ، وكان غرا في الثامنة من عمره وقتل بين يدي غريمه جنكيزخان ولما عاد جلال الدين الى حافة السند كسيرا ، راي والدته وام ولده وجماعة من حرمة يصحن بأعلى صوتهن : بالله عليك اقتلنا وخلصنا من الاسر ، فأمر بهن فغرقن ، « وهذه من عجائب البلايا ونوادير المصائب » (١) . وعبر جلال الدين نهر السند مع أربعة آلاف من رجاله متجهين الى الهند « حفاة عراة كأنهم اهل النشور ، حشروا فبعثوا من القبور » وقد اعادت الهزيمة التي لحقت بالخوارزميين الى المغول هيبتهم ، واستردوا قوتهم ، وامتلكوا غزنة التي كانت خالية من الجند ، وقتلوا اهلها ونهبوا اموالهم ، واسروا النساء ودمروا البلدة تدميرا ، حتى اصبحت غزنة خرابا دمارا (٢) .

اعتزم جلال الدين استرداد قوته في بلاد الهند ، واستعان بسلطان دهلي . لكن التمش توجس خيفة من جلال الدين ، وقضي في الهند ثلاث سنوات ، واشتبك مع سلطان دهلي في عدة معارك وخشي قباجة - حاكم السند - من اقامة الخوارزميين في ولايته ، لانها قد تؤدي الى تعقب المغول لهم ، وما ينجم عن ذلك من خطر داهم على بلاده . ولكن جلال الدين اوقع بهم الهزيمة ولما علم جلال الدين ان المغول يعتزمون القدوم الى الهند، والنيل منه سار الى دهلي ، وسأل سلطانها - التمش - ان يعطى جنده حق الاقامة في دهلي . لكن السلطان المملوكى اعتذر اليه بحجة ان حرارة الجو في دهلي لا تناسب الخوارزميين ، ذلك ان سلطان دهلي خشي ان ينضم جند الترك في دولته الى سلطان الخوارزميين جلال الدين منكبرتي . وارسل اليه يراوغه ويوادعه ويقول : ليس بخفى ما وراءك من عدو الدين ، وانت اليوم سلطان المسلمين وابن سلطانهم ، ولست استحل ان اكون عليك عوناً للزمان ، وعدة للحدثان ، ولا يليق بمثلى ان يجرد السيف في وجه مثلك الا اذا اضطره اليه دفاع أو سامة اليه تحرز واقناع . وان رأيت زوجتك يابنتى لتحتكم الثقة (٣) .

وعلم السلطان جلال الدين ان التمش - سلطان دهلي - وسائر ملوك الهند وراجاتها واصحاب ولاياتها قد تأمروا على طرده من ديارهم . ولم

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢) المصدر السابق .

(٣) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٦٨ .

يتغاضي جلال الدين عن موقف سلطان دهلي العدائي منه، فاشتبك مع قواته بالقرب من دهلي، ثم انسحب الى لاهور، وكثر جمع جلال الدين بما وقد عليه من الجند التابعين لآخيه غياث الدين - حاكم العراق - كذلك انضمت اليه قبائل الكهكزية الهندية - وكانوا ناقلين على قباجة . فكثر جمعه واشتد بأسه، وعظم أمره، وتمكن من انتزاع بعض البلدان من والي السند (١) .

لم يكن جلال الدين يهدف من التجائه الى الهند، الاقامة فيها، وإنما كان يهدف الى تجنب الاشتباك مع المغول حتى يستعيد قوته، ويعود الى بلاده وقد واثته الفرصة للانتقام من المغول، وشن الحرب ضدهم، واستعادة ملكه السليبي حين توفي جنكيزخان - قاهر الخوارزميين - وأعقبت وفاته انسحاب القوات المغولية الرئيسية التي تحتل اقاليم الدولة الخوارزمية الى مواطنها الاصلية، فعبر جلال الدين نهر السند سنة ٦٢٢هـ / ١٢٢٥ م، وقصد ايران، واشتبك مع المغول في عدة معارك (٢) .

عادت معظم بلدان الدولة الخوارزمية الى حوزة السلطان جلال الدين منكبرتي، ولجأ اليه حكام المدن والبلاد الخوارزمية يعلنون ولاءهم وبهجتهم بالتخلص من حكم المغول وأبقى بعضهم على ما بيده، وعزل بعضهم « وأفرجت أيام السلطان عن الناس الكرب، وأطفا من نيران الفتن ما التهب، وتفرقت العمام والوزراء في الاطراف بتواقيع السلطان فضبطوها (٣) .

وبذلك استرد هذا السلطان الشجاع ملكه وسلطانه على اقاليم خوارزم وغزنة وكرمان وقارس وخراسان ومازندران . على ان بلاد ما وراء النهر بقيت في ايدي المغول .

خلف اجتاي Ogtai جنكيزخان، وعول على استرداد البلاد التي آلت الى جلال الدين، وسير جيشا كبيرا الى الري فانتزعتها، واستولى على همدان سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م وطارد المغول السلطان جلال الدين، وتعقبوه في موقان وتبريز وفي اذربيجان، واتجه الى آمد،

(١) النسوي : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(٢) D'ohsson : Histoire Des Mongols. tom. iii. p. 11.
(٣) IBID

فهزمه المغول هناك ، وشردوا رجاله ، وقتل المغول كل من تبعه في فراره ، وظل السلطان يتنقل من بلد الى بلد ، والمغول تلاحقه أينما سار واتجه ، حتى وصل الى جبال كردستان ، وقد شك فيه بعض الاكراد وأخذوه وسلبوه كعادتهم بسائر من ظفروا به ، فحين هموا بقتله ، قال لكبيرهم سرا : « انى انا السلطان فلا تستعجل في امرى ، ولك الخيار في احضارى عند الملك المظفر شهاب الدين ، فيفنيك ، أو ايصالى الى بعض بلادى فتصير ملكا . فرغب الرجل في ايصاله الى بلاده ، وتركه عند امراته ومضى بنفسه الى الجبل لاحضار خيله ولكن هاجم المنزل رجل من الاكراد ، وقتله بعد أن تعرف عليه ، ثارا لمقتل أخ له على يديه سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣١ م » (١) .

وهكذا كان مصير هذا السلطان الشجاع ، وبوفاته زالت الدولة الخوارزمية .

تتابعت انتصارات المغول وفتوحاتهم ، واستولوا على اذربيجان وبلاد اران وغالبية مدن جورجيا وارمينية الكبرى ، وزحفوا الى شمال العراق ، وهددوا اقاليمه الشمالية ، واشتبكوا عدة مرات مع جيش الخلافة العباسية لاختبار قوتها .

وبعد أن هز جنكيزخان بفتوحاته اركان الدول مرض سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٧ م وشعر بدنو أجله ، فاستدعى اولاده ، وأوصاهم بأن يخلفه ابنه اکتاي لمزية رايه المتين وعقله الرزين ، وأوصاهم بقوله : « اعلموا يا اولادى الجياد أنه قد قرب سفرى الى دار الاخرة ودنا أجلى ، وأنا بقوة الاله والتأييد السماوى استخلفت مملكة عريضة . . فوصيت اليكم انكم على رأى واحد حتى تعيشوا في نعمة وعز ودلال » (٢) .

لما توفى جنكيزخان شكل ابناءه وأفراد اسرته مجمعا يسمى قور يلتاي ، وأجمعوا على مبايعة اکتاي خلفا لابيه حسب الوصية ، ولقبوه قاآن أى ملك أو سلطان . وفي سنة ٦٤٣ هـ / ١٢٤٦ م توفى هذا السلطان وخطفه ابنه كيوك ، فقسم المملكة بين اولاده واخوته ، واقطع

(١) النسوى : سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي ، ص ٣٨١ .

(٢) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ، ص ٤٢٨ .

البلاد الغربية وتحصيل الاموال لهولاكو ، وولى ارفعون اغا على هندوستان وخراسان ومازندران والعراق وفارس وكردستان والموصل والشام وفي عهد هذا السلطان نجت بلاد الهند من شر المغول .

عهد منكوقان - خاقان المغول في قراقورم - لاختيه هولاكو بالتوجه الى العراق والشام ومصر وبلاد الروم والارمن ، والسيطرة عليها ، وأوصاه بالمحافظة على تقاليد جنكيزخان وقوانينه في الكليات والجزئيات .

زحف هولاكو بجيشه الى بغداد ، وقضى في طريقه على طائفة الاسماعلية سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٢ م ، وهاجم بغداد وكان الخليفة العباسي المستعصم بالله رجلا لين الجانب ضعيف الوطأة سهل العريكة قليل الخبرة ، واقتحم المغول حاضرة الاسلام الكبرى ، ودمروا وخرّبوا المساجد والقصور بعد أن سلبوا ما بها من تحف نادرة ، وأباحوا القتل وسفك الدماء أربعين يوما ، واندلعت في بغداد السنة النيران في كل جانب واتت على الاخضر واليابس ، ودمرت بغداد وخرّبت . وبسقوط بغداد في ايدي المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٤ م زالت الدولة العباسية ، وضعف أمر المسلمين ، وقصد امراء المسلمين هولاكو ، وقدموا له فروض الولاء والطاعة حتى لا يتعرضوا لاعمال المغول التخريبية .

وتعرضت بلاد الهند لتهديد المغول بعد سقوط بغداد فقد سمعوا عن ثروتها ، وأعد بلبن العدة لصد الاعداء عن بلاده ، وبقي في دهلي لا يفادرها ، وحصن دهلي حتى لا تتعرض لما تعرضت له بغداد من ويلات وشور ، وأعاد بناء القلاع التي دمرت على الحدود بسبب غزوات المغول السابقة ، وأقام تحصينات جديدة مزودة بالجند والسلاح ، كما زود جيشه بالاسلحة والمعدات وأسند القيادات العسكرية الى رجال اكفاء ، وعين ابنه الشجاع محمد - حاكما على اللتان - وكان لخطته الدفاعية اثرها الكبير في درء خطر المغول عن بلاد الهند (١) .

على أن العلاقات السياسية عادت وتحسنت بين الدولتين المغولية والمملوكية في الهند ، وارسل هولاكو سفارة الى دهلي محملة بالهدايا ، واتفق الطرفان على احترام السيادة الاقليمية لكل منهما وانسحب المغول

Munshi : The Struggle For Empire. p. 193.

(١)

من الاراضي الهندية التي كانوا قد احتلوها (١) .

تطلع المغول في فارس الى السيطرة على بلاد الهند للحصول على ما فيها من ثروات هائلة ، وتقدم عبد الله - حفيد هولوكو - خان فارس - بجيش قوامه ١٥٠ ألف مقاتل الى بلاد الهند ، وحينما علم جلال الدين خلجي - سلطان دهلي - بذلك اعد العدة لدفع الخطر عن دياره ، وغادر عاصمته دهلي ، واشتبك الطرفان في عدة معارك صغيرة ، قصد منها اختبار كل من الفريقين لقوة الاخرى ، ثم وقعت المعركة الفاصلة بين الفريقين ، هزم فيها المغول ، ومزقوا شر ممزق ووقع من نجا من المعركة في الاسر ، ومن بينهم الكثير من فرسان المغول وقادتهم ، ودارت مفاوضات بين الفريقين انتهت بترتيب اجتماع بين عبد الله وجلال الدين ، واجتمع الزعيمان ودارت مفاوضات مباشرة ، انتهت باتفاق ودي بمقتضاه عاد عبد الله الى وطنه ، وبقي الغو - وهو من أحفاد جنكيزخان - مع بعض الجند في بلاد الهند، واعتنق الاسلام وزوجه جلال الدين واحدة من بناته ، والتحق هو وأربعمائة من ربهله بالسلطان الخلجي في دهلي بأسرهم ، واستقبلوا خير استقبال ، واقام لهم سلطان دهلي مستعمرات يقيمون فيها وهي غازيور - اندرابت - كلغاري - تالوك ، وسميت ارض المغول - مغول بورا - واختلطوا بأهل سلطنة دهلي ، وسموا بالمسلمين الجدد (٢) .

عاد خطر المغول يدق ابواب الهند من خانات جفتاي في بلاد ما وراء النهر ، وتاريخ اولاد جفتاي ناقص ويحيط به الغموض ، وليس لدينا من المعلومات الصحيحة عنه الا ما ورد بخصوص الغارات على حدود ايران او الهند ، وكذلك الصراع الداخلي بين امراء آل جفتاي .

على ان تلك الغزوات المغولية في بلاد الهند لا يمكن مقارنتها بتلك التي حدثت في عهد السلطان علاء الدين ، فقد اتسمت بالعنف والقوة والقهر ، ففي سنة ١٢٩٧ أرسل دافا - خان بلاد ما وراء النهر - جيشا يتألف من مائة الف مقاتل الى البنجاب بقيادة قائده كادار Kadar واخترق الجيش المغولي - كما جرت العادة بلاد الهند من ناحية الشمال الغربي - واحرقوا القرى التي مروا بها ودمروها تدميرا ، ثم دخلوا سهول البنجاب ،

Munshi : The Struggle for Empire. p. 193.

(١)

Lal : pp. 30-31.

(٢)

وعانوا حول لاهور فسادا وتخريبا ، وكان زحف المغول في الهند يلقي الفرع والرعب في أرجائها ، فيهجرون قراهم ويتركون ديارهم ، ويخشون من التصدي للمغول اعتقادا منهم أنهم قوم لا يقهرون ، وأن من يعترضهم لا محالة هالك (١) .

أعد السلطان علاء الدين العدة لدرء خطر المغول عن بلاده ، وأسند قيادة جيشه الى يلغ خان ، وسيره الى مواقع المغول في الهند ، والتقى الجمعان في معركة حامية الوطيس بالقرب من جلندهار ، وهزم فيها المغول شر هزيمة ، ويقال ان عدد قتلى المغول بلغ ٢٠ الفا ، وأسر عدد كبير من مقاتليهم ، قتلوا جميعا في مذبحه مروعة ، وأرسل القائد يلغ خان الى السلطان علاء الدين رسالة يبشره فيها بالنصر ، وأرسل أيضا الى دهلي رءوس قتلى المغول ، والسبي من النساء والاطفال (٢) .

ومما لا شك فيه ان هذا النصر المؤزر قد انقذ مملكة دهلي من كارثة مروعة كادت أن تعصف بها ، كما أدى هذا الانتصار الى تقوية مركز علاء الدين في دهلي امام أعدائه المتربصين به (٣) .

على أن المغول لم يتغاضوا عن هذه الهزيمة المروعة التي حلت بهم ، بل تحينوا الفرص المناسبة للانتقام من سلطنة دهلي ، ففي سنة ١٢٩٩ ، انتهز المغول فرصة انشغال القائدين يلغ خان ونصرت خان في اخضاع اقليم الكجرات ، واخترق جيش المغول بقيادة سالد Sald حدود الهند ، وشنوا حربا على سلطنة دهلي تحدث عنها فرشته وباراني (٤) ، بينما لا يذكر امير خسرو مجرد اشارة عن هذه الحملة ، ومهما يكن من امر فقد هاجم المغول اقليم سيفستان فأمر السلطان علاء الدين قائده بالمسارعة الى سيفستان لصد المغول عنها ، وطردهم نهائيا من الهند ، وأدى ظفر خان واجبه الوطني خير اداء ، فشدد هجماته على المغول حتى هزمهم وأعمل رجاله السيف في رقابهم كيف شاءوا ولاذ من نجا منهم بالفرار ، ووقع في الاسر كثيرون ، واسترد ظفر خان سيفستان وأرسل

Lane Poole : Muhammedan Dynasties. p. 215. (١)

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 130. (٢)

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٥٣ .

(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٥٧ .

الى دهلى الاسرى من الجنسين ، ومن بينهم القائد سالدى وأخيه (١) .

وتتضارب اقوال المؤرخين عن غزو المغول للهند في هذه الفترة فيقول فرشته ان دافا - خان ما وراء النهر - وأخاه سالدى استوليا على سيفستان بينما لا يذكر بارانى ان دافا كان مع أخيه سالدى في غزو سيفستان ، والواقع ان دافا كان طوال هذه الفترة مشغولا بالصراعات السياسية في وسط آسيا ، وأرسل أكثر من قائد من قواده المقربين لضم سيفستان الى حوزته (٢) . كما أن دافا لا يمكن أن يستسلم لحرب بسيطة كالتى حدثت أمام سيفستان . ويذكر بارانى وفرشته أن سالدى وأخاه أسرا وسيقا الى دهلى حيث قتل ، كما جرت العادة مع اعداء السلطنة . ومن ناحية أخرى فقد بقى دافا على قيد الحياة حتى سنة ١٣٠٦ (٣) . وعلى ذلك فلا صحة لما قاله فرشته بأن دافا كان مع سالدى في الحرب أمام سيفستان . أما المؤرخون فيذكرون أنه كان على رأس المعركة سالدى وأخاه ، ولا يذكرون اسم دافا . يضاف الى ذلك أنه لو كان دافا على رأس المعركة لبرز اسمه في روايات الرواه وكتب المؤرخين (٤) .

وأثار انتصار ظفر خان في هذه المعركة اعجاب الناس غير أن علاء الدين أخذ يتوجس شكا وريبة من قوة ظفر خان ومقدرته الحربية ، كما أن القائد يلغ خان شعر بنفس شعور السلطان أيضا ، لان انتصار ظفر خان على المغول ، قد أنسى الناس انتصاره هو - أى يلغ خان - في الكجرات والملتان ومهما يكن من أمر فقد عسكر ظفر خان في سامانا Samana لمراقبة تحركات المغول في الغرب ، لان المغول لن يتفاضوا عن الهزائم التى لحقت بهم في الهند ، لكن السلطان علاء الدين تناسى فضل هذا القائد الشجاع ، وفكر في سمل عينيه او ابعاده الى البنغال (٥) ، ولكن التطورات السياسية الجديدة جعلت هذا السلطان يعدل عن موقفه البغيض من قائده الشجاع (٦) .

قلنا ان مملكة ما وراء النهر المغولية لا يمكن أن تتفاض عن الهزيمة

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 132.

(١)

(٢) تاريخ بارانى ، ص ٢٥٥ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

(٤) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

Hist. of the Khaljis. p. 133.

(٥)

IBID. p. 234.

(٦)

المروعة التي لحقت بجيشها أمام سيفستان فقرر خانها الانتقام من هذه الهزيمة وازالة العار الذي لحق به ، ففي سنة ١٢٩٩ ارسل جيشا كبيرا بقيادة كتغلق خواجى - ابنه - الى الهند ، وعدة هذا الجيش عشرين الف مقاتل ، مدربين خير تدريب (١) ، وعبر الغزاة نهر السند ، وزحفوا بسرعة حتى اقتربوا من دهلى دون أن يزعجوا القرى التي مروا بها ، واقترب خطرهم وشرهم من دهلى ، الامر الذي ادى الى فزع وجزع أهل دهلى والقرى المجاورة لها ، فهجر بلده كل من تيسر له الهجرة ، وحاصر المغول دهلى (٢) وحشدت الحكومة الهندية عددا كبيرا من الجند والمتطوعة حتى امتلأت العاصمة بهم ، بل لم تستطع الحكومة تدبير اقامة الكثير منهم . وفي نفس الوقت شدد المغول حصارهم لدهلى ، واستولوا على البضائع والمؤن والمعدات التي حملتها القوافل المتجهة الى دهلى (٣) . الامر الذي ادى الى قلة الاقوات في دهلى ، وبالتالي رفع الاسعار ، فناشد السلطان علاء الدين ولاة الاقاليم بارسال الميرة والمعدات الى دهلى بسرعة وبدون ابطاء ، وفي نفس الوقت بذل جهودا مكثفة لتقوية وسائل الدفاع عن الحاضرة الاسلامية الكبرى ، وعهد الى أحد رجاله المقربين بأن ينسب عنه في حكم دهلى ومنحه سلطاته بصفة مؤقتة ، ريثما ينتهى من الحرب ، وخرج هو على رأس جيشه الى Kili ، وعسكر بالقرب من القوات المغولية بقيادة كتغلق خواجى (١) .

وكان الجيش الهندى يعسكر في موضع آمن في Kili كيلي وتحصينه العشائش والادغال والغابات من كل جانب ، وانضم حكام البنجاب والملتان وسامانا بجندهم الى سلطان دهلى ، وانضم اليه بعض راجات الهند من اقدر المحاربين وأشجعهم ، وقسم علاء الدين قواته الى فرق ، ووزع الفيلة بينها ، وأمر كل جندي بالا يبرح موضعه بدون أمر منه ، وبث علاء الدين روح الحماس بين جنده ، وحثهم على التضحية بالنفس لدرء الخطر المغولى عن ديارهم ، وأدار المعركة بكفاءة ومهارة وشجاعة (٥) . وعلى الرغم من ضغط المغول على قواته ، وشدة وعنف هجماتهم ، فان الدائرة دارت عليهم ، ومزقوا شر ممزق ، ولم يتج منهم

(١) باراقى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٥٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

(٤) Lal. p. 137.

(٥) تاريخ فرشته ص ١٠٣ .

الا الشريد ، وأعمل فيهم المسلمون السيف كيف شاءوا حتى افنؤهم ،
وتمكن علاء الدين من فك أسر المسلمين الهنود ، وانقذهم من شرورهم (١) .

على أن ظفر خان الذي كان يقود أحد أجنحة الجيش قد انفرد
بحرب فريق من المغول يفوق جنده عددا ، لذا أمر رجاله بشن هجوم
يأس على العدو وتفهمر المغول أمام هجماته القوية ، فتمكن منهم ونكل
بالكثيرين ، وفي نفس الوقت أعد كميناً للمغول أثناء انسحابهم ، سقط
فيه حوالي عشرة آلاف ، ومع ذلك كان جيش ظفر خان لا يزيد عن ألف
فارس ، وجيش المغول أضعاف عددهم . ولم يكتف ظفر خان بما أحرزه
من نصر بل اعتزم الدخول بجنده القليل مع العدو في معركة فاصلة ، ورفض
كل الرفض فكرة الانسحاب من المعركة حتى لا يعاقبه السلطان بتهمسة
الجبن . ودارت معركة يائسة بين الفريقين حمى فيها وطيس القتال (٢) ،
ولم يكن الفريقان متكافئين بسبب قلة عدد جند دهلي بالنسبة للمغول ،
وقتل مع ذلك من الهنود ثمانمائة ، ولم يبق مع ظفر خان سوى مائتين ومع
ذلك ظل يواصل القتال بجنوده القليل ، وأظهر من ضروب البطولة
والشجاعة ما صار مضرب الأمثال فقد قتل من المغول في هذه المعركة
الضارية خمسة آلاف مقاتل ، وظل ظفر خان يحارب حتى قتل حصانه
فوقف على قدميه ، وواصل الحرب ، وتحدثت المصادر المعاصرة عن
شجاعته حديثاً يدعو الى الإعجاب ، ولم يحظ القائد الشجاع بتقدير الهنود
فقط ، بل أعجبت شجاعته ومقدرته القتالية الأعداء أيضاً . ولما ضعف ظفر خان
عن المقاومة ، ولم يعد في استطاعته مواصلة القتال ، ولاحظ قائد المغول
ذلك ، أرسل اليه يعرض عليه العفو والامان ، ويطلب منه الدخول في
خدمته ، لكن القائد المسلم الشجاع رفض هذا العرض ، وآثر ان يموت في
ميدان القتال شريفاً غير خائن ، شهيداً في سبيل الله والوطن ، وفعلاً
ظل يقاتل حتى قتل .

وبعد هذا النصر المؤزر عاد علاء الدين من كيلي ولم يزعجه نبأ مقتل
ظفر خان ، لانه كان يخشي بأسه ويشك في نواياه نحوه . ومما لا شك
فيه أن هذا الانتصار الخلجي الرائع على المغول قد جنب بلاد الهند من
ويلاتهم وشرهم المستطير فترة من الوقت ، حتى أن المغول أمضوا وقتاً لم

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

(٢) المصدر السابق .



يفكروا فيه في غزو الهند ، بعد أن وقفوا على حقيقة قوة سلطنة دهلي ، وكفاءة سلطانها ، وعظم بأسه ، ومقدرة جيشه القتالية ، وانصرف المغول الى شؤونهم الداخلية في وسط آسيا .

على أن علاء الدين لم يطمئن الى فترة الهدوء التي انصرف فيها المغول عن الهند ، بل ظل يتربص هجوما متوقعا منهم ، ويتتبع الاحداث السياسية في وسط آسيا ، وفي نفس الوقت يعد العدة ، ويتأهب عسكريا واقتصاديا لغزو مغولي مفاجيء (١) .

وباقتراب سنة ١٣٠٢ سار علاء الدين الى دكا عن طريق البنغال ، وهاجم شيتور في مستهل سنة ١٣٠٣ ، وهناك علم بأن المغول أعدوا قوة ضاربة لغزو سلطنة دهلي من جديد (٢) .

وجاء الغزو المغولي في وقت حرج للغاية بالنسبة للسلطان علاء الدين ، ذلك أن جيشه قد انهكه الهجوم على شيتور ، ونفذت الكثير من معداته ومؤنه ، كما أن الجند مات أو مرض أكثرهم أثناء عودتهم الى دهلي عن طريق صحراء الثار القاحلة ، واقترب المغول من دهلي بقيادة تارغي Targhi على رأس ١٢٠ ألف جندي وكان علاء الدين أن يعد العدة بسرعة لانقاذ دهلي من هذا الخطر الداهم (٣) ، وأصدر أوامره الى ولاية الاقاليم في دواته في الشرق والغرب لارسال النجيدات الى العاصمة ، والاستعداد لقهر الغزاة المغول ، ودفعهم عن البلاد .

واقترب المغول من دهلي ، وأثار قائدهم حماس جنده ، وحثهم على الانتقام مما لحق بكتلغ خواجي وجنده ، ودعاهم الى الحرب بشنجانة وحماس حتى لا تتكرر مأساة الهزيمة المروعة السابقة ، وحتى يمكن الانتقام لقتلاهم . وقد فزع علاء الدين من هذا الهجوم لان النجيدات التي طلبها من ولاية الاقاليم لم تصله بعد ، فجمع جنده في سهول سيري Siri كما أبقى فريقا من الجند في دهلي . ولما كان من الخطورة محاربة المغول في أرض مكشوفة وجها لوجه بسبب قلة جند دهلي بالنسبة للعدو ، فقد قرر علاء الدين تقوية وسائل الدفاع عن المدينة ، وكانت اضعف نقطة

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٦١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣) Lal : Hist. of the Khaljis, p. 300.

(٣)

دفاعية عن دهلي تقع في شمالها ، أما الجهات الاخرى فتحيط بها الادغال والغابات والمستنقعات ، وقد اقام علاء الدين خندقا حول دهلي . وبذلك وجد المغول صعوبات بالغة واهوال جسام في البحث عن نقطة ضعف تمكنهم من اقتحام دهلي (١) .

واحكموا الحصار حول دهلي من جميع جهاتها ، وازداد حرج علاء الدين ، النجذات لم تصله ، وجيشه الذي ارسله الى البنغال عاد ممزقا ، ومنع المغول الماء عن دهلي ، وكذلك الميزة وكل ضروريات الحياة ، وكان المغول يسكرون في جماعات في بلدان سلطنة دهلي ، وينهبون مخازن الحبوب فيها ، بل ارسلوا فرقة نهبت مخزن الحبوب الملكي ، فعم القحط دهلي ، واشتد البلاء ، وقاسي الناس ويلات البؤس والحرمان ، وضعفوا ووهنوا . على ان الخطوط الدفاعية الحصينة التي اقامها علاء الدين حول دهلي لم تمكن المغول من اقتحامها .

ودارت بين الفريقين عدة مناوشات لم تؤد الى نتيجة حاسمة ، ولما طال الحصار ، راي قائد المغول ان اقتحام دهلي امر صعب ، ويكلفه ما لا يطيق ، بسبب قوة استحکامات علاء الدين ، لذا نجد قائد المغول يقرر الانسحاب بعد شهرين من الحصار (٢) . وبذلك انقذ الله دهلي من خطر داهم وشر جسيم .

وقد اختلف المؤرخون في تعليل انسحاب المغول على الرغم من تفوقهم الحربي والعددي عن جيش علاء الدين ، وعن احكامهم الحصار لدهلي ، ومنع الماء والقوت عنها . وقد ارجع المؤرخ باراني هذا النصر الى الدعوات المخلصة للشيخ نظام الدين الذي عرف عنه التقوى والورع . وعلى كل حال يمكن تعليل انسحاب المغول الى عدة عوامل ، منها ان السلطان علاء الدين تصدى للمغول بكل ما اوتى من قوة ، ورفض الاستسلام ، واحكم خطة الدفاع ، ومن هنا راي قائد المغول عدم جدوى الاستمرار في الحصار . كما ان تقوية وسائل الدفاع - كما رأينا - قد احبط محاولة المغول دخنول دهلي . ومن ناحية اخرى فان معارك المغول في الهند كانت خاطفة وسريعة حتى لا يؤثر استمرار الجيش المغولي في الهند على موقفهم الحربي في وسط آسيا .

IBID. pp. 140-141.

(١)

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٠٢ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ص ٣٠٣ .

على أن الغزو المغولي قد دفع علاء الدين الى تقوية وسائل الدفاع في مملكته تجنباً لتكراره من جديد . فقد شيد حصناً وقصراً في سيري ، ونقل مقر قيادته هناك ، حتى أن سيري عرفت بالعاصمة ، وشيد علاء الدين أسواراً عالية ، وضخمة حول البلدة لمنع الغزاة المغول من اقتحامها ، وأصلح القلاع القديمة ، وشيد حصوناً على حدود دهلي لمنع المغول من اجتياز الهند من جديد ، وحشد الجنود والضباط في القلاع والحصون الشمالية ، لمنع المغول من غزو الهند ودرء خطرهم وأعاد تنظيم الجيش وتسليحه ، بأحدث وأقوى المعدات المتطورة وقتئذ .

وبعد أن أعد علاء الدين عدته لهذا الأمر اطمأن الى أن المغول لن يلحقوا بالهند من الولايات ما حدث قبلاً ، بل أصبح مستعداً لتلقيهم درساً قاسياً إذا فكروا في غزو الهند ، وتعريضهم للقتل والتنكيل والتشريد « ويقع نساؤهم أسرى في أيدي المسلمين ، ويمزق رجالهم سيوف المسلمين وتدمرهم القبيلة » (١) .

على أن المغول قد استاءوا من الهزائم المتلاحقة التي لحقت بهم من سلطنة دهلي ، وعولوا على ضرورة الانتقام من علاء الدين ، فسيروا جيشاً كبيراً بقيادة علي بك Ali Beg وتارغى وسارتاك ، وكان تارغى يتعطش للثأر والانتقام مما لحق به سنة ١٣٠٣ من خيبة أمل وهزيمة وقتل كتلغ خواجى . ومهما يكن من أمر ، فقد شن المغول حملتهم على الهند سنة ١٣٠٥ ، في حملة لا تقل ضراوة وشراسة عن حملاتهم السابقة ، ضم جيشهم خمسين ألف مقاتل ، وعبر المغول المنطقة الجبلية في شمال غرب الهند . ويذكر أمير خسرو أن تارغى لقي مصرعه في بداية الحرب ، واتجه الجيش المغولي الى دواب ، وعاث جند المغول نهباً وفساداً في البلاد التي مروا بها ، وألحقوا بها الخراب والدمار ، وقد تجنب المغول مهاجمة دهلي لمناعتها وحصانتها ، وأيقنوا من ذلك في هجومهم عليها سنة ١٣٠٣ ، وساروا مباشرة الى الدواب واودة - وهما أعظم بلاد المملكة خصباً ورياً - ولما اقترب المغول من المدينتين ، أخذ الفرع من سكانها كل ما أخذ ، وعمهم الهلع ، فهجروا ديارهم الى القرى والغابات المجاورة (٢) .

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٧٣ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٢٠ .

وحيثما علم السلطان علاء الدين بأنباء هذا الغزو المدمر وفزع الاهلين منه ، أعد جيشا من ثلاثين أو اربعين ألف مقاتل لدرء الغزاة عن أرض الوطن والتقى جيش دهلي مع جيش المغول في معركة حامية الوطيس ، هزم فيها المغول هزيمة نكراء ، ومزقهم المسلمون كل ممزق في أواخر سنة ١٣٠٥ (١) ، وقتل في المعركة اكثرية جند المغول ولاذ من نجا منهم بالفرار ، وقد غنم المنتصرون خيولهم ووقع قائدا المغول على بك وتارتاك في اسر المسلمين وسيقا الى دهلي مكبلين بالسلاسل والاغلال (٢) .

وكان لهذا الانتصار الرائع صدى عميقا في نفوس أهل الهند ، وعقد سلطان دهلي مجلسا يضم كبار رجال الدولة من الامراء والوزراء وقواد الجيش واستعرض الجيش المنتصر بالمغانم التي قنمها من العدو ، وسارت الاسرى في موكب أمام مجلس السلطان ، واجتمع الناس من كل مكان للمشاركة في هذا الاحتفال الكبير ، وأمر علاء الدين بعرض موكب الاسرى في دهلي ، ثم قتلهم بعد ذلك . ويقول فرشتة أن ثمانمائة رأس مغولي استعملت بدلا من الحجارة لتشييد قصره في سيرى . على أن السلطان أمر بحبس قائدى الجيش ، وأنزلهم في دار خصصها لهما ، ولم يلبث أن امر بقتلهما .

ولم يكد علاء الدين يتنفس الصعداء من هذا الغزو المغولى الذى تحدثنا عنه ، حتى عاد المغول من جديرد في سنة ١٣٠٦ لمهاجمة بلاده انتقاما من مقتل على بك وتارتاك وجند المغول ، وخرجت الحملة المغولية بقيادة كوباك ، واجتاز بلاد الهند بجيش قوى ، وسار الى رافى Ravi ، وخرّب البلاد التى مر بها ، وتحرك فريق من المغول جنوبا ، وبلغوا ناجور Nagaūr وأحدثوا الرعب في القرى المجاورة لهذه البلدة

وكان طبيعا الا يتغاضي السلطان علاء الدين عن اجتياز المغول لبلاده فأرسل جيشا لتتبعهم ، وطردهم من مملكته ، واسند قيادة جيشه الى ملك نائب كافور وحرص علاء الدين على بث روح الحماس بين جنده الذين أضناهم كثرة الحروب بل أمر بدفع منح مرضية لجنده ، وتقديم

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٣ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٣ .

جند دهلى صوب جند المغول ، ووقف الفريقان وجها لوجه ، ودارت رحى معركة بين الفريقين ، انتهت بانتصار جيش دهلى على جند المغول انتصارا حاسما ، وتقهقر جيش المغول مغادرا بلاد الهند نهائيا ، وعاد المغول الى بلادهم يجرون اذيال الفشل والخيبة ، وعاد الجيش المظفر الى دهلى مصحوبا بعدد ضخم من اسرى الحرب . ويقول فرشته ان عدد الاسرى المغول قدر بالآلاف . ولما كان علاء الدين شديد الغضب من غزوات المغول المتكررة والتي اشاعت الخراب والدمار في القرى والبلدان ، فقد كان انتقامه من الاسرى كبيرا ، فأمر بقتلهم تحت اقدام القبيلة ، وبيع نساء واطفال المغول في اسواق النخاسة بالهند ، وشيد من جماجم المغول برجاً امام احدى بوابات دهلى (١) .

وهذه الغزوة ، آخر غزوات المغول في بلاد الهند ، وحدث معظمها في عهد دافا خان الذى ولى عرش بلاد ما وراء النهر سنة ١٢٧٢ ، وتوفى سنة ١٣٠٦ ولقد اضطربت بلاد ما وراء النهر بعد وفاته ، وتعاقب على العرش في مدى ثلاث سنوات ثلاث خانات ، ولكن غزوات المغول في بلاد الهند توقفت بعد وفاة دافا وأنقذ الله سلطنة دهلى من ويلاتهم واعمالهم التخريبية وانتهى الوقت الذى كان يعيش فيه الاهلين في رعب وفزع . ومما لا شك فيه أن جهود علاء الدين المضنية وشجاعته النادرة هو وقواده كان لها اثر كبير في درء كل محاولة بذلها المغول للنيل من بلاد الهند . ولما كانت غزوة وكابل تشكلان أهمية استراتيجية كبيرة على أمن الهند وسلامته من ناحية الغرب فقد شرع علاء الدين في احتلالهما وفعلا بسط سلطانه على البلدتين . وبذلك وضع حدا لما كانت تتعرض له الهند من حروب تشن عليها من الحدود الشمالية الغربية وبالذات من غزته وكابل (٢) .

ويجدر بنا أن نناقش أسباب الهزائم المتلاحقة التى حلت بالمغول من جيوش سلطنة دهلى ، واسباب فشلهم في احتلال بعض اجزاء من الهند ويمكن القول ان اسطورة جيش المغول الذى لا يقهر قد فات اوانها وولت ايامها ، بعد أن فقد المغول قدرا كبيرا من قوتهم ترجع في معظمها الى الانقسامات الشديدة بين خانات المغول ، والى انقطاع الصلة بين خان المغول في بلاد ما وراء النهر ، والخان الاعظم في الصين ، فضلا عن أن خان بلاد ما وراء النهر شغلته الاحداث السياسية في وسط

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٤ .

آسيا عن تركيز جهوده في الهند ، ويقال أن دافا غزا وسط آسيا خمسين مرة ، ولما رأى أن حروبه هناك لا جدوى منها ولا طائل ، أنفذ جيوشه الى الهند ، وكان ينضم الى جيش المغول في الهند عناصر غير مدربة على القتال ، وهي الكهكزية والافغانية ، وهؤلاء لا يهمهم سوى التخريب والتدمير والحصول على منافع شخصية ، يضاف الى ذلك أن نوعية الجندي المغولي قد اختلفت عنها في الايام المبكرة لدولتهم والتي اكسبتهم صلابة وقوة بأمن وبالتالي نجاحا وتفوقا ، وفقد جند المغول ما عرف عنهم من سرعة الحركة والصبر على القتال ، وتحمل الشدائد ، ويتجلى ذلك في حروبهم في الفترة ما بين سنتي (١٣٠٠ - ١٣٠٣) فقد استطاع علاء الدين ان يتصدى لهم ، ويدخض كل محاولاتهم التوسعية ، ويوقف كل هجماتهم ، وتعددت معاركه معهم ، وانتصاراته عليهم ، حتى فقد صبرهم وفقدوا القدرة على مواصلة غزو سلطنة دهلي ، لذا انسحبوا من ميدان القتال مخذولين مدحورين (١) .

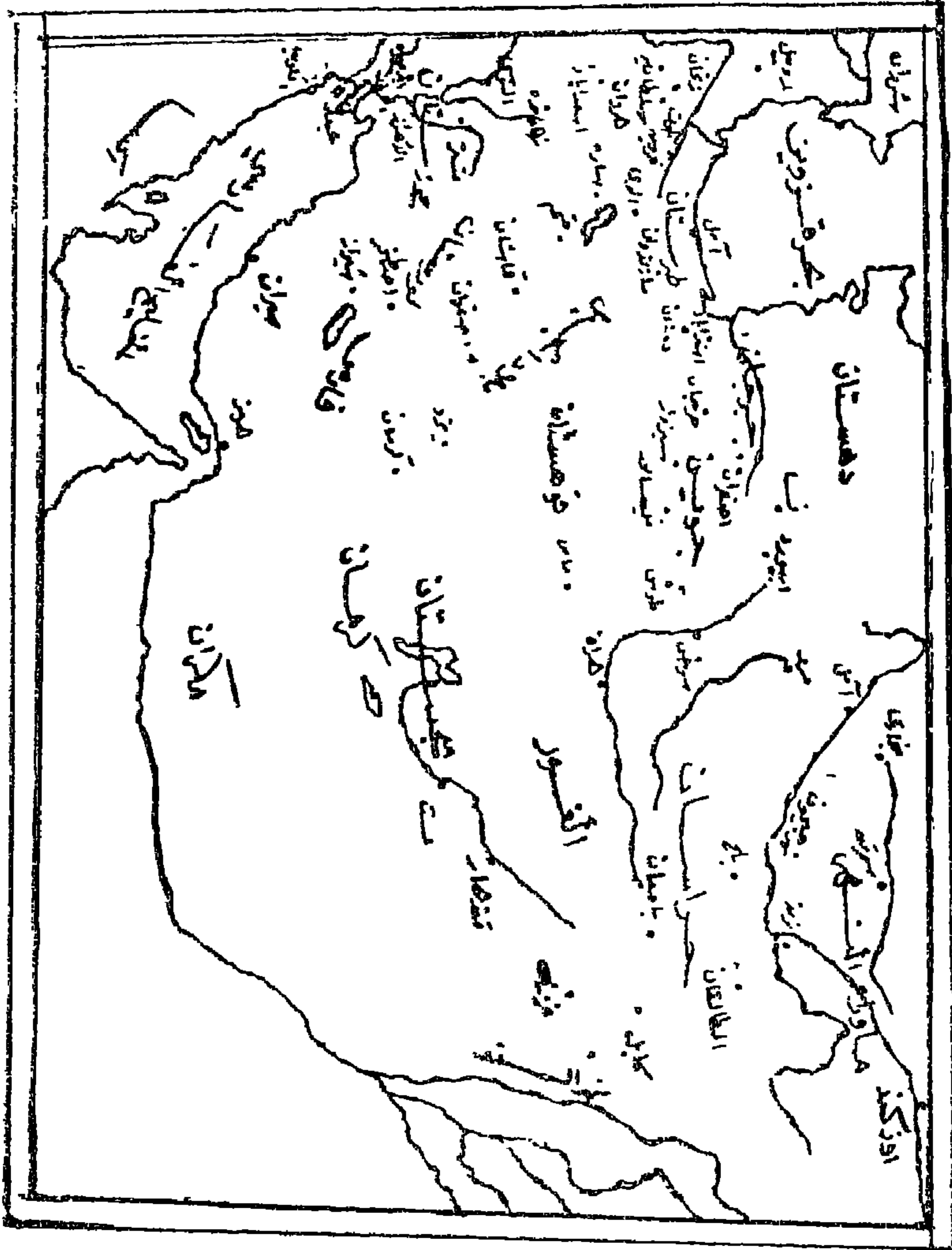
يضاف الى ذلك ان دافا الذي كان يباشر الحرب بنفسه في وسط آسيا، لم يفعل ذلك في الهند ، لذلك لم يتعرف على طبيعة الحرب فيها ، ففي الوقت الذي تفوق فيه في وسط آسيا ، هزمت جنوده في الهند مرات ومرات . وبعد وفاة دافا حدث تنافس على العرش في بلاد ما وراء النهر ، صرف المغول عن فكرة غزو الهند ، ولقد فطن علاء الدين الى أهمية افغانستان بالنسبة للهند لانها قاعدة اتخذها المغول لشن حملاتهم على الهند ، فاستولى على غزنة وكابل - كما ذكرنا - وبذلك أمنت البلاد من غزو المغول الذي كان يأتيها من هذه الجهات عادة (٢) .

ولا يفوتنا أن نذكر أن علاء الدين كان رجل حرب ورجل دولة ، يضع الخطط الحربية المحكمة ، ويبث روح الحماس في جنده ، ويعد جيشه خير اعداد ، فضلا عن شجاعته وذكائه وصبره الذي لا ينفذ .

وتعرضت سلطنة دهلي للغزو المغولي في عهد السلطان محمد بن تغلق

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٦ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٢١ - ٣٢٢ .



عقب وفاة أبيه . ففي سنة ٧٢٧ هـ / ١٣٢٧ م اقتحم تومشير خان بن داود خان - زعيم قبائل الاولوس الجغتائية الذائع الصيت - بلاد الهند على رأس جيش كبير واستولى على لمغان والملتان عند الحدود الشمالية الغربية وواصل زحفه في بلاد الهند متجها الى دهلي .

ولم يكن محمد بن تغلق على استعداد لصد القائد المغولي عن بلاده ، فأرسل وفدا الى القائد المغولي محملا بالهدايا والاموال اليه ، وما زال مبعوثو السلطان بقائد المغول حتى اقنعوه بالعودة عن الهند ، فانسحب بجيشه الى بلاده .

الغزو التيمورى لبلاد الهند

ينتمى تيمورلنك الى فرع كركن ، ونشأ في قرية كش ، وكان أبوه شيخا لاحدى القبائل ، ونشأ تيمور منذ نعومة اظفاره على التمسك بتعاليم الاسلام ، وظهرت شجاعته ونجابته في ريعان شبابه الغض ، وقد بث فيه والده تعاليم وطنية بضرورة تقويض أركان الدولة المغولية ، وكان طموحا يتطلع الى المجد والعظمة ، استوعب منذ صغره كتب الحكمة العالية والقوة الخارقة ، وحمل نفسه على الاباء والحذر من المحيطين به ، كان يمضي وقته في تلاوة القرآن الكريم والصيد والعباب الفروسية والشطرنج .

ارتفع شأن تيمور في بلاد ما وراء النهر حتى تقلد بعض المناصب الرئيسية وأسند اليه الامير حسين حفيد الامير الجفتائى قزغان ولاية كش ، ولكنه لم يستمر فيها فقد طرد منها ، ولم يلبث ان عاد اليها بعد لاي وعناء ، ولم يكتف بولايته بل سيطر على سجستان وبلخ ، وبذلك ازداد نفوذه وارتفع شأنه وقوى أمره وكثر رجاله ، واشتبك في عدة حروب مع أعدائه ، وما زال ينتقل من نصر الى نصر حتى تمكن من طرد الجفتائى نهائيا من بلاد ما وراء النهر بعد موت تغلق تيمور ، ودخل مدينة سمرقند وأعلن نفسه سلطانا سنة ١٣٦٩ م .

واتسع ملكه بأن امتد الى ايران والعراق ، وقضى على الدويلات الصغيرة في تلك الانحاء ، وبرزت فيه آثار القدرة والدهاء والعظمة « بعد أن قارع الملوك ودوخ الممالك » .

تطلع تيمور الى بسط نفوذه على بلاد الهند لما لها من موارد اقتصادية هائلة ، وقد واثته الفرصة بعد وفاة فيروز شاه - سلطان دهلى - والاضطرابات والقتال التى اعقبت وفاته ، وتقدمت طلائع جيشه سنة ٧٩٩ هـ / ١٣٩٧ م الى حصن أوكا ، واستولت عليه ، ثم اتجهت الى الملتان ولم يستطع حاكمها دفع التيموريين وسقطت الملتان في ايدى قوات

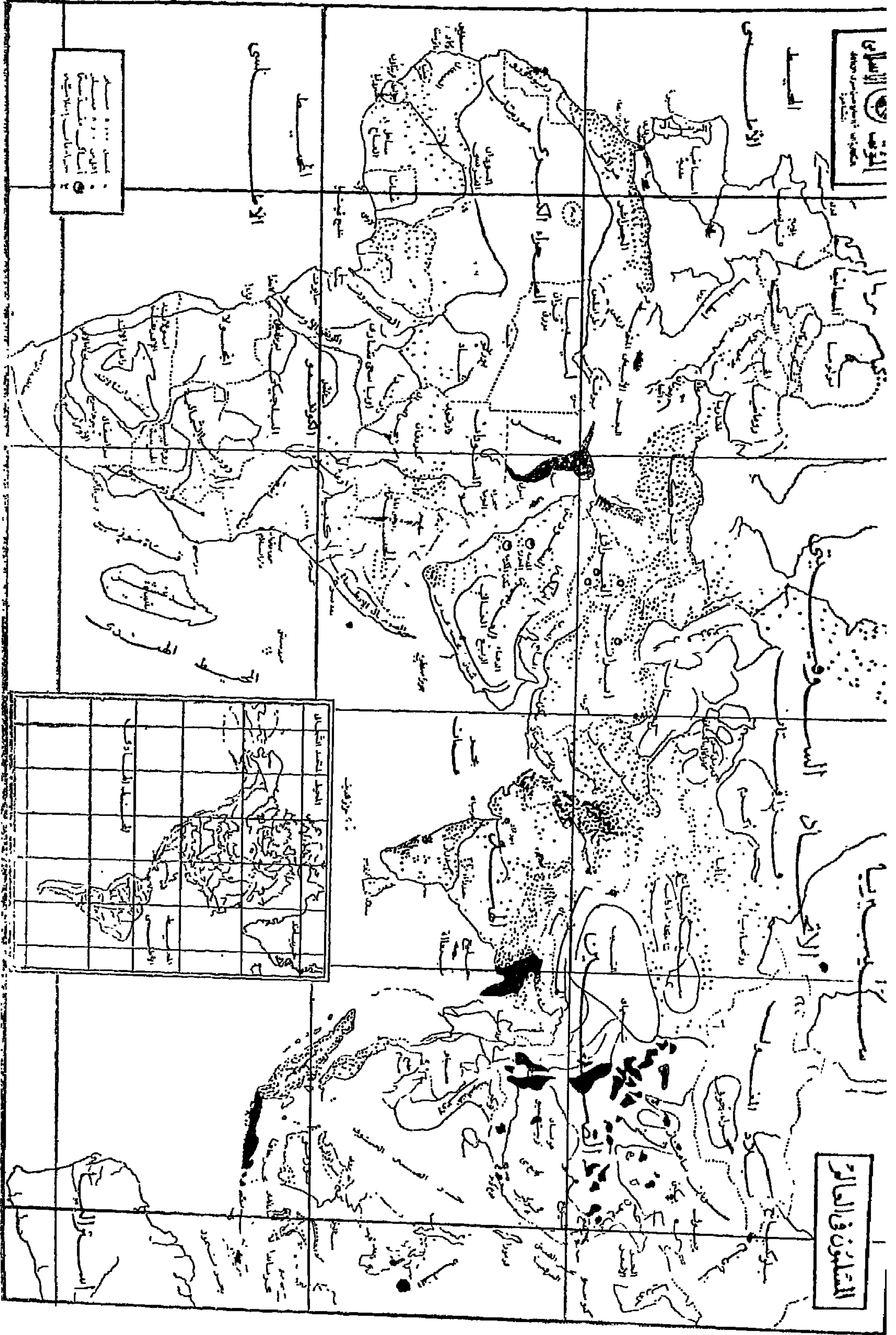
الجزيرة العربية
مملكة البحرين
البحرين

القطيف
الدمشق

القطيف
الدمشق

القطيف
الدمشق

المسلمون في العالم



تيمور ، وتقدم جنود تيمور في بلاد الهند وسقطت في ايديهم الحصون والبلاد التي مروا بها ونهبوها ثم استولوا على سرستي وبادوها ، وسقطت في ايديهم فتح آباد ، ثم جاء دور هراة ، فلما بلغها تيمور نزل اليه ولد ملكها غياث الدين بالامان فاستولى عليها ، واستصحب تيمور معه ملكها الى سمرقند (١) .

أعد تيمور العدة لغزو دهلي ، وسار اليها بجيش كبير ، فخرج سلطانها محمود تغلق من حاضرة دولته لدرء خطر المغول وجمع الخيل والرجال وفرق الاموال وأحضر ما في بلاده من الافيال ثم حصن مدائنه ، وجد في المسير « حتى كاد يسبق الطير ولم تعترضه صعوبات ، والتقى بجيش دهلي وقدم الهندود الفيول لتفنى الخيول ، وخلف الافيال الهندود فوارس الحرب وأبطال الطعن والضرب » ولما أطلع تيمور على قوة العدو وشدة بأسه وحسن استعداده ، عمل الحيلة والمكيدة ، فلمسا تراءى الجمعان ، نكص على عقبه متظاهرا بالانسحاب ونصب الكمائن لعدوه وسقط الهندود في كمائنه ، فانقض عليهم تيمور وجنده وبادهم ومزقهم كل ممزق ودخل تيمور دهلي ، وقدم له اعيانها وعلمائها ففروض الولاء والطاعة ، وأقيمت الخطبة له في مساجدها . وبذلك دخلت دهلي في حوزة الدولة التيمورية (٢) .

على أن جنود تيمور نهبوا منازل دهلي وأسواقها ، واستباحوها ، ووفد على المدينة الكثير من الهنادكة بأسرهم واستاء الهندود في دهلي من جنود تيمور ، وأعد الهنادكة العدة لمقاومتهم فقتلوا نساءهم وأطفالهم ، وأغلقوا أبواب دهلي ودارت حروب بين الاهلين والغزاة ، قتل فيها من سكان دهلي ما يقدر بحوالي مائة ألف ، وامتلأت دهلي بجثث القتلى ، وتحولت الى بحر من الدماء ، وأعقب ذلك تفشي الاوبئة ، ونهب جنود تيمور كل ما وقع في ايديهم من ثروات دهلي الهائلة وأعقب ذلك سقوط اقاليم سلطنة دهلي في ايدي تيمور . وزار تيمور عاصمة الاسلام الكبرى بعد ما لحقها الخراب والدمار ، ونظم ادارتها وعاد الى سمرقند وفي صحبته مهرة الصناع والمعماريين .

وذكر تيمور في سيرته بعد أن فتح دهلي : لقد قضيت خمسة عشر

(١) ابن عربشاه : عتائب المقدور في أخبار تيمور ، ص ١٣ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٦٨ - ٦٩ .

يوما في دهلى بين مظاهر الفرح والنعيم ، أعقد مجالس البلاط الملكية ، وأقيم الإسمطة العظيمة ، ثم ذكرت انى اتيت الى هندوستان لشن الحرب على الكفار وقد بارك الله هذه الحملة ، فجعل النصر حليفى ، والظفر يتبعنى أينما ذهبت ، ولقد انتصرت على خصومى ، وقتلت بعض مئات الالوف من الكفار وعبدة الاصنام ولطخت سيف الدعوة بدماء أعداء الدين . الان وقد تم هذا النصر المبين ، أشعر انه لا يحق لى أن أخلد الى الراحة ، بل أن أبذل جهدى لشن الحرب على كفار هندستان (١) .

الفصل الرابع

النظم والحضارة في سلطنة دهلي الإسلامية

- ١ - نظم الحكم والادارة .
- ٢ - الحالة الاقتصادية في سلطنة دهلي الإسلامية .
 - (أ) ازدهار الزراعة .
 - (ب) تقدم الصناعة .
 - (ج) النشاط التجارى :
 - التموين والتجارة الداخلية .
 - التجارة الخارجية .
 - (د) الادارة المالية .
- ٣ - المظاهر الاجتماعية .
 - (أ) طبقات المجتمع .
 - (ب) الموسيقى والغناء والمجالس الاجتماعية .
 - (ج) العادات والاخلاق .
 - (د) المواكب والاعياد .
- ٤ - الحياة الثقافية في سلطنة دهلي الإسلامية .

النظم والحضارة في دول الاسلام بالهند

١ - نظم الحكم والإدارة

كان الاقليم الاسلامي في بلاد الهند في عصر الغزنويين والغور يحكمه نائب السلطنة في غزنة او فيروز كوة ، ويختص بادارة الاقليم الهندي ، والدفاع عنه ضد هجمات الهنود ، والمحافظة على الامن والنظام ، ونشر تعاليم الاسلام ، وولى منصب النائب أحد القادة العسكريين ، ولم يتردد السلاطين الغزنويون في عزل النائب وعقابه اذا لم يحكم بالعدل بين الرعية ، فقد كان ارباروق - نائبا للسلطان في الهند - ولما أساء السيرة عزله السلطان مسعود ، وأودعه السجن ، وعهد الى أحمد بن يnalتيكين بحكم اقليم الهند الاسلامي . وعلى الرغم من كفاءة هذا النائب العسكرية والادارية ، وتوسيعه رقعة الاقليم الاسلامي في الهند ، الا أن الشكوك حامت حوله ، إذ اتهم بنهب أموال الناس ، والاتصال بالسلاجقة ، فأرسل اليه مسعود جيشا هزمه وقتله (١) .

وعهد الغزنويون أحيانا الى بعض الهنود بتولية وظيفة النائب ، فتلك الهندي الذي انفذه السلطان مسعود لاختضاع يnalتيكين ، كافأه السلطان بأن استنابه على هذه البلاد . أحيانا يعهد الغزنويون والغوريون الى بعض أمراء البيت الحاكم بحكم الهند ، كما فعل السلطان مسعود حين أسند الى ابنه مجدود منصب نائب السلطنة في الهند . ولما قتل مسعود ، وولى السلطان محمد ، عزل مجدود ، وعهد الى أحد ابنائه بولاية اقليم الهند . على أن السلطان الجديد مودود سار اليه وقبض عليه بعد أن انتزع السلطنة من عمه محمد وأسند سلطان الغور علاء الدين الى أخيه غياث الدين حكم الهند نيابة عنه ، ولما ولى غياث الدين السلطنة أسند حكم الهند الى مولاة قطب الدين ايبك وقد قاوم اعداء الدولة والمتآمرين على سلطانها (٢) .

لما سقطت دولة الغور حكم قطب الدين ايبك الاقليم الاسلامي في الهند حكما مستقلا ، وأقام منه دولة عرفت بدولة المماليك ، حاضرتها دهلي ، وتوج سلطانا بها . ومن ثم قامت في بلاد الهند منذ ذلك التاريخ

Munshi : The Struggle for Empire. p. 92.

(١)

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 81.

(٢)

دول اسلامية مستقلة وهي دولة الماليك والدولة الخلجية ودولة بنى تغلق ، وكان الحكم وراثيا في هذه الدول . على أن قاعدة الوراثة في الحكم لم تسر على قاعدة ثابتة .

وخلف قطب الدين ايبك ، التمش ، وكان مملوكا لسيده قطب الدين وصاحب عسكره ، ونائبا عنه ، فلما توفى سده تربع على عرش السلطنة في دهلي ، وأخذ الناس بالبيعة فأتاه الفقهاء ، وعلى رأسهم قاضي القضاة وطلبوا منه أن يثبت حرية فأخرج لهم عقدا يتضمن عتقه ، فقرأه القاضي والفقهاء وبايعوه جميعا (١) ، وصار الحكم وراثيا في بيت بلبن وخلفه ابنه ركن الدين ، ولما قتل ، حكمت رضية البلاد .

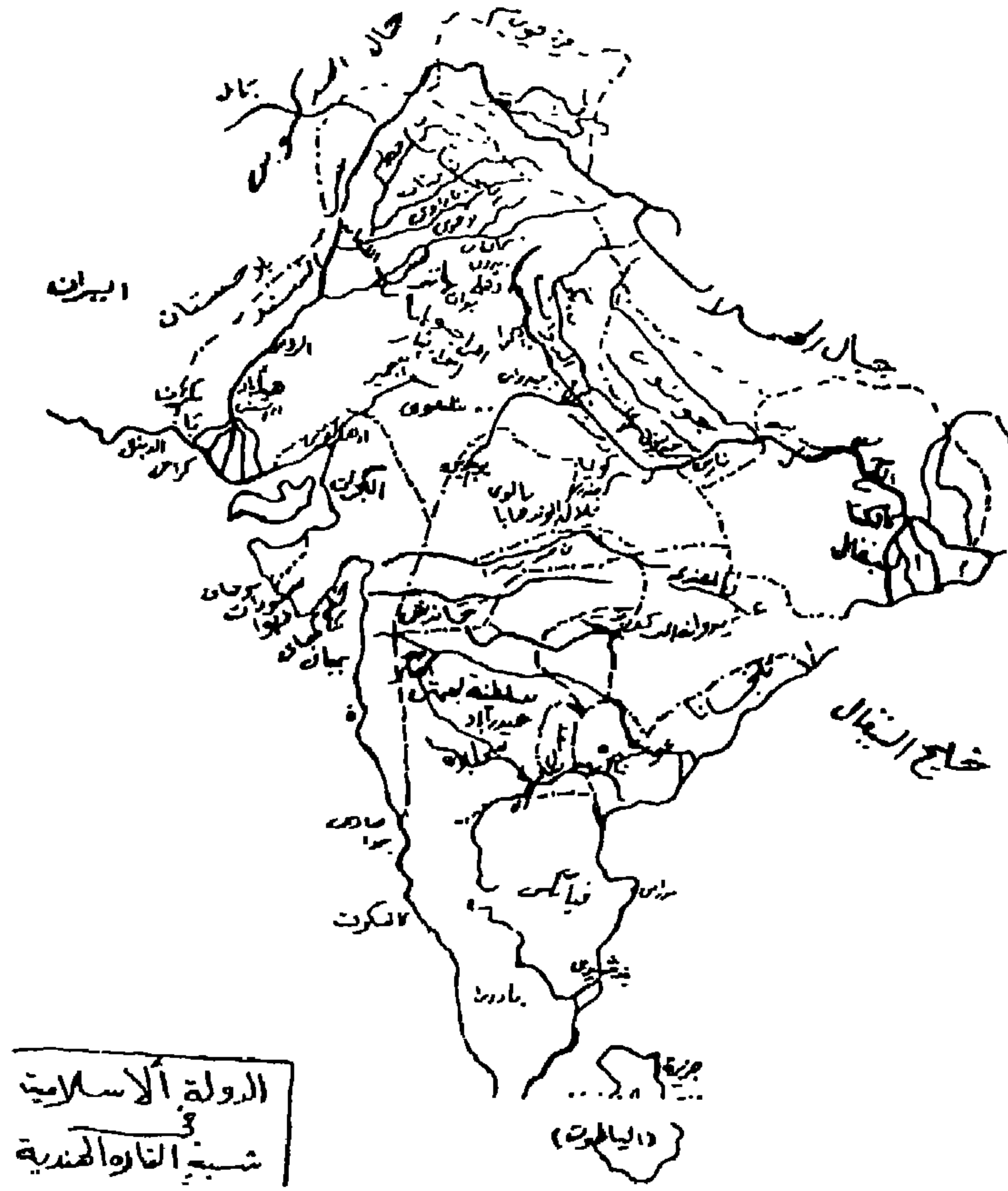
وظلت قاعدة الوراثة غير ثابتة في العهد الخلجي ، فلما قتل السلطان جلال الدين ، ولى ابنه ركن الدين السلطنة لكن علاء الدين ابن أخ جلال الدين ، نجاه عن الحكم وولى هو السلطنة على الرغم من أنه ليس الوريث الشرعي للسلطنة وعهد علاء الدين قبل وفاته بتأشير مملوكه كافور بالحكم الى ابنه شهاب الدين على الرغم من أنه أصغر أخوته ، وخلفه قطب الدين وولى الحكم وانقسم البيت الحاكم على نفسه بل ولى دهلي سلطان لا ينتسب الى البيت الحاكم وهو خسرو خان .

تربع تغلق على عرش دهلي ، وعهد الى ابنه محمد ، ولما ولى محمد لم يكن له ولد ، فخلفه ابن عمه فيروز بعهد منه ، ولم يعهد فيروز لابنه محمد بسبب سوء سيرته وتصريفه للأمور ، وعهد الى حفيده غياث الدين ابن فتح خان ، واضطربت الامور ، وتنافس الامراء على العرش ، وظل الحال كذلك حتى غزا تيمور بلاد الهند .

وكان سلاطين الهند مستقلين تماما عن الخلافة العباسية وان كان فريق منهم مثل التمش وبعض سلاطين تغلق ، تودد الى الخلفاء العباسيين في مصر من باب التشريف ولزيادة نفوذهم بين رعاياهم المسلمين ، فقد نقشوا اسماءهم على السكة ، وأمروا بذكرهم في الخطبة .

حرص سلاطين بنى تغلق على الاعتراف بسيادة الخليفة العباسي الروحية على العالم الاسلامي ، وسعوا الى الحصول منهم على تقليد بحكمهم

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١١١ .



لسلطنة دهلى حتى يكسبوا حكمهم الصفة الشرعية . فأرسل محمد بن تغلق الى الخليفة العباسي بالقاهرة ، المستكفي بالله يطلب منه تفويضا ، ولما حظى بالتقليد بالغ في احترامه وتقديره ، وبعث بالهدايا الى الخليفة العباسي ، وقرر ذكر اسمه في الخطبة ، ونقشه على السكة ، مقترنا بكثير من المدائح ، وظل اسم المستكفي برغم وفاته سنة ١٣٤٠ ينقش على العملة حتى سنة ١٣٤٣ ، مصحوبا بهذا الدعاء : اطل الله بقاء الخليفة « (١) .

وقد أظهر السلطان محمد بن تغلق ولاءه وتقديره للخليفة العباسي وارسل اليه الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد بن المستكفي بالله بالقاهرة خلعة مع سفيره حاجي سعيد صرصرى ، ولما قدم هذا السفير الى دهلى سنة ١٣٤٣ ، خرج اليه السلطان بصحبة النبلاء ، وقابله بمظاهر الحفاوة والاحترام ، ثم تقدم في السير حافى القدمين مسافة مبالغة منه في احترامه ثم بعث الى الخليفة كتابا يجدد له ولاءه وتبعيته له ، وظل يتبادل معه الرسائل لمدة عامين حتى انفذ اليه الحاكم بأمر الله تقليدا بالحكم (٢) .

كذلك حرص السلطان فيروز على اكساب حكمه الصفة الشرعية ، بالحصول على تقليد بالحكم من الخليفة العباسي في القاهرة فأرسل الى المعتضد بالله يطلب منه تفويضا بالحكم ، فأجاب الخليفة طلبه ، وبعث اليه بخلعه مماثلة للخلعة التي أرسلت لمحمد بن تغلق ، وخطابا يتضمن كثيرا من عبارات المجاملة والاحترام ، كما أرسل اليه تقليدا بالحكم سنة ١٣٥٦ ، وقد كان فيروز فخورا بهذا التقليد وتحدث عنه في كتابه الذى أرخ فيه لنفسه ، قال : أن أعظم ما حصلت عليه من رضوان الله أنه بفضل طاعتي وتقواى وصداقتى للخليفة ممثل النبى ، توطدت سلطتى ، فبتأييده تتوطد سلطة الملوك ، ولا يصبح أى ملك آمنا على نفسه ومملكه ، الا بعد أن يدعن للخليفة ، وينال تثبيتا من العرش المقدس ، وقد أرسل الخليفة عهدا بتثبيت سلطتى كنائب له ومرشد للمؤمنين ، وانى لفخور بأن يلقبنى الخليفة ، سيد السلاطين ، كذلك أنعم على بخلع ولواء وسيف وخاتم ، وهذه كلها تمثل شعار الشرف (٣) .

وكان سلطان دهلى حاكما مطلقا في دولته ، مصدرا لكل سلطاتها ،

Arnold : The Caliphate p. 104.

(١)

(٢) محمد جمال الدين سروز : تاريخ السلطان الناصر بن قلاوون ، ص ١٠٠ .

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٠ .

وهو القائد الاعلى للجيش ، والمحرك الادارى للدولة ، وقاضي قضاتها ،
وحامى حى الدين او امير المؤمنين ، وهو مسئول فقط امام الله ، وسلطان
الله في ارضه ونائبه على عباده ، وواجبه على الناس الطاعة والانقياد له ،
ونفوذه غير مقيد بقانون وبلا حدود ، ولا يسأل عما يفعل ، وما على الرعية
فقط الا تنفيذ اوامره وتعليماته . (١)

ويشتمل البلاط الملكى على عدد من الموظفين ، واول هؤلاء الموظفين ،
وكيل الدار ، وتتضمن اختصاصاته حفظ مفاتيح بوابات القصر الملكى ،
وينظر في ادارة البلاط الملكى ، ويرأس موظفى القصر الملكى ، ويمنحهم
رواتبهم ، ويباشر شؤون تعليم اطفال العائلة المالكة و تثقيفهم بما يتناسب
ووضعهم الاسرى ، وهو مسؤول عن كل مرافق القصر مثل مطبخ القصر
ومخزن الملابس واسطبلات القصر . ويباشر تنظيم الحرس السلطانى ،
ويتفقد اعمالهم ونشاطاتهم ، لذلك كان يسند هذا المنصب الكبير
الى رجل معروف بالمهارة والذكاء والامانة والكفاءة ومركزه حساس
ودقيق ، واقل خطأ فى عمله ، يعرضه لغضب السلطان عليه ، فقد يعزله
بل وقد يقتله ، ويساعد وكيل الدار في عمله موظف كبير هو نائب وكيل
الدار .

ومن الوظائف الهامة في البلاط الملكى وظيفة امير حاجب ، وولى وكيل
الدار في الاهمية ، وامير الحاجب هو كبير امناء القصر ، ويباشر المراسم
السلطانية ، ويعد الترتيبات للحفلات الملكية الخاصة وحفلات الاستقبال
لضيوف السلطان ، وتوديعهم ، ومراسم تنصيب الوزراء وكبار رجال
الدولة ، ويقوم بدور الوسيط بين السلطان من جهة وموظفيه من جهة
اخرى ، ويساعده في عمله نائبه وعدد من الحجاب (٢) .

ومن موظفى البلاط الملكى قائد الحرس السلطانى ، وسمى Jandars
ويحيط قائد الحرس مع الحراس التابعين له حول السلطان بسيوف
مهسلولة في البلاط والمواكب الملكية والاجتماعات العامة التى يجتمع فيها
السلطان برعاياه . ومن واجبات الحرس الملكى حماية السلطان من الهجوم

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

عليه ، لذا من شروط اختيارهم خفة الحركة واليقظة وحسن التدريب والكفاءة القتالية (١) .

يضاف الى هذه الوظائف ، وظيفة المشرف على خيل السلطان ، وملاحظ الفيلة ، والمشرف على شؤون الصيد الخاص بالسلطان ، ومدير المطبخ الملكي ، وهذا الاخير واجبه الاساسي تذوق الطعام الذي يقدم للسلطان ، قبل ان يقدم على المائدة السلطانية حتى يتأكد من سلامة الطعام من السموم التي قد يضعها اعداء السلطان في طعامه . ومن موظفي القصر ، امين مخزن الاسلحة ، وجمال اختام الملك ويتبع هؤلاء الموظفين جميعا عدد من الكتبة والسكرتيرين والمحاسبين ولكل اختصاصه وواجباته (٢) .

استعان السلطان في ادارة دولته بعدد من الموظفين من اهل الكفاءة والمقدرة ، ومن ابرز هؤلاء الرجال ، الوزير ورؤساء الدواوين ، وقائد الجيش ومن اهم اختصاصات الوزير ادارة شؤون الدولة الداخلية والخارجية ، بما في ذلك الاشراف على ايرادات الدولة ، ويتحقق من فائض دخل ولايات وبلدان السلطنة ويباشر نفقات الحكومة المركزية ، ويساعده عدد كبير من الكتبة والموظفين ، ومن ابرزهم المشرف ، ومن واجبه فحص اوجه النفقات وقد انشأ هذا المنصب السلطان جلال الدين الخلجي ، وانشأ ايضا وظيفة الناظر لفحص التقارير المرفوعة الى المشرف ، لذا كانت اعمال ديوان الوزارة معقدة ومتشابكة . وفي عهد السلطان شهاب الدين عمر شاء كان للوزير اربع سكرتيرين (٣) ، وكل منهم يرأس ثلاثمائة كاتب ، وتتعدد اعمال الوزارة في عهد فيروز شاه ، وتنوع اختصاصاتها فتشمل الاشراف على الزراعة والعمارة ومعاهد البر ومراقبة تنفيذ قوانين الدولة ولوائحها ، والاشراف على الادارات الحكومية ، وبالجملة فان كافة اجهزة الدولة تخضع بطريق مباشر او غير مباشر للوزير (٤) . ويذكر باراني (٥) ان الملك لا يدل له من وزير ناجح ، ولا يستقيم الملك بدونه . والملك يسير في طريق المجد والعظمة اذا كان الوزير حكيما .

Lal : op. cit., p. 161.

(١)

Munshi op. cit. P. 190.

(٢)

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٦١ .

Munshi : op. cit., p. 197.

(٤)

(٥) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٩١ .

ومن ابرز وزراء سلطنة دهلى الخواجة خاطر - وزير السلطان علاء الدين - وهو صاحب خبرة طويلة عرف عنه الحكمة والرشاد ، وتدرج في سلك المناصب ، فكان نائبا للوزير في عهد السلطان بلبن ، ثم عينه السلطان جلال الدين وزيرا ، وظهرت كفاءته الادارية وحنكته السياسية ، لذا بقى في الوزارة في عهد علاء الدين ، وكانت تنقصه الكفاءة العسكرية ، واقتصرت مهامه على الشؤون الادارية والمالية . على ان خلفه في الوزارة نصرت خان جمع الى جانب عمله المدنى ، الجانب العسكرى ، اذ كان ذا خبرة واسعة في الحرب والقتال ، لذا اضاف اليه السلطان علاء الدين بعض المهام العسكرية ، وشن حملة عسكرية ناجحة في اقليم الكجرات ، ومات وهو يحارب في رانثمبهور ، لكنه لم يوفق في الاشراف على الادارة المالية ، بل اساء الى الاهلين ، واغتصب منهم الاموال الكثيرة (١) .

وثمة وزير آخر هو سيد خان يذكره فرشته (٢) ، كان وزيرا للبلاط بالاضافة الى عمله كوزير للدولة ، وكان قائدا عسكريا ماهرا ، يحبه السلطان ويؤثره .

وفي عهد السلطان علاء الدين كانت مهمة الوزير الاولى العمل على زيادة ايرادات الدولة ، لشدة حاجة السلطان الى المال لتغطية نفقاته العسكرية الكثيرة ، ويجب على الوزير ايضا في دولة محاربة كهذه - الكفاءة العسكرية والمهارة القتالية ، فقد كانت سلطنة دهلى - كما رأينا - معرضة للغزو المغولى من الشمال الغربى ، وفي حروب متصلة لصد المغول ، وغيرهم من الغزاة وفي نفس الوقت قامت سلطنة دهلى بغزوات كثيرة للتوسع في شبه القارة الهندية او لقمع الحركات الانفصالية . على كل حال كان الوزير مسؤولا امام السلطان عن مباشرته للاجهزة الادارية والمالية للدولة ، والاشراف على حكومات الولايات ، وتقوية الاجهزة العسكرية للدولة ، وقيادة الجيوش لدرء الاخطار الخارجية او لتوسيع رقعة الدولة او التنكيل بعناصر الفتنة والثورة على السلطان .

ومن وزراء السلطان فيروز شاه ، خان جهان ، وهو من اصل هندوسى ، وكان اداريا حازما ، ورجل دولة ، ويرجع اليه الفضل في الانجازات والاصلاحات التى حققها فيروز شاه لشعبه ، والرشاء الذى نعم به

Lal. op. cit., p. 156 - 157.

(١)

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١٥٨ .

الجماهير ، وكان يقول : ان الله الرحيم جعلني خادمه ، وانا اتطلع الى رحمته بالاخلاص لمنع القتل غير القانوني للمسلمين ، والايداء لهم سواء منى او من واحد آخر . وجدير بالذكر ان هذا الوزير كان يرسل الاعانات لكل من اضير في العهود السابقة بالايداء والتشويه ، وجعل للجند رواتب ثابتة من خزانة الدولة ، بعد ان كانت من الاقطاعات ، ومنع نهائيا التعذيب للمساجين والمتهمين الذي كان سائدا في العهود السابقة (١) .

انحصرت الاعمال الادارية في سلطنة دهلى في عدة دواوين ، وبرزها ديوان الوزارة او الرئاسة - الذى تحدثنا عنه - ويلييه في الاهمية ، ديوان العارض ويختص بشؤون الجيش من تغطية نفقاته الحربية وارزاق الجند، وجمع الفرق العسكرية او الامدادات ، وتدير الاموال للعناية بمتطلبات الجيش ، واعداد التقارير العسكرية ، والتفتيش على وحدات الجيش ، وتفقد اسلحته ، وتزويده بما يحتاجه من اسلحة ومؤن ومعدات ، وصاحب ديوان العارض يصحب الجيش في المعركة ، وحيانا ينيب عنه من يقوم بهذه المهمة . وعلى صاحب هذا الديوان ان يستقبل الفرق العسكرية التى يكلف السلطان الولايات بامداد دهلى بها ، ويتأكد من مطابقتها لاوامره ، وعليه الاستعداد للحرب واعداد الفرق اللازمة لذلك وعليه ان يدبر رواتب الضباط والجند ، ويباشر ترتيبات نقل الجند الى ميدان القتال (٢) . وكان لهذا الديوان اهمية كبرى ، لذا رأت حكومة دهلى وضع ميزانية مستقلة له عن ميزانية الدولة تيسيرا لمهمته وفي عهد علاء الدين ولى ديوان العارض، ملك نصر الملك ونائبه حاجى خفاجى واعتاد الذهاب مع ملك كافور في حروب دكا ، وكان لجهود هذين الرجلين في دكا اثر كبير في انتصار جيوش دكا (٣) .

وصاحب ديوان العارض يجب ان يكون رحيفا بالجند رؤفا بهم ، وفي نفس الوقت حازما معهم ، ويتصرف معهم كوالد ويعاقبهم بالاسلوب

Rawlinson. op. cit. p. 285

(١)

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شامى ، ص ٢٤٨ .

Lal : op cit., p.p. 158-159.

(٣)

الابوى لولد عاق ، فلا يقسو على الجندي ، وكان عماد الملك - صاحب ديوان العارض في عهد السلطان بلبن - يعامل الجند معاملة ودية ، ويساعد المستحقين منهم من امواله الخاصة ، ونجح بلبن بكفاءة هذا الرجل من تكوين جيش قوى يضم جندا مخلصين .

واشتد علاء الدين في معاقبة الموظفين الماليين الذين يقصرون في دفع ارزاق الجنود ومستحقاتهم ، وامر رئيس ديوان العارض بالا يقسو في معاقبة الجند واصدر تعليماته الى قائده - ملك كافور في حرب دكا - بان يكون والده فاضلا لمضباطه وجنوده (١) . وهذا يوضح سر نجاحه كقائد اعلى للجيش ، وواضع اساس امبراطورية مترامية الاطراف .

والديوان الثالث في الدولة ، ديوان الانشاء ، واختصاصه تحرير المراسم ووثائق التولية والعزل والرسائل الرسمية ، ومراسلة حكام الولايات والموظفين واعداد القرارات الحكومية . ويستعين صاحب ديوان الانشاء بعدد من الكتاب والموظفين ، ويشترط في هؤلاء الكتاب الدقة في التلخيص ، والمهارة في قراءة الخطوط الغريبة ، وحسن عرض الموضوعات ، ومن بين هؤلاء الموظفين موظف يعرف بكتاب الديوان ، يختص بترتيب الكتب وتلخيصها ، ويعرضها على صاحب الديوان ، والمراجعون ويختصون بقراءة وتصفح كل ما يكتب في الديوان قبل ان يراجعة صاحب الديوان ، واختص الخطاطون بتبيض الكتب ، ويحفظ الخازن المكاتب التي ترد الى الديوان ، ومن اهمها الاوامر الرسمية التي تصدرها الدولة ، ويحتفظ بسجل خاص للمنشورات ليسهل عليه حصرها . ويعد هذا الديوان التقارير اللازمة لانجازاته . وكان صاحب هذا الديوان في عهد السلطان علاء الدين ، كبير الدين بن تاج الدين عراقى ، وكان على جانب كبير من الكفاءة والمقدرة ، وكتب كبير الدين كتابا عن عهد علاء الدين ، تضمن انجازاته العسكرية وانتصاراته الحربية ، وفقد هذا الكتاب (٢) .

والديوان الرابع ديوان المراسلات ، والمراسلات هنا خاصة بالمراسلات الخارجية او الدبلوماسية ، ويشبه هذا الديوان في اختصاصاته ، وزارة الخارجية في يومنا هذا ، يقوم بتغطية كل المراسلات التي ترسل الى الدول الخارجية ويبقى على اتصال وثيق بالسفراء ، وقد عنى الخلجيون بهذا

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢) المصدر السابق .

الديوان ، ومن أبرز من أشرف عليه ملك حميد الدين وعزيز الدين ، وعنى بهذا الديوان السلطان علاء الدين ، وكان لا يسندرئاسته الا لمن يوليه ثقته وتقديره (١) .

واهتم سلاطين دهلى بالقضاء، لان العدالة هي المقياس الدقيق لقياس السوء من الجيد من الناس كما يقول بارانى ويحترمها الهندوس والمسلمون على السواء ، لذا كان واجب القاضي مباشرة عمله في محاكم علنية ، وحرص سلاطين دهلى مثل التمش وبلبن وعلاء الدين ومحمد تغلق على النظر في القضايا التي ترفع اليه في المحاكم العلنية ، وكان السلطان ينظر بنفسه في المظالم التي ترفع اليه في مجلس عام ومن حق اى مواطن ان يلجأ الى السلطان للنظر في ظلامته ، والمطالبة برقع مظلمته او بالعدالة ، وعرف عن كل من التمش وبلبن حرصهما الشديد على ان تكفل العدالة لكل مواطن ، وكان التمش ، يطلب من المظلومين ان يرتدوا زياله لون معين (٢) ، فكان في تجواله او في مجلسه اذا رأى رجلا يرتدى الزى ، يستدعيه ، وينظر في ظلامته، كما اقام اجراسا امام قصره ، ومن حق المتظلم ان يدقها ، فيستدعيه السلطان الى داخل القصر ، وينظر في امره (٣) . وشيد بلبن دارا اسمها دار الامن ، يلجأ اليها اصحاب المظالم ، وينظر في شكاواهم ، ويخفف اعباء الحياة عنهم ، ولم يفرق في ذلك بين رعاياه الهنداكة والمسلمين . ولكن لم يصف لنا ابن بطوطة وغيره من المؤرخين الذين عاصروا هذه الفترة - التي نحن بصدد الحديث عنها - محكمة هؤلاء السلاطين (١) .

ويتولى السلطان رئاسة السلطة التشريعية بالاضافة الى السلطة التنفيذية ويعين قاضي القضاء ، ويشبه اختصاصه اختصاص وزير العدل في أيامنا هذه ، اذ يعين القضاة في النواحي ، ويساعد القضاة في مهامهم المفتين ، وهم من علماء الفقه والتشريع ، ويستعين بهم القضاة في ابداء الراى في القضايا المعقدة ، ولكل مدينة قاض ، وينيب عنه في القرى

Lal. op. cit. p. 159 - 160.

Munshi : The struggle for Empire. p. 18.

IBID. PP. 157 - 158.

Wahed Husain : Administration of justice during the

Muslim rule in India p. 22.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

التابعة للمدينة ، كبار رجالها ، للفصل في القضايا التي تعرض عليهم ، وكان يعهد للأمرء وقواد الجيوش وكبار موظفي الدولة النظر في القضايا التي تتعلق باداراتهم ، ولا يحتاج الفصل فيها الى قانون أو تشريع (١) .

وكان يتم الفصل في القضايا بسرعة ، وبدون تعقيدات ادارية او اجرائية ، ولا يحق للمتهم ان يعهد لمحام بالدفاع عنه ، ويتم الحكم بعد مناقشة المتهم والشهود ، والاستماع الى شهاداتهم ، ويتم الحكم من واقع للشريعة الاسلامية (٢) .

لكن بارانى (٣) لم يكن مقتنعا بسنير العدالة في عهد السلطان علاء الدين ، ويقول ان قاضي قضاة المملكة صدر الدين على الرغم من عدالته وخبرته الواسعة لم يكن ضليعا في استنباط الاحكام من الشريعة ، ويقول ان مولانا زياد الدين القاضي ونائبه جلال الدين كانت تنقصهما قوة الشخصية، التي يجب ان يتحلى بها صاحب هذا المنصب الرفيع ، كما ان القاضي حميد الدين اللتانى لم يكن كفؤا في القضاء بل فقد القضاء هيئته في عهده .

على ان استياء بارانى من بعض القضاة لا يعنى فساد نظامه في عهد علاء الدين . حقيقة حدثت مساوئ في القضاء يمكن ان تكون فردية ، فبعض نواب القضاة كانوا يجلسون في المساجد للفصل في القضايا ، فيأخذون اموالا ورشاوى من المتهمين وبديهي لم تصل هذه المفاصد الى مسمع السلطان الذي عرف عنه الشدة والحزم . وفي عهده كان القضاة يعاملون باحترام شديد ، ومن حقهم محاكمة اعظم موظفي الامبراطورية وحرص علاء الدين على مراقبة القضاة والتأكد من حسن سلوكهم في حياتهم العامة والخاصة ، ولا يتردد في معاقبة من تثبت عليه تهمة شرب الخمر . وجهازه الادارى كان من الكفاءة بحيث لا يغيب عنه معرفة الموظفين السيئين، وكانوا لا ينجون من عقابه وهذا لا يمنع من وجود قضاة على جانب كبير من السوء في عهد علاء الدين ، ولكن السلطان طالما كان حازما ، شديد البأس في مراعاته للعدالة ، فمن الطبيعي ومن المنتظر مسير العدالة في مسارها الصحيح، ويعيش الناس في أمن وطمأنينة تبعا لذلك (٤) .

Parasad : Hist. of qaraunah Turks, 1. 269.

(١)

Parasad, 1. 269.

(٢)

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٤٤٦ .

Parasad. op. cit. p. 269.

(٤)

قلنا أنه من الناحية الرسمية بحكم القاضي طبقا للشريعة الإسلامية غير أن العقوبات التي كانت تفرضها الدولة شديدة قاسية بعيدة كل البعد عن أحكام الإسلام ، تضمنت بتر الأطراف ، وأحيانا الجلد أكثر من مائة ، ويصف فرشته (١) بعض العقوبات الشائعة في ذلك الوقت ، فيقول أنه كان يتم اراقة دم المسلمين لأسباب تافهة بسيطة ، ولجرائم صغيرة ، ومعاقبتهم بقطع أيديهم وأقدامهم وأنوفهم وآذانهم وسمل العيون ، وضرب المذنبين بالمطارق حتى تكسر عظامهم ، وحرق الجسم بالنار وفصل الجلد من الجسم ، ونزع الاظافر ، وأخيرا اذا كانت الجريمة كبيرة يقطع جسم مرتكبها اربا . والتاجر الذي يتلاعب في وزن السلع او غشها ، يعاقب بقطع بعض اعضاء جسمه ، ويعاقب الزانى بالموت ، والعقاب يتم علانية في مجمع من الناس ، وتعرض رأس القتل او يد السارق في مكان عام (٢) .

ومن يحكم عليه بالسجن ، يستجن في آبار اعدت لهذا الغرض ، ولما كانت هذه السجون مفرجة وغير صحية ، وفيها اهمال شديد للسجناء ، فكثير من نزلائها كانوا يموتون فيها ، واذا خرجوا منها ، خرجوا كأشباح بعثوا من القبور ، وجدير بالذكر أن احد نزلاء السجون في عهد السلطان محمد بن تغلق ، وصف السجن بأنه مأوى للحيات والحشرات الضارة ، وأن احدا لا يخرج منه على قيد الحياة . والخلاصة أن العقوبات كانت في بعض الاحيان شديدة قاسية تتنافى تماما مع روح الإسلام السمحة (٣) .

استعان سلاطين دهلي بعدد من الموظفين الكفاء في الادارة والمخابرات للاشراف على تنفيذ سياستهم الداخلية في البلاد حتى يضمنوا استمرار حكمهم ، وعدم ظهور حركات تمرد ضدهم ، ويرأس جهاز الاشراف هذا المشرف على المملكة ، ويشبه اختصاصه رئيس المخابرات الآن وهو واسع النفوذ والسلطان ، وعلى عاتقه مسؤوليات جسام ، اذ يشرف على تنفيذ اوامر الدولة وقوانينها ، وينصح السلطان في الامور الهامة ، ويوضح له او يحذره من الاخطاء السياسية التي قد يرتكبها ويقوم بحماية حريم الملك

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٦٠ .

(٢) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣١٣ .

(٣) Nazim : Sultan Mahmud of Ghaznin. p. 144.

في حالة غيابه عن العاصمة ، ولصاحب هذا المنصب تأثير كبير على السلطان مثل ملك فخر الدين في عهد بلبن ، ونصرت خان في عهد علاء الدين ، وحديث المشرف علاء الملك (١) . وتأثيره على علاء الدين يوضح بجلاء مركزه واختصاصه وسعة نفوذه .

نظم علاء الدين ادارة دولته ، وعزز الادارة بوظائف جديدة ، عين لها رجالا اكفاء ، واوجد فيما اوجده وظيفة المحتسب ، ومن اختصاصه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويراقب حركة الاسواق ، ويمنع الغش في الموازين والمكايل ، ويمنع التجار من رفع الاسعار (٢) .

واذا كانت هذه الاجراءات الادارية قد نظمت امور البلاد ودعت الناس الى السلوك القويم ، فان نظام الجاسوسية قد اقلقهم وافزعهم واثار مخاوفهم ، فشكل سلاطين دهلي اجهزة للجاسوسية ، يقوم بادارتها موظفون مدربون على هذا العمل ، ولقد كان هذا النظام قائما في عهد السلطان محمود الغزنوي اذ استحدث منصب المشرف على المملكة ، ويشبه اختصاصه ، اختصاص رئيس المخابرات في عصرنا الحالي ، فهو يقوم بجمع الاخبار التي تتعلق بالدولة ، والتي تمس امنها وسلامتها ، وينقلها الى السلطان ، ويعاونه في عمله اربعة مشرفين يرأسون عددا كبيرا من المشرفين الاقل منزلة ، ويتولى كل واحد منهم الاشراف على مدينة او ناحية وللمشرف جواسيس ينبئون بين الرجال لمعرفة الاخبار ، وينقلونها الى المشرف الذي يبلغها الى السلطان (٣) .

واعد بلبن جهازا قويا للجاسوسية ، يحيطه علما بكل اخبار موظفي الدولة ، ويراقبون المصالح الحكومية ، والجيش والبلاط الملكي ، وحتى ابناء السلطان ، ويرفعون تقاريرهم الى السلطان ، وكان هناك جواسيس لمراقبة الجواسيس في اعمالهم ، والتأكد من صحة بياناتهم (٤) ، ومن اختصاص جهاز المخابرات ادارة البريد ، ويرأسه صاحب البريد الذي

(١) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٨١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٦ .

(٣) عصام الدين عبد الرؤف : تاريخ الإسلام في جنوب غرب آسيا في العصر التركي

ص ١٥٣ - ١٥٤ .

K. Ali : A New Hist. of Indo-Pakistan. p. 59.

(٤)

يساعده عدد من الموظفين يعينون في المدن والاسواق وفي التجمعات السكانية ويرفعون الى السلطان تقارير عن كل ما يجري في المملكة ، ويستطيع السلطان بواسطة عامل البريد ان يقف على كل صغيرة وكبيرة في دولته ويطمئن على احوال الناس المعيشية ، وعلى ولاء حكام الاقاليم والشعب له وعلى عدالة القضاة والاجهزة الادارية في الدولة . وبذلك يكون متصلا تماما برعيته ، آمنا على ملكه .

حرص السلطان علاء الدين على حسن تنظيم مخابراته ، ودفعها الى تادية واجبها على اكمل وجه ، ولم يكتف بنظام البريد ، بل عين الى جانب نظام البريد ، موظفين يعرفون بالاستعلاميين ، وهم من مستويات مختلفة ، ومهمتهم اعلام السلطان بالامور التي تتعلق بالاشخاص على اختلاف مستوياتهم ، لذا كان من حق الاستعلاميين دخول منازل الناس ، ومراقبة ما قد تصدر منهم من اساءات نحو نظام الحكم القائم ونحو السلطان . ويذكر باراني (١) ان علاء الدين بواسطة هؤلاء الناس كان يعرف ما يجري في منازل الامراء والموظفين ورؤساء الدواوين وكبار رجال الدولة وقادة الجيش . على ان هذا النظام قد نشر الخوف بين الناس ، والقي الرعب في قلوبهم ، وفقدوا الثقة في بعضهم البعض ، وامتنع الناس عن التكلم في الامور التي يخشون وصولها الى السلطان ، بل صاروا يتكلمون همسا . وكان الفرد يعاقب ويحاكم على ما قد يصدر منه من قول او كلام يفضب السلطان . لذا عاش الناس في خوف وفزع من تقارير هؤلاء الاستعلاميين ، واصبح الفرد غير آمن على نفسه في يومه وغده ، وقبع الناس في بيوتهم خوفا من الخروج الى الاماكن العامة ، والخوض في احاديث تؤدي بهم الى السجون (٢) . على ان هذا النظام لا يسود الا في ظل الحكومات الاستبدادية ، ورغم مساوئه ومتاعبه لافراد الشعب ، الا ان اثره اتضح في حسن ادارة الاسواق وحفظ الامن والنظام ، واختفاء اللصوص وقطاع الطرق ، وقمع حركات التمرد والعصيان ، وحرص موظفي الدولة على تادية واجباتهم بنزاهة واخلاص لشدة ما عليهم من رقابة .

حرص بسلاطين دهلي على تيسير الشؤون الادارية للبريد ، وحينما

(١) تاريخ فيروز شامى ، ص ٢٨٦ .

(٢)

Lal : op. cit. p. 167.

IBID. P. 167.

يرسل السلطان حملة الى بعض البلدان البعيدة ، يؤسس مراكز للخيل ومشاة بين العاصمة ووجهة الجيش ، ويعهد الى موظفي البريد بارسال تقارير عن سير الحملة الى السلطان في دهلى في كل يوم او على الاكثر كل ثلاثة ايام ، وكان لعلاء الدين ادارة بريدية تدار بحزم ، ويتم استبدال الخيل والمشاة في مراكز البريد بانتظام، وحرص سلاطين دهلى على أن تكون المسافات بين المحطات البريدية متقاربة ، كما كان الحال في بلدان الخلافة العباسية . وقد وصف ابن بطوطة (١) طرق البريد في سلطنة دهلى ، فقال انها افضل منها في مصر والشام ، وان الاشجار على جانبي الطريق ، ووسائل الراحة مكفولة في محطات البريد ، وبلغت المسافة البريدية مرمى اربعة اسهم ، وفي عهد محمد بن تغلق بلغت المسافة البريدية عشر جريات سريعة .

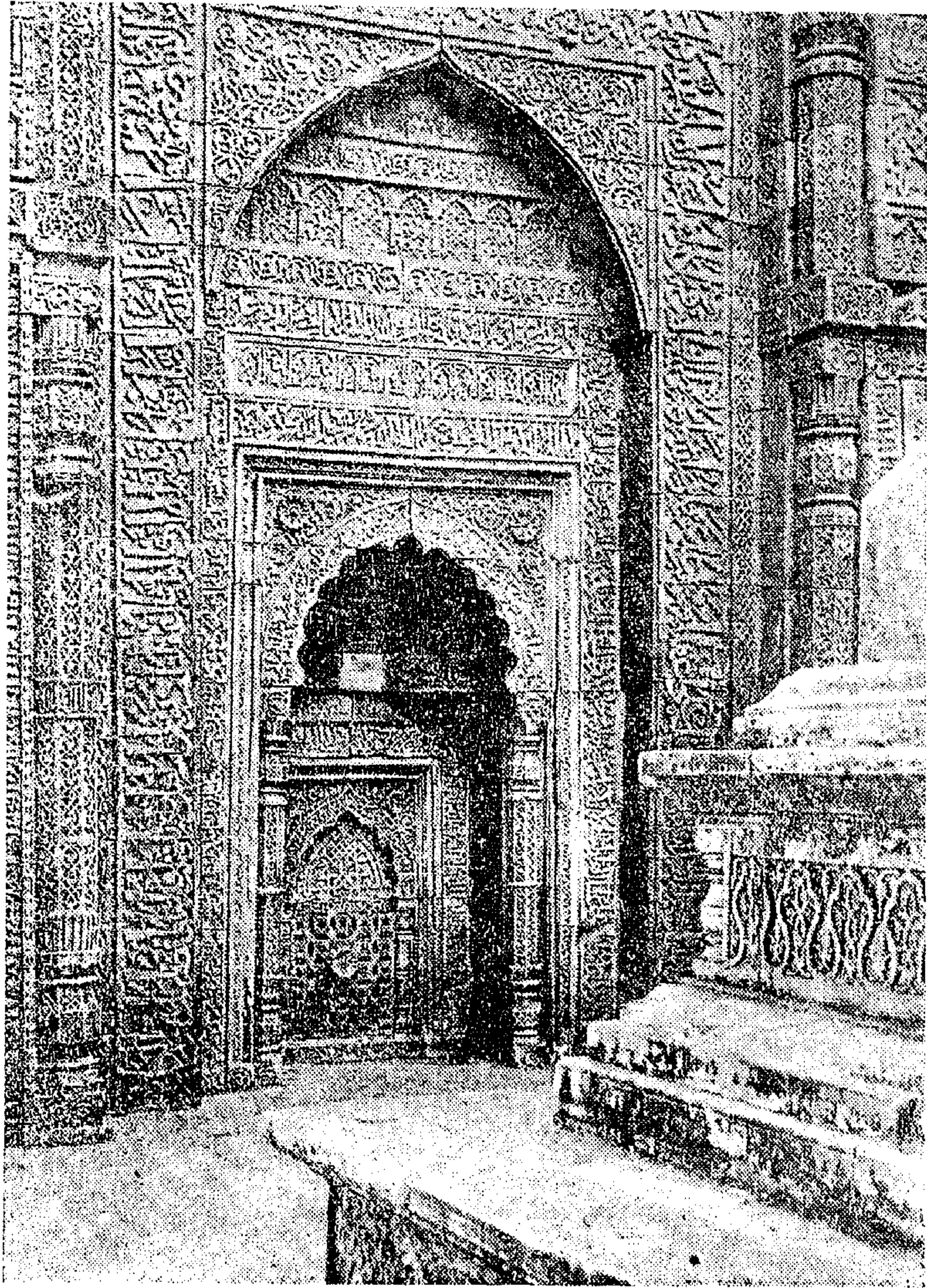
وفي حالات عدم الاستقرار السياسي يتأخر وصول البريد ، كما حدث اثناء حصار ملك نائب كافور لقلعة Warangal لم يتسلم علاء الدين اخبارا عن الحصار الا بعد اكثر من اربعين يوما . ومن ناحية اخرى يرجع الفضل الى البريد في ابلاغ السلطان علاء الدين عن ثورة موالى حاجى في اليوم الثالث من حدوثها ، ويرجع الفضل الى البريد وانجازاته الناجحة ايضا في نقل خسروخان من ديفاجيرى الى دهلى بأمر من السلطان قطب الدين (٢) .

وعلى كل حال فان الخدمة البريدية في عهد سلطنة دهلى كانت تؤدي مهامها بنجاح وكفاءة ، وتساعد السلطان على معرفة كل ما يجرى في المملكة المترامية الاطراف ، ومراقبة شؤونها بالسرعة اللازمة .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ص ٢٠١ .

Lal : op. cit. pp. 167-168.

(٢)



دهلي حاضرة السلطنة الاسلامية

دهلي مدينة كبيرة المساحة ، كثيرة العمارة ، ولقد قام بتوسيعها سلاطين دهلي ، وشيدوا بها الضواحي لسكناهم ، حتى أن ابن بطوطة يذكر انها اربع مدن متجاورات ، واهم هذه الضواحي سيرى Siri ، وكان يقيم بها السلطان علاء الدين خلجي ، وابنه السلطان قطب الدين ، وشيد السلطان تغلق ، ضاحية تغلق آباد ، وشيد السلطان محمد بن تغلق ، جهان وشرع هذا السلطان في تشييد سور لهذه المدينة الكبيرة يضم ضواحيها التي ذكرناها ولكنه توفي قبل أن يتمه ، وتقع مساكن الحرس ازاء السور ، ومخازن الطعام والاسلحة والزرع حول السور لا يتغير ولا تنتابه الافات ويمشي في داخل السور الفرسان والرجالة من اول المدينة الى اخرها ، وابراج السور كثيرة ، وعدد ابواب دهلي ٢٨ بابا (١) .

وبخارج دهلي الحوض العظيم المنسوب الى السلطان التمش ومنه يشرب اهل دهلي ، وهو بالقرب من مصلاها ، وماؤه يجتمع من ماء المطر ، وفي وسط الحوض قبة عظيمة من الحجارة منقوشة ، وهناك حوض خاص للضاحية سيرى اكبر من الحوض السابق (٢) .

وجدير بالذكر أن السلطان فيروز التغلقى ، انشأ عددا من البساتين حول دهلي ، بلغت ١٢٠ بستانا ، واكمل الخزانات التي شرع علاء الدين في تشييدها (٣) .

ومسجد دهلي الكبير نحت من الحجارة البيضاء ، وبه ثلاث عشرة قبة من الحجارة ، وللمسجد اربعة صحنون ، وفي وسطه الجامع المعمور الهائل ، وفي الصحن الشمالي من المسجد الصومعة الكبيرة المبنية من الحجارة الحمراء ، خلافا لحجارة المسجد البيضاء ، ومنقوشة بالذهب الخالص ، وممرها واسع ، وقد شيدها السلطان بلبن ، والصاعد اليها يرى معظم بيوت دهلي (٤) .

(١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٨ .

(٢) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٨ - ١٩ .

Rawlinson : op. cit., p. 243.

1) Lane Poole : Medieval India. p. 68.

ومما تجدر الإشارة إليه أن قطب الدين إيبك هو الذي بدأ في تشييد مسجد دهلي الكبير سنة ١١٩١ ، وأكمله التمش سنة ١٢٣٠ ولاتزال منارة هذا المسجد باقية إلى يومنا هذا ، وتسمى منارة قطب الدين ، وعلى واجهة أحد أبواب مسجد دهلي الكبير كتب باللغة العربية بحروف بارزة من الحجر « باسم الله الرحمن الرحيم والله يدعو إلى دار السلام . . » ثم كتب تحت ذلك « جرت هذه العمارة بأمر . . . » (١)

وأضاف علاء الدين إلى المسجد ، المدخل الجنوبي بناها في سنة ١٣١١ من الحجارة الحمراء والرخام الأبيض . وهذا البناء من أجمل المباني في تاريخ الهند ويبدو أصغر من منار قطب الدين ، ويبلغ ارتفاع هذا المبنى ٢٢٨ قدماً ، وتأخذ شكلاً مخروطياً من القاعدة إلى القمة ، وتتكون من خمس طوابق الثلاثة الأسفل من الحجارة الحمراء ، والطابق الأعلى من الرخام الأبيض ، وكل طابق له شرفة مزخرفة ، ونقش السلطان اسمه على هذا المبنى (٢) .

وشيد السلطان فيروز شاه التغلقى مسجداً في دهلي ويذكر باراني أنه « بناء عجيب وغريب في عظمته ومحرابه مرتفع حتى قيل أنه يداني السماء » ويتعبد فيه عدد كبير من المؤمنين ، وأقبل معظم سكان دهلي على هذا المسجد للصلاة فيه وبلغ من كثرة ازدحام المصلين به يوم الجمعة أنه كان لا يبقى فيه موضع ، ويتجمع الناس في الشعاب المؤدية للمسجد ، ويفضلونه على غيره من المساجد .

Rawlinson : op. cit. p. 243.

(١)

(٢) تاريخ فيروز شاهي ، ص ٧٨٨ .

النظام الادارى في سلطنة دهلى

انقسمت سلطنة دهلى الى عدة ولايات بلغت احدى عشرة ولاية في عهد السلطان علاء الدين وهى :

- ١ - الكجرات ، ويحكمها الب خان .
- ٢ - الملتان وسفستان ويحكمها تاج الملك كافور .
- ٣ - دبو بالبور Deopalpur وواليها غازى تغلق .
- ٤ - سامانا وسونام ويحكمها آخور بك ناتك .
- ٥ - دهار ويوغان Dhar — Ujjain ويحكمها عين الملك مولتانى .
- ٦ - Jhain غيان وواليها فخر الملك ميسارتى .
- ٧ - شيتسور وواليها ملك أبو محمد .
- ٨ - شانديرى وارج Iraj وواليها ملك تامار .
- ٩ - بادون وكول وكارك وواليها ملك دينار .
- ١٠ - أوده وواليها ملك بوكتان .
- ١١ - كره وواليها نصر الدين سوتيللا (١) .

والوالى ينوب عن سلطان دهلى في حكم ولايته ، ومن مهامه حفظ الامن والنظام في الولاية ، والدفاع عنها ضد الاخطار الخارجية ، ومباشرة ادارة الولاية وتفقد احوال أهلها ، والفصل في خصوماتهم ، ويرسل فريقا من جيشه الى دهلى ، لينضم الى الجيش الفيدرالى في الامبراطورية ، ويقوم بجمع الضرائب من ولايته بواسطة موظفيه المالىين وينفق منها على ادارة الولاية واصلاحها ، ودفع مرتبات الموظفين ، ومتطلبات جيش الولاية ، ويرسل الفائض من هذه الاموال الى الخزينة المركزية في دهلى ، ومن واجباته الاساسية ارسال امدادات حربية اضافية الى سلطان دهلى اذا ما طلب منه ذلك (٢) .

ويقوم ولاة الاقاليم عادة في ولاياتهم ، وأحيانا يفضلون الإقامة في دهلى الى جوار السلطان ، ويرسلون ثوابا عنهم في ولاياتهم لادارتها ،

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣٢٣ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

ويتقاضى الوالى راتبه بنسبة دخل الولاية ، ولا يتدخل السلطان وحكومته المركزية في ادارة الولايات طالما كان الولاة موالين ومخلصين للسلطان (١) ، واذا ثبت عدم اخلاص الوالى يتعرض لعقاب صارم من السلطان . وعلى ذلك يمكن القول بأن حكومة دهلى اتبعت النظام اللامركزي في ادارة اقاليمها ، فكل وال مستقل في ادارة شؤون ولايته (٢) . وهذا النظام يشبه الى حد كبير الدولة السلجوقية في عهد ملكشاه ، اذ كان يقطع اقاليم دولته الى اقربائه او كبار رجال دولته . وفي سلطنة دهلى كان الوالى اشبه بالحاكم الاقطاعى في ولايته ، يقطعها له السلطان ، ويبقى في اقطاعه طالما بقى على الولاء والاخلاص للبلاط الامبراطورى (٣) .

على ان سلطان دهلى حرص على مراقبة ولايته وعماله ، وكان يعزل او يعاقب او ينقل الوالى الذى تحوم حوله الشبهات في عمله وولايته ، وكانت الحكومة المركزية في دهلى تراجع البيانات المالية التى يرسلها الوالى اليها ، ويتأكد الوزير من عدم تلاعبه بأموال ولايته ، ومن ارساله الفائض منها فعلا بعد تغطية وجوه الانفاق فيها ، ويحدد ديوان العارض عدد الجند الذى يرسلها الى دهلى ، ومقدار التجهيزات العسكرية المطالب بتقديمها . ويتفقد السلطان الشكاوى التى يرسلها الافراد في الولايات اليه ضد الوالى ، ويتحقق من خلايا هذه الشكاوى عن مدى تأدية الوالى لواجبه ، ويعرف السلطان اخبار الولاية عن طريق البريد ، وطالما كان الولاة يسرون في الناس سيرة حسنة ، ويقدمون الالتزامات المطلوبة منهم الى حكومة دهلى ، فان سلطاتهم تكون واسعة في ولاياتهم ، ولا يتعرضون للعقاب او العزل او النقل . ومن اقوى ولاة سلطنة دهلى ملك كافور ، والى خان ، وغازى ملك ، حكموا ولاياتهم سنوات طويلة ، ونفذ هؤلاء الحكام الاقطاعيين اكثر من نفوذ حكام الولايات التى تديرها حكومة دهلى مباشرة ، فهؤلاء يتقاضون رواتبهم من دهلى ، وليس لهم نفوذ واسع في ولاياتهم مثل الحكام الاقطاعيين ، وهم يرجعون الى حكومة دهلى في ادارة ولاياتهم ، وينفذون قراراتها وتعليماتها بدقة (٤) اما الحكام الاقطاعيون فيديرون ولاياتهم دون الرجوع الى حكومة دهلى ، ويقدررون الضرائب على الناس كيفما شاءوا ،

Gibb : Damascus chronicles of the Grusades 111. 577. (١)

Habibullah. p. 233. (٢)

Moreland p. 23. (٣)

(٤) تاريخ بارانى ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

ويباشرون الاختصاصات التي تحدثنا عنها ويؤدون لدهلي الالتزامات المالية والعسكرية التي ذكرناها (١) .

اشتمل الجهاز الحاكم في دهلي من حاشية السلطان ، وهم الوزير ، ورؤساء الدواوين وقواد الجيش وكبار موظفي البلاط الملكي مثل وكيل الدار ، ورئيس الحرس الامبراطوري وغيرهم من كبار موظفي الدولة ، وقد يصل احد هؤلاء الكبار من أولى المراتب الى العرش مثل ابيك والتمش وبلبن ، كانوا عبيدا أرقاء ، وتدرجوا في سلك الوظائف والمناصب حتى أصبحوا من الحاشية ، ثم تمكن كل منهم من تولى عرش السلطنة ، ومن أهم الشروط الواجب توافرها في أفراد الحاشية ، المقدرة العسكرية ، والكياسة والذكاء والمهارة وسعة الافق ، ولما كان أفراد الحاشية يتمتعون بنفوذ كبير في الدولة ، ويحظون بالقرب من السلطان ، فقد اشتدت المنافسة بين كبار الموظفين حول الوصول الى هذه المرتبة .

وتتكون الهيئة الحاكمة في الدولة من الخانات والملوك والامراء ، وهذه القاب عسكرية ، ولا غرابة في ذلك لان الدولة عسكرية الطابع ، والخان تحت يده عشرة آلاف حصان والملك الف ، والامير مائة ، ولا نعرف تماما عدد أفراد الفرق العسكرية التي يقودونها ، ولكن تدرج أعدادها طبقا للرتب العسكرية ، كذلك تدرج المراتب السنوية لهؤلاء النبلاء طبقا لمراتبهم ، وأصحاب الرتب الكبيرة التي ذكرناها قريبين من السلطان ، ولهم دور فعال في مباشرة أمور الدولة السياسية والعسكرية (٢) .

على أن أفراد الهيئة الحاكمة كانوا من جنسيات مختلفة ، من الترك والافغان والهنود والفرس ، وان كان الخانات عادة من الترك ، لذا تنازع وتنافر أفراد هذه الطبقة ، لعدم تجانسها ، فضلا عن المنافسة الشديدة فيما بينها حول السيطرة على زمام الامور في الدولة ، والتقرب من السلطان على حساب الآخرين وطبيعي أن يؤثر ذلك على ادارة الدولة ، ويؤدي الى انتشار الفساد فيها ، نتيجة لفساد الطبقة الحاكمة ، وتنازعها حول السلطة والنفوذ ، وتدبير المؤامرات والدسائس ووضع العراقيل في سبيل كل من يبرز منهم ، ويقرب من بلوغ العرش ، ولم تقتصر الخلافات حول

Lal : op. cit., p. 71.

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٢٣ .

(٢)

السلطة بين أفراد الهيئة الحاكمة ، بل تعداه الى حكام الولايات فاشتدت الخصومات فيما بينهم ، وانساق في خصوماتهم افراد الهيئة الحاكمة بالانحياز الى فريق دون فريق . ومن الطبيعي أن تؤدي هذه المنازعات الى فساد الادارة الحكومية ، وعرقلة الاصلاحات التي تحتاجها الدولة ، والانجازات التي يحتاجها المواطنون من حكاهم (١) .

وكانت المنافسة اشد بين نبلاء الترك ونبلاء الهنود والترک كانوا اولى بأس شديد في السياسة والحرب واكثر تفوقا ونفوذا من العناصر الأخرى ، وقد تأمروا على النبيل الهندي عماد الدين رهان ، وما زالوا به حتى أبعده ، وأدى الصراع بين النبيل الهندي كافور ، وألب خان في الايام الاخيرة لعلاء الدين الى ضياع هيبة الامبراطورية ، بل كاد أن يؤدي بها الى الهاوية (٢) .

واخطر ما في هذه الصراعات ، محاولة بعض افراد الهيئة الحاكمة من النبلاء السيطرة على مقاليد الامور في الدولة دون السلطان اذا اتاحت لهم الظروف بذلك ، كأن يكون السلطان ضعيفا أمثال جلال الدين الخلجي ، وقطب الدين الخلجي ، حيث سيطر النبلاء على الحكومة ، واشتدت المنافسة بينهم ، وأصبح كل منهم غير آمن على نفسه وعلى مركزه من زملائه ، وبدلا من أن يوجهوا جهودهم لاداء مهامهم الوظيفية ، اضاعوا الوقت في التآمر على بعضهم البعض بغية الوصول الى السيادة والحكم ، أما اذا كان السلطان قويا ، فان كل نبيل يلزم حدود مهامه الوظيفية ، ويخدم باخلاص حتى ينال رضا السلطان ، ويضمن البقاء في منصبه ، وعدم التعرض لعقابه بل يمتنع عن الخوض في المؤامرات والدسائس .

وفي عهد بلبن كانت الهيئة الحاكمة من النبلاء تضم الارستقراطية التركية ، وسيطروا على العرش ، وكان بلبن يخشي بأسهم وقوتهم ، على انه استطاع أن يضعفهم وينقص من نفوذهم (٣) .

ولما ولي السلطان جلال الدين الخلجي العرش ، استعاد النبلاء « الاربعين » الترك سلطاتهم ، لان جلال الدين يسر لهم ذلك ، اذ هو مدين

Munshi. op. cit. p. 147.

(١)

IBID. p. 148.

(٢)

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ١٩١ - ١٩٣ .

لهم بنجاحه في الثورة الخلقية التي جعلته يهدم حكم الملوك المماليك ، وينقل الحكم الى اسرته ، ومن أسباب ازدياد نفوذ النبلاء الترك أن جلال الدين لم يكن بطبيعة الحال ميالا الى العنف ، ومع ذلك فقد راقبهم بشدة ، وأعطاهم الحرية في الانصراف الى مجالس اللهو والطرب ، حتى ينشغلوا بذلك عن السياسة وتدبير المؤامرات ضده ، ولم يستعن بهم في الاعمال الرئيسية (١) .

ولما ولى السلطان علاء الدين العرش كان يعرفهم حق المعرفة ، وقد ساعده في كرهه ضد جلال الدين ، ووقفوا الى جانبه في الانقلاب الذي اطاح فيه بعلمه جلال الدين وولى هو السلطنة ، وقد لمس بنفسه اخلاص بعض النبلاء وتفانيهم في ادارة الدولة وتنفيذ سياسته وتعليماته مثل ملك حميد الدين وملك عزيز الدين وعين الملك مولتاني وغيرهم من الرجال المجريين من اهل السياسة والحرب (٢) .

راى علاء الدين أن الفساد في الدولة ليس مرجعه فقط الى طبقة النبلاء الحاكمة ، انما يرجع الى عدة عوامل اولها أن السلطان لا يعنى بتخفيف اعباء المعيشة لدى الجماهير الكادحة ، وثانيها الابقاء على مجالس الشراب التي تتضمن عادة التقاء الناس ببعضهم ، والانطلاق في الحديث عن السياسة والحكم ، وتدبير المؤامرات ضد السلطان ، وثالثها العلاقات الوثيقة بين افراد الهيئة الحاكمة ، فاذا أصيب واحد منهم بضرر انضم اليه الآخرون ، وأخيرا فان الثروة تجعل أصحابها اولي بأس شديد ، وينضم الى أصحابها أنصار وأعوان وقد يقفوا بقوة في وجه السلطان في وقت من الأوقات (٣) .

راى السلطان علاء الدين أن الهيئة الحاكمة أصبحت تشكل مراكز قوى في الدولة ، وخشي بأسها ، وراى أنها ربما تعمل على تحطيم سلطانه أو تقليصه ، لذا شرع في مراقبتها وتحديد نفوذها ، فبعد أن عاد من رانثمبهور سنة ١٣٠١ وقضى على بعض الثورات التي قامت ضده ، أصدر عددا من المراسم تهدف الى تحديد امتيازات النبلاء ومراقبتهم ومنعهم من الاختلاط

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

(٢) تاريخ باراني ، ص ٢٨٢ .

(٣)

Lal : op. cit. p. 173.

بعضهم البعض ، والاجتماع في حفلات ترفيحية ، والدخول في علاقات وثيقة فيما بينهم ، مثل المصاهرة قبل اذن سابق منه - اى من السلطان - وتدرجيا قضي السلطان على حرية النبلاء الشخصية بل فرض عليهم مقومات العبودية الثلاثة ، فكان على السلطان ان يرث النبيل ، ولا يعقد زواجا بدون اذن مسبق منه ، ويتبع ذلك تبعية ابناء النبلاء للسلطان كتبعية العبد لسيده ، وحرص السلطان علاء الدين على تطبيق قراراته هذه بكل قوة وحزم حتى اصبح النبلاء موالين له تماما ، وكان كل منهم يحذر من زميله ، ولا يجرؤ على الكلام معه بصوت مرتفع خشية من الرقابة واكتفوا بالتعبير عن آرائهم فيما بينهم همسا (١) وبذلك اهدر هذا السلطان حقوق رجاله في الحرية والتعبير والحركة .

وامعن علاء الدين في الكف من نشاطات النبلاء ، واشتد في رقابة حتى اقرب النبلاء اليه ، ولا يمكن تصديق كل روايات المؤرخين المعاصرين ، الا انه من الثابت ان علاء الدين اشتد في رقابة نبلائه ، فوضع يلغ خان في موضع الشك بسبب طموحه ، وحقد على ظفر خان المحبوب وكان سعيدا لموت الرجلين ان لم يكن مسئولوا عن مصرهما واما الب خان وكافور فقد خدماه بكل اخلاص ، والا للقيام مصيرا قاسيا من السلطان (٢) .

اما النبلاء الاقل منزلة من الكبار ، فقد حدد علاء الدين امتيازاتهم ونفوذهم وساروا في فلك السلطان لا يجرؤ واحد منهم على معارضة رغبات السلطان ، او السير في الاتجاه الذي لا يرضاه ، وامعن علاء الدين في منع النبلاء من الاختلاط ببعضهم بعضا ، فتحريره الخمر على النبلاء لا لانها محرمة شرعا فقط بل وايضا حتى لا يندمج النبلاء مع بعضهم في مجالس الشراب ، ويفقدون وعيهم ، وقد يتكلمون في السياسة ، ويتحدثون عن الحكم بدون حذر ، وقد يجرحهم ذلك الى تدبير المؤامرات ضد السلطان وقد واجه كثيرا منها بالفعل ، وكان بعض خواصه ينصحونه بعدم شرب الخمر لانها تصرف الحاكم عن اداء واجبه على الوجه الاكمل .

على كل حال اصدر علاء الدين قرارا بتحريم شرب الخمر وغيرها من المسكرات في دولته ، ومنع تداول الخمر بالبيع والشراء كما نهى عن لعب الميسر والنرد . وكل هذه القرارات تهدف الى منع ما قد ينشأ عنه

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ص ٢٧٠-٢٧١ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٤ .

من اجتماعات تؤدي الى صدقات ولقاءات يطمئن الناس فيها الى بعضهم البعض ويتحدثون في موضوعات سياسية ينتقدون الحكم والسياسة ، وقد يدبرون المؤامرات والدسائس ضد السلطان والحكومة .

عهد السلطان الى بعض موظفيه بتنفيذ تعليماته الخاصة بالخمير بكل دقة ، وكانوا يركبون الفيلة ، ويتجولون في شوارع دهلي ، ويعلنون بصوت عال قرارات السلطان بمنع بيع وشراء الخمر وأنواع المسكرات وتعاطيها ، واقتحموا محلات بيع الخمر وحطموا اوعيتها وكؤوسها ووضعوا حطامها في اكوام امام احدى بوابات دهلي ، واغلقوا جميع حوانيت الخمر ، وضرب السلطان المثل بنفسه ، فأمر بتحطيم جميع اواني الخمر في القصر . اما ما كان منها من اوعية ذهبية وفضية فقد صهرت وصيغت عملة ، والقيت في شوارع دهلي كميات الخمر المخزونة في القصر حتى اصبحت ارض دهلي مغطاة بطبقة طينية ، كما لو كانت في اشد الاوقات مطرا (١) .

واقتردى الناس بالسلطان الذي بدا بالتحريم على نفسه وتوقفوا عن الشراب على ان اوامر التحريم ظهر من خالفها ، اذ لجأ بعض التجار الى بيعها سرا في السوق السوداء في اوعية صغيرة للمدمنين الذين لا يستطيعون الامتناع عن شرب الخمر ، وتسربت الخمر الى دهلي من خارجها في اوعية جلدية مخبأة في حزم من الحشائش والاعشاب ، وغير ذلك من الوسائل السرية ، ولما علم السلطان بأن الخمر تباع سرا ، تتبع تجارها وعاقبهم بكل شدة ، وجمعت خمورهم ، والقيت في اسطبلات فيلة السلطان ، وعاقب هؤلاء المخالفين بكل شدة ، وزج بهم في السجون ، قاسوا فيها البؤس والشقاء ، ومن نجا منهم بحياته ، ضعفت صحته واشتد مرضه (٢) .

ونفذت اوامر السلطان بتحريم الخمر ، ولم يعد يتناولها الا المدمنون الذين لا يبالون بالاوامر المشددة على الرغم من العقوبات السلطانية الصارمة ووجد هؤلاء من يصنع لهم الخمر ، ويبيعها لهم سرا ، وقد حققت سياسة علاء الدين هدفها من التحريم ، فلم تعد هناك اجتماعات لهو تحاك فيها الدسائس وهدأ بال السلطان من هذه الناحية ، فتوقفت حركات التمرد ضد حكمه ، وامن السلطان على ملكه وعلى استتباب الامر في دولته ، ولما تحقق السلطان من نجاح سياسته ، خفف من القيود التي وضعها على شرب الخمر (٣) .

(١) تاريخ فرشته ، ص ١٠٩ .

(٢) تاريخ فرشته ص ١٠٩ .

(٣)

١ - الجيش والاسطول

يقول بارانى (١) ان الملك يرتكز على دعامتين ، الاولى الادارة الحازمة والنزيهة والثانية الجيش القوى ، ولما كانت دولة المسلمين في الهند في العصر التركى عسكرية في طابعها ومن اهدافها السياسية الرئيسية ، التوسع في شبه القارة الهندية كما انها معرضة - كما راينا لغزو المغول من وقت لآخر ، فان وجود جيش قوى امر ضرورى لتنفيذ سياستها وحماية امنها من الاخطار .

ولقد حرص علاء الدين خلجى على تكوين جيش قوى منذ الايام الاولى لحكمه ، ووجه كل جهده لتحسين ادارة شؤون الجند ، وتنظيم قواته . وكما ان الجيش حصن الامبراطورية فالحصون حمت الجيش ، ونقاطه الامامية ، وقواعد ارتكازه يرتكز فيها الجيش لحماية الوطن من هجمات المغول المتكررة على سلطنة دهلى . ويذكر بارانى (٢) ان السلطان بلبن اعطى اهتماما كبيرا لتأسيس الحصون خصوصا على الحدود الشمالية الغربية ، وزاد الاهتمام بتقوية الحصون حينما غزا القائد المغولى تارغى سلطنة دهلى في سنة ١٣٠٣ وقام علاء الدين بترميم القلاع القديمة ، واعادة تشييدها ، كما اسس قلاعا جديدة في المواضع الاستراتيجية من الامبراطورية ، وولى على هذه القلاع قوادا اكفاء ، واسس مصانع للأسلحة مثل المنجنيقات لتزويد الجيش بكافة الاسلحة الضرورية ، وياشرها مهندسون متخصصون في فن تصنيع الاسلحة ، وشيد مخازن للفلال والمؤن لامداد الجيش باحتياجاته .

ينقسم جيش دهلى الى فرق كل منها تمارس نشاطا معيننا من بينها الحرس الامبراطورى ويسمون Jandars ويتبعون السلطان مباشرة ، وياشر امورهم بنفسه . والفريق الثانى ، عصب الجيش ، المشاة والفرسان ، وبكلفون بتنفيذ السياسة العسكرية للدولة ، والقسم الثالث يقوم بتزويد الجيش بالامدادات والمؤن والمعدات الضرورية . ويرابط فريق من الجيش في دهلى بالقرب من السلطان وهذا الفريق على اهبة الاستعداد دائما للحرب ، والفريق الثانى يوزع في الولايات للمحافظة عليها من الهجوم

(١) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣١٧ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٩٣ - ٢٩٤ .

الخارجي وضمان ولائها وطاعتها لسلطان دهلي ، وقوامه من العناصر التركية المقيمة في السلطنة يضاف الى ذلك جنود من الفرس والهند ، وجيش دهلي مدرب احسن تدريب على الحرب والقتال وركوب الخيل والفيلة وخفة الحركة ، ولديه اسلحة متطورة ودروع رائعة وخيول قوية نشطة وفيلة مدربة ، ويرتدي الجند ملابس رقيقة تيسر لهم الحركة . والحقيقة ان علماء الدين ارسى القواعد الاساسية والتقاليد العسكرية التي سار على منوالها الحكام الذين خلفوه (١) .

ومهما يكن من امر فقد قسم جيش دهلي الى فرق على النظام التركي كالآتي :

قائد يرأس عشر فرسان مجهزين بالخيول والاسلحة يسمى Sarkhail
قائد : يرأس مائة فارس ويسمى Spahsalar
الامير : ويرأس الف فارس .
الملك : عشرة آلاف .
الخان : مائة الف (٢) .

الاسلحة والمعدات : اعطانا ناصر خسرو وصفا للعسكر في الارض المكشوفة أثناء الحرب والقتال ، فقال انه يقع في ارض مساحتها الف وسبع وعشرون ياردة ، ومحيط القلعة ، وهو محاط بالخيام تقع في حوالى ١٢ الف وخمس مائة وست اربعون ياردة وفي المعركة الجندی وحصانه موضع رعاية ، ومزود بوسائل الحماية ، فالجندی مزود بدرع ، والحصان يركب له قطعة من الصلب تحميه ، وللجندی خوذة من الصلب او طاسة لحماية راسه ، والجندی مزود بسيفين بالاضافة الى الاسهم والاقواس وبلط المعارك ، ويقوم الجندی بوضع احد السيفين في سرج فرسه ، والآخر في جعبته ، والفيلة مكسوة بلوحات معدنية . واما الجند المشاة مزودون بأسهم طويلة واقواس بالاضافة الى السيف والخنجر . وتتكون آلات الحصار من المنجنيق وغيره وآلات الحصار تقذف الحجارة والقذائف . وعجلات الحرب تصل الى قاعدة القلعة بسرعة .

وتوجد آلات رافعة تصل الى قمة القلعة . واطخر ادوات الحرب ،

Quereshi : Administration of the Sultanate of Delhi pp. 234 - 235. (١)

Lal : op. cit., pp. 192 - 193. (٢)

الفيلة المدربة ، وهى دبابات العصور القديمة والوسطى . ويحتفظ ديوان الحرب بسجلات تتضمن اسماء الجند وما يتعلق بهم وبرواتبهم . والقسم الذى يعملون فيه (١) .

حرص علاء الدين على تدريب الخيل على سرعة الحركة وامر بتربية خيول الحرب باعداد كبيرة حتى يتمكن من اختيار المناسب منها للحرب. وامر بفحص الاسلحة واختبار صلاحيتها قبل تسليمها للجند : ولم يكن يعهد لاحد بالجندي الا اذا كان صالحا لها صحيا ومعنويا . يضاف الى ذلك ان امداد الجيش بالجند والاسلحة والدواب يستغرق عادة اربعة عشر يوما (٢) .

كذلك عنى علاء الدين بتزويد الحصون والقلاع بالجند المدربين، وكان لا يصرف جنده بعد المعركة ، وانما يستبقئهم . ويذكر فرشته ان عدد جند السلطان علاء الدين بلغ ٧٥٠٠٠ مقاتل معدين خير اعداد ومدربين احسن تدريب (٣) .

اختلفت مراتب الجند حسب خدماتهم في الجيش ، فهناك الجند المحترف ، المدون في ديوان العرض ، ويجرى تدريبه وتقييمه ومباشرته ، وينتظم في سلك الجيش ، وفي احدى فرقه سواء في وقت السلم او الحرب ويجهز بالمعدات والاسلحة حسب الفرقة التابع لها ، ويتقاض راتبه من ديوان العرض سنويا حسب تحديد هذا الديوان له، واعتماد السلطان لهذا التحديد، وهذا الجندي يمتلك على اقل تقدير حصانا وتزداد مهامه ومسؤولياته اذا عهد اليه بحصانين (٤) . وفي هذه الحالة يتقاضى راتبا اعلى من راتب صاحب الحصان الواحد ، وراتب الجندي الغير منتظم في سلك الجيش ، والذي يتطوع في الجيش وقت الحرب فقط ، يختلف كذلك عن راتب الجندي المنتظم ، وعن علاء الدين عناية خاصة بتحسين رواتب جنده وهيا لهم سبل المعيشة الرغدة ، الامر الذى دفع جنده الى بذل الجهود المخلصة في الحرب والقتال، وحسن التدريب والتنظيم . وكان في مقدرة الجندي صاحب الحصانين اسر

IBID. P. 193.

(١)

(٢) تاريخ بارانى ، ص ٣١٨ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٦٥ .

Qureshi : Administration of the Sultanate of (٤)

Delhi, 244-245.

عشرة من المغول ، وقهر مائة منهم ، ويتضح ذلك من تعليماته لتاج الدين كافور ، وهو سائر للحرب في وارنجال Warangal واتخذ اجراءات اقتصادية صارمة لتيسير سبل المعيشة لجنده منها تثبيت الاسعار وتحديداتها في السوق ، والضرب بكل شدة على ايدي التجار الجشعين والمتلاعبين بالاسعار ، وتوفير السلع في السوق ، وبيعها بأسعار في متناول جنده ، وبذلك كفل علاء الدين للجيش الحياة الكريمة ، حتى يتيسر للجنود تحقيق سياسته الدفاعية والهجومية (١) .

٢ - الحياة الاقتصادية في سلطنة دهلي

١ - الثروة الزراعية : -

ازدهرت الزراعة في سلطنة دهلي ، واعتبرت المورد الرئيسي لاقتصاد دهلي ، واهم مصادرها المادية ، واعتمدت الزراعة في هذه البلاد على الامطار الموسمية التي تشتد في بعض الاجزاء وتقل في اخرى ، ويطول موسم الامطار في بلاد دون اخرى ، ومن ثم اختلف فصل الجفاف من منطقة الى اخرى ، وفيه تجف الانهار الا تلك التي تنبع من جبال هماليا حيث يذوب الجليد في الربيع . وفي منطقة الدكن تجف معظم الانهار في فصل الربيع ، ويعتمد الزراع على الآبار في ري اراضيهم .

والزراعة هي العمل الاساسي لسكان سلطنة دهلي ، وهي التي تمدهم بالغذاء والاموال التي يحصلون بها على متطلباتهم واحتياجاتهم .

ولما كانت سلطنة دهلي تعتمد في زراعتها على الامطار الموسمية ، فان ذلك كان يعرضها لاطار جسيمة في السنوات التي يقل فيها المطر ، فيجف الزرع ، ويتدهور الانتاج الزراعي ويعم القحط ويشتد البلاء ، ولقد بذل السلطان علاء الدين خلجي جهده للتغلب على المجاعات ، فأنشأ صوامع لتخزين القمح في سنوات الرخاء لينتفع به في سنوات الشدة (٢) ، وقد وقعت مجاعة عظيمة في بلاد الهند بسبب ضعف المحصول في عهد السلطان محمد بن تغلق ، فأمر بأن يعطى لاهل دهلي ما يقوتهم بحساب قدر معين كل يوم (٣) .

Lal : op. cit. 196.

(١)

Lal : op. cit. p. 201.

(٢)

(٣) ان بطوطه ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

ولقد طالت سنوات القحط قبل غزو تيمورلنك لسلطنة دهلى حتى زادت عن عشر سنوات ، وغزاها تيمورلنك سنة ١٣٩٨ م في خضم هذه المحنة الكبرى التى لحقت بأهل البلاد فاجتمع على الاهلين الكرب والبلاء والجوع والحرمان والخراب والدمار .

واهل الهند يزرعون اراضيهم مرتين في السنة ، فاذا نزل المطر عندهم في اوان ، زرعو الزروع الخريفى ، وحصدوه بعد ستين يوما من زراعته ، ومن هذه الحبوب الخريفية الكندرو وهو نوع من الدخن ومنها القال والشاماخ ، وهو طعام الصالحين ، وقد ينبت الشاماخ من غير زراعة ، ويخرج الفقراء والمساكين لجمعه ، ويجمعون منه ما يقوتهم طوال السنة ، ويجففونه في الشمس ، ويستخرجون منه لبه الابيض ، ويصنعون منه عصيدة ، ومنها الفاصوليا ، واذا حصدوا الحبوب الخريفية ، يزرعون الزروع الربيعية وهى القمح والشعير والحمص والعدس ، وتزرع في الارض التى زرعت بالحبوب الخريفية . اما الارز فيزرعونه ثلاث مرات في السنة ، وهو من اكثر الحبوب عندهم زراعة ، ويزرعون السمسم وقصب السكر مع الحبوب الخريفية (١) .

ومن الاشجار التى تنبت بكثرة في بلاد الهند العنب ، وظلها اكثر الظلال ، والزنجبيل والفلفل والنارنج والفلول وشجر الابنوس والرمان ، وبعض هذه الفواكه تنمو مرتين في السنة .

وتنتج الهند الكثير من الحبوب الزيتية مثل السمسم وبذر الكتان وبذر الخروع والفلول السوداني ، ويستخرجون الزيت من هذه النباتات ، ويعتمدون عليه في غذائهم ، وينمو في الهند كذلك الشاي والبن والجوت والجوز .

وقد اشتهرت الهند منذ القدم بزراعة التوابل مثل الفلفل والزنجبيل والحبهان والقرفة وغيرها ، ويستهلك الهنود الكثير من التوابل في غذائهم .

وانتشرت الغابات في الهند ، الامر الذى ادى الى ازدهار ثروتها الخشبية ، واستخدموها في الصناعات الخشبية .

(١) ابن بطوطه ، ج ٢ : ص ١٣ .

والثروة الحيوانية في الهند عظيمة جدا .

ولم يأل سلاطين دهلى جهدا في تيسير سبل الزراعة للمواطنين على اعتبار ان الزراعة من اهم مصادر الثروة ، فالسلطان تغلق شنجع الناس على تعمير الارض ، وفلاحتها ، فأصلح وسائل الري ، وشق كثيرا من الترغ والقنوات ، وخفف عبء الضرائب عن الاهلين .

وخالف محمد بن تغلق اباة في سياسته ، فرفع الضرائب على الفلاحين ، وانقل كاهلهم ، حتى ان الفلاحين ضاقوا ذرعا بسياسته ، فهجروا قراهم واراضيهم الى الغابات ، الامر الذي ادى الى تدهور الانتاج الزراعى ، وخراب الارض الزراعية .

ولما ولى فيروز تغلق السلطنة عهد الى كبار موظفيه باستصلاح مساحات واسعة من الارض القابلة للزراعة واصلح وسائل الري ، وحفر الآبار والقنوات فزاد الانتاج الزراعى ، واتسعت رقعة الارض الزراعية .

ب - التقدم الصناعى :-

عرفت الهند الصناعة منذ فجر تاريخها ، وتعتمد الصناعة في الهند بالدرجة الاولى على الانتاج الزراعى ، واهمها صناعة المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية ، وقد اقبل الكثير من التجار على الهند لشراء المنسوجات وبيعها في البلاد المجاورة ، واعتمدت هذه الصناعة على المواد الخام المتوفرة في الهند ، فالقطن تتوافر زراعته ، ويكثر انتاجه والصوف مترفر بسبب الثروة الحيوانية ، والحرير يعتمد على شجر التوت المتوفر في بلاد الهند ، ويربى على اوراقه دود القز .

ومن الصناعات التى راجت في بلاد الهند ، السجاد ، وكانت السجاجيد الهندية تأتى في الاهمية بعد الايرانية ، وكانت مطلوبة في قصور كبار رجال الدولة .

وهناك صناعات يدوية منزلية اخرى منها صناعة النحاس والمعادن الاخرى والآلات الزراعية القاطعة والفخار والصابون وصنع اللعب والخوز . واشتهرت الكجرات بالمصنوعات الجلدية عليها نقوش الطير والحيوان ، وشاهدها ماركوپولو .

وإدى تنوع المعادن وكثرتها في بلاد الهند الى سعى الافراد الى استخراجها وتصنيعها . ومن هنا انتشرت في بلاد الهند الصناعات الحديدية والنحاسية وصناعة الحلى والمجوهرات .

(ح) النشاط التجارى :

التموين والتجارة الداخلية

تعرضت سلطنة دهلى لمشاكل اقتصادية كبيرة ، ازداد خطرها ، واستطار شبرها في عهد علاء الدين ، وترجع هذه المشكلة الى كثرة النفقات الملقاة على عاتق الدولة بسبب غزوات المغول المتكررة . حقيقة كانت جيوش دهلى تصدهم ، وتردهم على أعقابهم خاسرين ، الا ان ذلك كان يكلف ميزانية الدولة اموالا طائلة ، كما ان الحرب التوسعية التى كان يشنها علاء الدين من وقت لآخر باهظة التكاليف يضاف الى ذلك نفقات الادارة المدنية والعسكرية . وعلى الرغم من ان دخل الدولة كان كبيرا ، الا انه لا يكفى الابعاء الكثيرة . وقد عمل علاء الدين على رفع الدخل عن طريق صب اوانى الذهب والفضة عمله ، والتدقيق في الضرائب الواردة الى دهلى من الولايات ، وتحديد الضريبة او رفعها الى ٥٠٪ من انتاج المحصول الزراعى ، الا ان ذلك لا يكفى ، فقرر علاء الدين خفض رواتب الجند ، وفي نفس الوقت حرص على عدم ارهاقهم بأعباء المعيشة ، لذا قرر تخفيض اسعار السلع الاساسية التى لا غنى عنها للفرد في حياته اليوميه ، فقام بتنظيم ادارة السوق (١)

وهناك دافع قوى وراء سياسته الرامية الى تنظيماته الاقتصادية ، ونقصد به غزوات المغول المتكررة ، والتى كانت تستهدف بالدرجة الاولى ، دهلى ، واطر هذه الغزوات حدث سنة ١٣٠٣ حينما حاصر المغول دهلى . وشددوا عليها الحصار ، ومنعوا وصول المؤن والمعدات عنها ، واحتلوا الطرق المؤدية لها ، فتعرضت دهلى لازمة غذائية قاسية ، ونفذت الاقوات منها ، لذا لقت هذه الازمة علاء الدين درسا مفيدا ، فقرر بناء خزائن للغلال تسع لاحتياطى كبير تستفيد منه دهلى اذا ما تعرضت لمثل هذا الحصار . كذلك حدد السلطان علاء الدين اسعار القمح والحبوب عموما . وجدير بالذكر ان الاسعار كانت منخفضة في عهد بلبن ، وارتفعت بعد ذلك حتى ولى علاء الدين فأمر بتخفيضها ، على أنها عادت وارتفعت في عهد محمد بن تغلق . وكانت الاسعار عموما في عهد علاء الدين ارخص منها في عهد فيروز بن تغلق . ويتضح ذلك من قول الشيخ ناصر الدين الشيرازى الذى اشار الى ذلك في عهد فيروز ،

IBID. P. 201.

(١)

يقول : ويرجع رخص الاسعار في عهد علاء الدين الى الاجراءات الصارمة التي اتخذها لضبط الاسعار وتحديدها . وتجلت أهمية سياسة علاء الدين ليس فقط في تخفيض الاسعار بل وفي تثبيتها في السوق (١) ، الامر الذي يعتبر حقا من عجائب العصر .

ولما كانت الحبوب هي الغذاء الرئيسي للناس ، فقد أسس علاء الدين سوقا للقمح والحبوب عموما ، وزوده بمخازن الغلال ، ويستطيع الناس الحصول على مستلزماتهم من الحبوب بالاسعار التي حددها ، ويقوم تجار الجملة باحضار الحبوب من خارج دهلي ، وبيعها لتجار التجزئة في السوق، والتزم تجار الجملة وتجار التجزئة بالسوق بالاوامر الصارمة التي قررها ووضعها علاء الدين ، وحدد أسعار السلع بقرار منه، واصدراوامره بمعاقبة كل من يخالف التسعيرة الجبرية. وطبقا لسياسة علاء الدين كان على التجار ان يقبلوا ويقنعوا بالربح المتواضع المترتب على تخفيض الاسعار الجديدة (٢) .

واجه علاء الدين صعوبات بالغة عند تطبيق ساسته ، اذ توقف تجار الجملة عن احضار القمح الى دهلي ، كما ان تجار التجزئة امتنعوا عن البيع الامر الذي ادى الى توقف تجارة الحبوب في دهلي . وتصدى علاء الدين لهذا الموقف بكل حزم ، فأمر مراقب السوق ، بأن يدون اسماء تجار الجملة والتجزئة في سجلات وجمع تجار الجملة ، وانذرهم بالعقاب الصارم اذا اصرروا على الامتناع عن تجارة الحبوب ، وابقاهم تحت المراقبة ، فخشوا العاقبة ، وشدة بأس السلطان ، واحضروا القمح الى دهلي ، وعادوا الى ممارسة عملهم بنفس الاسعار الرسمية التي قررها السلطان الخلجي ، بل امرهم بأن يقيموا مع عائلاتهم في القرى المحيطة بدهلي تحت مراقبة مراقب السوق ، وليس من حقهم الخروج أو الاعتراض على هذه التعليمات ووقعوا جميعا على هذه القرارات فرادى وجماعات. وبذلك التزم كل منهم بامداد السوق بالقمح ، وبالسعر الذي قرره الدولة والحكومة (٣)

ولتيسير مهمة تجار الجملة في امداد العاصمة بالحبوب من البلاد

(١) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .

Lal. op. cit., pp. 200 - 201.

(٢)

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٣ .

المجاورة أمر السلطان علاء الدين موظفي الإيرادات في الولايات بالتشديد على المزارعين في ضرورة تسليم الحصص المقررة عليهم من المحصول والتي تبلغ ٥٠٪ منه إلى الحكومة وبيع مخزونهم من القمح والحبوب بأسعار مناسبة أو بالأسعار التي تتناسب مع ما فرضه علاء الدين . وبذلك لم يجد تجار الجملة صعوبات في شراء القمح من البلاد المجاورة لدهلي .

كذلك حرص السلطان على أن يتبع الموظفون تعليماته بكل دقة ، والا تعرضوا للعقوبات الشديدة . وبذلك توفر القمح في السوق ، واختفت السوق السوداء ، ووجد المستهلك ما يلزمه من القمح بسعر رخيص ثابت ومحدد ، وتوفر لدى الدولة مخزون مناسب من القمح ، وشيد علاء الدين مخزنا للحبوب ، أحكم إغلاقه حتى لا يتأثر ما به من قمح في وقت التقلبات الجوية ، وإذا قل المحصول بسبب قلة الأمطار ، أو لعوامل أخرى ، فإن القمح الاحتياطي المخزون يوزع على تجار الجملة ، يحملونه إلى تجار التجزئة ، الذين يتجرون به في السوق ، ويبيع إلى الجمهور بالأسعار الرسمية (١) . وبذلك ضمن علاء الدين بسياسته هذه وجود القمح بالسوق بصفة مستمرة وبالأسعار الرسمية والمناسبة للجمهور ، الأمر الذي كفل للناس عموما وللجند بصفة خاصة الحياة الكريمة والمعيشة اليسيرة .

لجأ علاء الدين إلى سياسة حكيمة فيما يتعلق بالحبوب ذلك أنه كفل للناس شراء ما يلزمهم من الحبوب من السوق وبالكميات التي يطلبون شراءها في الوقت الذي يتوفر فيه المحصول . أما سنوات الجذب والجفاف فقد أمر علاء الدين المستهلكين بشراء ما يلزمهم فعلا من الحبوب ، وحدد الكمية اللازمة لكل أسرة ، وإذا ضبط أحد يشتري أكثر من حاجته عوقب بكل شدة . وبذلك ضمن علاء الدين عدم اختفاء الحبوب في أوقات الشدة والاختناقات التموينية ، وعدم لجوء الناس إلى التخزين ، والتوزيع العادل للغلال في أيام الأزمات ، الأمر الذي أدى إلى منع القحط الذي كثيرا ما ظهر في بلاد الهند في العصور السابقة (٢) .

وجدير بالذكر أنه قبل هذا التنظيم الدقيق كان الفقراء في أوقات وسنى قلة المحصول وندرته ، وغلاء سعره في السوق تبعا لذلك ، يحتشدون في السوق ، ولا يستطيعون شراء ما يلزمهم ، لأن الأغنياء يلجأون إلى التخزين ،

(١) تاريخ باراني ، ص ٣٠٩ .

(٢) تاريخ باراني : ص ٣٠٨ .

ويشترى المعروض في السوق بأسعار عالية ، الامر الذي يعرض الفقراء للموت جوعاً ، ويؤدي بالتالى الى اختلال الامن والنظام ، والسرقه من السوق ، او نهب بيوت الاغنياء لان الجوع كافر - كما يقولون - ويبدو ان علاء الدين في ايام ندرة المحصول حين حدد لكل أسرة ما يكفيها من الحبوب حرص على عدم اعطاء امتيازات تموينية لكبار رجال الدولة والاغنياء وانما كفل عدالة التوزيع للجميع .

ومن اكفاً من ولى ادارة السوق ومراقبته في عهد علاء الدين ، ملك كابل الذى يصفه بارانى بالحكمة الادارية والثقة المطلقة ، وكان يرأس عدد من الجند بعضهم من الفرسان والبعض الاخر من المشاه ، ومن مهامه الاشراف على تجار الجملة وتجار التجزئة ، والتأكد من بيع وتوفير الحبوب بالسعر الذى تحدده الدولة ، والتأكد من عدم وجود سوق سوداء ومناهضة السوق السوداء ، وازالتها ان وجدت ، ويكتب تقارير الى السلطان عن عمله بصفة مستمرة ، وعن ضبط السوق والعمليات التجارية فيه ، وعن عدم وجود تلاعب في اسعار السلع او تذبذب في السوق ، كذلك يوضح ويراقب الاسعار خارج دهلى وتقاريره من اهم المصادر التى يعتمد عليها السلطان في سياسته نحو السوق ، واذا وجد تناقض بين تقارير مراقب السوق ، وما يجرى فعلاً في السوق ، عوقب المراقب وموظفوه بكل شدة وعنف . لذا فان المراقب في السوق لا يمكنه الاحتفاظ بمنصبه ، والنجاة من العقاب الا اذا باشر عمله بامانة وحزم ، ونفذ التعاليم السلطانية تنفيذاً دقيقاً ، ولا يمكن لمراقب السوق رفع سعر القمح في دواسم الجفاف الا باذن السلطان ، لذا وجب على مراقب السوق ان يكون مهاباً حازماً حتى يجبر التجار على السير وفقاً للتعاليم والمراسم السلطانية (١) .

ومع ان مراقب السوق يرأس كل موظفيه الا انه كان يحق لبعضهم ارسال التقارير مباشرة الى السلطان ومنفصلة عن تقريره ، مثل صاحب البيد الذى يكتب تقاريره عن كميات المحصول او نوعه ، وصاحب الشرطة الذى يتجول في السوق ، ويباشر بطرق سرية ما يجرى فيه (٢) .

ولما كانت هذه التقارير منفصلة ، فقد كان كل موظف بمثابة مراقب على الآخر ، وادى ذلك الى مراعاة كل منهم الدقة في تقريره ، وفي نفس الوقت

(١) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٣١٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

تأدية عمله على الوجه الاكمل حتى لا يتعرض للعقاب والفصل من وظيفته (١) .
وبذلك كفل السلطان للسوق الرقابة الدقيقة والحازمة ، وتبعاً لذلك توفرت
الحبوب في السوق في كل اوقات السنة ، وفي سنوات الرخاء والجذب وباسعار
مناسبة في متناول المستهلك الرقيق الحال .

وسوق القمح هو اهم اسواق دهلي ، يليه في الاهمية سوق القماش ،
ثم سوق الخيل ، وسوق العبيد ، وسوق الحلوى ، وسوق الفواكه وسوق
الاسلحة وسوق الدواب الخ (٢)

ومن ابرز مراقبي سوق القماش ملك يعقوب الذي امتد نفوذه الى
الاسواق الاخرى . على ان تنظيمات هذه الاسواق تشبه تنظيمات سوق
القمح ، وبلغ من ازدياد نفوذ ملك يعقوب انه كان يعين مراقبي الاسواق
في دهلي ويدخل في اختصاصه وظيفة الحسبة . وعلى ذلك فان مهامه كانت
كثيرة وشاقة ، وعليه توقع العقوبات الصارمة لكل المتلاعبين في السوق ،
في الاسعار ، في الموازين والمكاييل ، واخفاء السلع ، والغش . . . الخ . وكلما
كان صارماً في عقابه ، كلما امتثل الناس لاوامره ، وادى ذلك الى انضباط
السوق (٢) .

كان بمدينة دهلي سوق واحد للقماش بالقرب من بوابة بادون ، وحركة
التجارة تسير سيرها العادي في السوق طوال اليوم من الصباح الباكر حتى
اذان العشاء وتنوعت الاقمشة التي تباع في السوق مثل الحريرية والقطنية ،
ولم يكن القماش رخيصاً قبل عهد علاء الدين ، ويرجع الى علاء الدين الفضل
في تخفيض سعر الاقمشة في السوق في دهلي ، واصبحت في متناول المستهلك
الفقر ، واتخذ من الاجراءات ما كفل ورودها الى سوق دهلي من الولايات
المجاورة واعطانا باراني (٣) تقريراً باسعار السلع داخل دهلي ، ويوضح
ان السلطان علاء الدين اخذ في الاعتبار تكاليف الانتاج ، والربح الذي
يتقاضاه تاجر الجملة وتاجر التجزئة ، ولا ترتفع الاسعار في الاوقات العادية ،
وفي ظروف القحط وحرص السلطان على عدم رفع الاسعار ، بل امر بضرب
مراقب السوق ، ملك كابل بالسياط ، حينما اقترح عليه رفع سعر القمح .

على ان تحديد اسعار القماش بسعر رخيص أمر من الصعب التحكم

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

Lal ; op. cit., p. 308.

(٢)

(٣) تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣٢٠ .

فيه مثل القمح والحبوب ، ذلك لان الحبوب يمكن شراؤها بوفرة من الزراع في المناطق المجاورة لدهلي مثل الدواب . اما القماش يأتي من اماكن صنعها بعيدا عن دهلي مثل الملتان وديفاجيري ، وقد لا يتوفر القماش الكافي لدهلي، لذا فان اسعار القماش كان من الصعب تثبيتها مثل القمح ، وترتفع طبقا للعوامل التي ذكرناها . ومع ذلك فقد حرص علاء الدين على الا يحدث ارتفاع شديد في اسعار القماش ، وقدم دعما ماليا لصناع القماش الذين يمدون دهلي بالقماش حتى تباع بسعر معقول في حاضرة دولته .

والقماش يشتريه تجار الجملة من اماكن بعيدة وبسعر مرتفع ، ولا تستطيع الدولة التحكم فيه ، وتكاليف النقل باهظة . فأمر السلطان بتسجيل اسماء تجار الاقمشة في دهلي ولما كان تجار الاقمشة لا يربحون الا ربحا ضئيلا ، فان هذا يدل على ان الدولة تسترد الدعم الذي تقدمه لصناع الاقمشة (١) .

ولما كانت اسعار السلع التي حددها السلطان رخيصة فان بعضها كالحرير كان يباع بربع او بخمس اضعاف سعره في خارج دهلي ، لذا خشي السلطان ان يلجأ التجار الى شرائه من سوق دهلي وبيعه خارجها، وفي ذلك ربح ووفير لهم ، لذا قرر السلطان بان يباع الحرير فقط لمن يرغب في شرائه من الاغنياء والمترفين دون غيرهم ممن يلبسونه فعلا ، ويحصلون على اذن بذلك من ديوان الرئاسة ، وبمقتضى هذا الاذن يسمح لهم بشراء ما يكفيهم منه بسعر الحكومة ، ولا يسمح لغير هؤلاء بشرائه (٢) .

يلي سوق القماش في الاهمية ، سوق الخيل ، وكانت الفروسية اهم وابرز قوى الجيش في العصور الوسطى ، والحصان - عدة الفارس - غالى الثمن ، وكان المغول يعاقبون سارق الحصان بالموت ، وكان راجات الهنود يربحون مبالغ طائلة من تربية الخيول وبيعها ، وقد حدث ارتفاع عالمي في سعر الخيول في العصور الوسطى نتيجة لغزوات المغول المدمرة ، والتي قطعت الطرق التجارية في فارس وبلاد الافغان وبلاد العرب ، وادى ذلك الى عرقلة جلب الخيول الى الهند (٣) .

Lal : op. cit., p. 209.

(١)

(٢) تاريخ باراني ، ص ٣١٦ .

(٣) تاريخ باراني ، ص ٣١١ .

ولما كانت سياسة علاء الدين تناهض كل ارتفاع في سلعة يحتاج اليها الجندي كالقمح والخيول ، فقد حدد ايضا سعر الخيل ، وقسم الحصان اللازم والصالح للخدمة العسكرية الى ثلاث مراتب طبقا لتربيته ونوعه ، كما حدد اسعار الخيول التي لا تصلح للخدمة العسكرية ، والتي تستخدم في النقل وغير ذلك ، واسعارها اقل من اسعار خيول الحرب ، وشدد علاء الدين في مراعاة اوامره وتعاليمه ومنع الوسطاء وسماسة السوق من الدخول بين البائع والمشتري ، الامر الذي يؤدي الى استغلال المستهلك وكل من يضبط من هؤلاء في السوق يعاقب بالسجن لمدد طويلة واعتاد علاء الدين ان يرسل مخبرين من قبله (١) للتفتيش على حركة بيع الخيول في السوق كل ٦ اسابيع او شهرين للتأكد من البيع بالسعر الرسمي الذي حددته الدولة ، ومن عدم وجود سماسة في سوق الخيل . وبذلك امتنع التجار عن البيع بطريق السماسة ، والتزموا بالبيع بالسعر الرسمي ، واستطاع الناس شراء الخيول باسعار منخفضة (٢) .

كذلك نفذت التسعيرة الجبرية في سوق العبيد ، وحدد اسعارها ، فالامة يحدد سعرها طبقا لجمالها وجنسها والعمل المؤهلة لتأديته ، وحدد سعر الفلما ككذلك طبقا للقواعد السابقة . وهذه التنظيمات نفذت في الاسواق الاخرى .

وبذلك نرى ان السلطان علاء الدين كفل سبل المعيشة المبسرة لشعبه بالاجراءات الصارمة التي اتخذها ، وبالمخبرات التي نظمها في السوق ، وان كان ذلك قد قلل من ارباح التجار ، واصدار الاوامر الى ديوان الرئاسة بأن يعين مراقبا للاسواق المختلفة ، يديرها ، ويراقب تنفيذ التسعيرة الجبرية وعدم تلاعب التجار ، ومنع الفش ، وكانت سلطات موظفي السوق كبيرة ، فكانوا يعاقبون التجار المتلاعبين بالضرب ، وكذلك اذا اساءوا الى الناس (٣) .

ويذكر المعاصرون ان الفش كان منتشرًا بين التجار في الهند ، فيبيعون الزجاج على انه ماس ، ويخدعون الناس في الكيل والميزان، ويحاولون البيع بأعلى الاسعار ، ويقوم سماسة السوق باستغلال كل من البائع والمستهلك ،

(١) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣١٥ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٣١٦ .

لذا جاءت سياسة علاء الدين الناجحة في السوق انتصارا للشعب لا يقل اهمية عن الانتصارات التي احرزها في ميادين القتال .

وبلغ من اهتمام السلطان بما يجرى في السوق ، انه نعى الى علمه ان التجار يفشون الاولاد الصغار في الميزان ، فكان يرسل غلمانا من قبله الى مختلف الاسواق ويكلف كلا منهم بشراء سلعة معينة ، ثم يستدعي رئيس ديوان الرئاسة ويأمره بالتأكد من صحة وزن هذه السلع ، فاذا تأكد لديه ان احد التجار تلاعب في الوزن ، يأمر باغلاق حانوته ، وعقابه بكل شدة ، لذا خشي التجار من مغبة الغش ، واتبع كل منهم البيع بالوزن الصحيح ، بل بلغ الخوف ببعضهم انهم كانوا يزنون اكثر من المطلوب حتى لا يقعوا تحت طائلة العقاب (١) .

ولكن سياسة علاء الدين اساءت الى التجار فقل ربحهم كثيرا ، ولم يعد احد يرغب في احترام مهنة التجارة ، وعاش التجار في خوف وفزع من العقوبات الصارمة المعرضين لها في كل وقت ، وجاء هذا التخفيض على حساب السلعة وجودتها .

قلنا ان التجار قد ساءت احوالهم نتيجة للاجراءات الاقتصادية المتشددة لعلاء الدين ، كما ان الصناع تخلوا عن اتقان سلعهم بسبب الربح الضئيل ، ولم يكن الزراع احسن حالا من الصناع والتجار ، فسياسة علاء الدين الزراعية يأخذ - كما رأينا - بمقتضاها نصف المحصول من الفلاح ضريبة ، والباقي يبيعه بالسعر الذي تحدده الدولة ، الامر الذي يثقل كاهله ، لان النصف الباقي يدفع جزء منه لتسديد الضرائب الاضافية المفروضة عليه .

وكانت سياسة علاء الدين تهدف الى تيسير سبل المعيشة للجند (٢) ، وان كان ذلك على حساب الزراع والصناع والتجار الذين تعرضوا للفقر المدقع وشغلف العيش من جراء سياسة علاء الدين الاقتصادية ، وقد اختلف المؤرخون حول الدوافع التي دفعت علاء الدين الى اتخاذ هذه الاجراءات فيرى البعض انه يهدف منها الى تيسير سبل المعيشة للشعب ، وعدالة

Lal : op. cit., pp. 215 - 216.

IBID. PP. 217 - 218.

(١)

(٢)

التوزيع ، وتلويب الفوارق بين الطبقات او اشتراكية التوزيع ، الا ان فريقا اخر يعتقد ان علاء الدين يهدف من سياسته الى افقار شعبه حتى تنعدم كلمة تمرد ولا تظهر مراكز قوى تنال من سلطانه الا اننا نعتقد انه يهدف الى تيسير سبل المعيشة للمواطنين عموما .

ويعتقد بارانى (١) ان تخفيض الاسعار كان ضرورة حربية وسياسية لعلاء الدين تهدف بالدرجة الاولى الى اسعاد جيشه ، وان كان الجندي لم يستفد كثيرا من تخفيض الاسعار لان التخفيض للاسعار اقترن بتخفيض المرتبات ، وانطبق ذلك على سائر الموظفين ، لذا نرى ان الزراعة والصناع والتجار والجنود وسائر الموظفين اجهدهم سياسة علاء الدين المالية . وثمة حقيقة اخرى وهى ان التسعيرة الجبرية طبقت في دهلى دون سواها ، وديوان الرئاسة كان يعين مراقب السوق في دهلى فقط ، الامر الذى جعل شراء السلع من دهلى بالسعر الرسمى ، وبيعها خارجها باسعار لا رقابة عليها ، يؤدى ذلك الى ربح وبيع ، رغم ان التجار والصناع كانوا يدونون اسماءهم في ديوان الرئاسة ويجبرون على الاقامة في دهلى ، ولا يحق لهم اعتزال عملهم او الانتقال خارج دهلى ، ويتعهدون بذلك جماعات وفرادى ، وتشدد السلطان على المهريين والمحتكرين (٢) .

وثمة حقيقة اخرى ترتبت على سياسة علاء الدين في تخفيض الاسعار ، وتمثل في وفود الكثير من الناس الى دهلى للاقامة فيها ، والاستفادة من اسعارها الرخيصة ، ومن بينهم شخصيات كبيرة في الولايات ، حتى اصبحت دهلى من امهات المدن العالمية ومن اكبر الحواضر الاسلامية واعظمها ، وضم هؤلاء الوافدون ، الكثير من المثقفين والصناع المهرة واعد السلطان الجيش خير اعداد ، وان كان ذلك على حساب تدهور الزراعة والصناعة والتجارة ، وقاسي الزراعة خارج دهلى من هذه السياسة ، اذ يجبرون على بيع محاصيلهم بالسعر الرسمى ، وبحكم اقامتهم خارج دهلى لا يستفيدون من رخص الاسعار في العاصمة (٣) .

على ان سياسة التسعيرة الجبرية لم تطبق فقط الا في عهد علاء الدين فلما ولى قطب الدين اهمل مراقبة السوق ، فعادت الاسعار الى الارتفاع ، وعاد التجار الى التلاعب بها ، وهاجر من دهلى الكثير من الناس لانها لم تعد افضل من غيرها في المعيشة .

(١) تاريخ بارانى : ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٢) تاريخ فرشته ، ص ١١٢ .

(٣) تاريخ بارانى ، ص ٣٠٤ .

التجارة الخارجية

واما عن التجارة الخارجية فقد حدثنا ابن بطوطة عن مدن الهند التجارية واقبال التجار من خارج الهند اليها للتجارة ، ففي الطريق الى الملتان - قاعدة اقليم السند ، ومسكن امير امرائه - على مسافة عشرة اميال الوادى المعروف منها - خسروآباد - وهو من الاودية الكبار ، المزدهر بالتجارة والتبادل التجارى ، وبه تفتش امتعة المجتازين ويؤخذ الربع من كل تاجر ، وعلى كل فرس سبعة دنائير ، وظل الامر كذلك حتى رفع السلطان محمد بن تغلق تلك المعارم ، وامر الا يؤخذ من الناس الا الزكاة والعشر (١) . وكانت مدينة هنور بالقرب منها مرسى للمراكب الكبار (٢) وكان التجار المسلمون يشيدون المساجد بالبلاد التى يحلون بها .

ومن اهم المدن التجارية دولت آباد (٣) ، واكثر تجارتها في الجوهر واموالها طائلة . وازدهرت التجارة كذلك في الملبار ، واذا اراد حاكمها منع الناس من التجارة والبيع والشراء ، امر بعض غلمانه فعلق على الحوائث بعض اغصان الاشجار ولا يبيع احد ولا يشتري ما دامت تلك الاغصان (٤) .

واما مدينة منجورور (٥) من الملبار وينزل بها معظم تجار فارس واليمن للتجارة، بينما يتوافد التجار من الصين بمراكب كبار على مدينة دهلي، ويقصد مدينة قالقوط اهل الصين وسيلان والجاوه واليمن وفارس للتجارة ، ويجتمع بها تجار الافاق (٦) .

وضع ابو القاسم بن خردازبه في كتابه المسالك والممالك دليلا للمسافرين وصف فيه الطريق البحرى الذى يبدأ من مصب نهر دجلة عند الابله ويصل الى بلاد الهند والصين وكانت المراكب الاسلامية تسير بمحازاة ساحل الخليج العربى وساحل الهند حتى ملبار ، وقد اشرنا الى ازدهار التجارة

-
- (١) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٨ .
 - (٢) المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
 - (٣) المصدر السابق ، ص ١٠٦ .
 - (٤) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .
 - (٥) المصدر السابق ، ص ١١٣ .
 - (٦) المصدر السابق ، ص ١١٥ .

في مدن السند مثل الديبل والملتان ، حيث كانت السفن تذهب الى الهند ، وتعود محملة بمنتجاتها من التوابل والمنسوجات والمعادن ، وكانت قوافل البنجاب ، تنقل البضائع من الاقليم الى بلاد الافغان (١) .

وقد ازدحم المحيط الهندي بتجار آسيا وخصوصا العرب ، الذين تعددت رحلاتهم التجارية الى جنوب الهند وسيلان ، وانشأ العرب محطات تجارية في قاليقوت وساحل الملبار وملقا ، وقد لعب تجار العرب دورا كبيرا في تبادل السلع بين الهند وأوربا ، وذلك بفضل نشاطهم التجاري في الخليج العربي البحر الاحمر والمحيط الهندي ، وكانت السفن الهندية تصل الى شرقى القارة الافريقية والى ساحل بلاد العرب (٢) .

ويذكر لبيروني (٣) ان كشمير كانت تغلق ابوابها امام التجار الاجانب ولا تسمح الا لنفر قليل من تجار اليهود بالتجارة معها نظرا لنشاطهم في تجارة العملة .

وكان التجار اليهود الذين يأتون من مقاطعة بروفانس بفرنسا يسافرون بين الشرق والغرب ، ويحملون من اوربا الخدم والقلمان والجواري والديباج والخز والفراء ، ويركبون الى القرما ، ويحملون تجارتهم الى القلزم ، ثم يبحرون في البحر الاحمر الى جدة ، ثم يمضون الى السند والهند والصين ، وتبادلون التجارة مع هذه البلاد (٤) .

(د) - الادارة المالية

ازدادت نفقات سلطنة دهلي بسبب حروبها الكثيرة وحاجتها الى تكوين جيش قوى ، وتجهيزه بالاسلحة والمعدات الكافية ، وضم المزيد من البلدان الهندية الى سلطنة دهلي والدفاع عنها ضد الاخطار الخارجية ، خصوصا الغزو المغولي لذا وجب على سلطان دهلي ضمان الموارد المالية الكافية ، لتغطية نفقات الدولة ، ومن ابرزها النفقات العسكرية . ولم يجد سلاطين دهلي امثال قطب الدين ابيك وجلال الدين خلجي حلا لهذه المشكلة العويصة ، وتصدى لها علاء الدين .

Heyd : Histoire de Commerce. 1. p. 36. (١)

IBID. (٢)

(٣) تاريخ الهند ، ص ٢٠٦ .

(٤) آدم منز - الحضارة الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٣٦٥ .

انقسمت الاراضي الزراعية في سلطنة دهلي الى قسمين قسم يتبع سلطنة دهلي مباشرة ، ويتبع ديوان الوزارة ، ويقوم الوزير بواسطة مساعديه من الموظفين الماليين بجمع الضرائب المفروضة على هذه الارض (١) ، والقسم الثانى هو ارض الاقطاع التى تتبع الولاة ، ويتولى الوالى الى جمع ريعها، واخذ نصيبه في الارض لنفسه ، ويرسل الباقي الى الخزانة المركزية في دهلي (٢) ، وجدير بالذكر ان هؤلاء الولاة قد اقطعهم السلطان هذه الولايات .

ويعتمد هذا النظام على ان يدفع المقطع جزءا من ريع الارض الى المقطع وهذه النسبة عادة ثلث انتاج الارض ، وهذه الطريقة في جمع الضرائب تسمى نظام المقاسمة ، ويقوم بجمع حصة الحكومة من المحصول احد الموظفين ، عينا او نقدا ، وتودع الكميات التى تجمع في خزانة الدولة المركزية، ويحصل على براءة بذلك .

والغى علاء الدين ارض الوقف التى اعتاد ان يوقفها السلاطين والملوك لكبار رجال الدولة من النبلاء ومن في حكمهم ، وكانت هذه الارض معفاة من الضرائب واعتمد هؤلاء المحظوظين على هذه الارض في حياتهم المعيشية ، وانتعشوا وارتفع شأنهم ، وحاول بلبن تقليد اظافرهم ، لكن الخانات والملوك اقنعوه بعدم التعرض لهم ، ومع ذلك فقد الغى هذا السلطان بعض امتيازاتهم نفوذهم في ادارة سياسة الدولة (٣) . ولما ولى علاء الدين كان يمنح من يشق فيه من رجال الدولة هؤلاء الاقطاعات الواسعة .

وفي سنة ١٣٠١ (٤) اتخذ السلطان علاء الدين قرارا جريئا وهو تأميم الاراضي الزراعية بمعنى ان جميع الاراضي التى هى ملك للافراد او وقفا لهم او هبة ، تؤول هذه الاراضي الى الدولة ويتضح من كلام بارانى ان النبلاء كانوا لا يمتلكون ارضا ، لان علاء الدين قد امر بمنح النبلاء الذين لا يمتلكون ارضا قدرا معيناً من القمح في اوقات العسر ، وفضل السلطان مصادرة اراضي الاوقاف ، والدفع نقدا للموظفين ، ولقد استرد السلطان معظم اراضي الوقف فعلا ان لم يكن كلها واراضي الهبة او التوكيل استردت كذلك وكان على الموكلين ان يبحثوا عن وسيلة اخرى لكسب قوتهم (٥) .

Qureshi : Administration of the Sultanate of Delhi. p. 103 (١)

Moreland. op. cit., p. 27.

(٢)

(٣) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٠٨ .

Qureshi : op. cit., p. 119.

(٤)

(٥) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٨٣ .

كذلك أمر علاء الدين جباة الضرائب بأن يأخذوا الناس بكل شدة لحملهم على دفع الضرائب في مواعييدها ، وانذر بمعاقبة كل من يتهرب من اداء الضرائب بكل قسوة ، وكانت الضرائب باهظة ، وضاق الناس ذرعا بها ، حتى ان الاغنياء فقرهم هذا العبء الشديد ، وادى سوء احوال الناس المالية ، وقهر علاء الدين لهم معيشيا وماليا الى عدم التفكير في التمرد .

ولم يكتف لسلطان بالفناء الوقف ، بل تعرض لاراضي الاقطاع التي اقطعت للهنود والنبلاء في عصور سابقة واثروا منها ثراء عريضا واصبحوا بسبب هذه الثروات اصحاب نفوذ كبير ، مكنهم من ان يصيروا من عناصر القلق والاضطراب والتمرد ، لذا رأى علاء الدين ضرورة الغاء الاقطاعات حتى يأمن على ملكه ودولته ، وكان اصحاب الاقطاعات من الهنود قد ازداد واغنى ، وادى ذلك الى ارتفاع شأنهم وكثرة انصارهم ، الامر الذي قد يؤدي الى حدوث حركات تمرد ضده ، وكان اصحاب الاقطاعات لا يكتفون بجمع الضرائب المقررة للدولة ، والمقررة شرعا كالجزية والخراج ، وانما كانوا يجمعون ضرائب اضافية لانفسهم ، الامر الذي اثقل كاهل الاهلين (١) ، وكانوا لا يكثرثون بتعليمات الوزير ورؤساء الدواوين والمكلفين بجمع اموال الدولة ، لذا قرر علاء الدين تحديد نفوذ هؤلاء الملاك ، ورأى ان ذلك لا يتم الا بتحديد ثراوتهم ودخولهم ، فرأى ان نظام الضرائب القائم - وهو ضريبة بنسبة المحصول - يؤدي الى ابقاء فائض كبير من المال والثروة لهم ، لذا قرر اعادة النظر في هذا النظام بحيث يفرض اكبر قدر من الضرائب على الملاك ، فيحدد من ثراوتهم كما حدد من ثروات النبلاء ، وبالتالي يضعف نفوذهم ، ولا يركبون الخيول ولا يلبسون الديباج ، ولا يظهرون بمظهر الترف والنعيم الذي تعودوا عليه (٢) .

حددت الدولة ضريبة الخراج بنسبة ٥٠٪ على المحصول بدلا من النظام الذي كان معمولا به من قبل ، وهو نظام الضريبة بنسبة المحصول . وهذا التقدير بالنسبة للاراضي الزراعية التي يمتلكها الاغنياء والفقراء على السواء . وقد اضر هذا النظام كثيرا بأغنياء الهنود ، لانهم يقدمون نصف المحصول للخزينة المركزية ، ومن النصف الآخر يؤدون الضرائب المتنوعة الاخرى ، ولا يبقى لهم الا قدرا ضئيلا من المال لا يكاد يكفيهم ، وباعوا ما في بيوتهم من

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

Lal : op. cit., pp. 180 - 181.

(٢)

ذهب وفضه ، وعاشوا في شظف من العيش وبلغ بهم الفقر حدا جعل نساءهم يعملن في بيوت المسلمين الاغنياء نظير اجر (١) .

وهذا القدر من الضرائب مرتفع جدا اذا قورن بالعهود السابقة ، ففي ظل الحكم الهندي كانت الضريبة على المحصول تتراوح ما بين ١ الى ٦٠ أو ١ الى ٤٠ وفي عهد بلبن والتمش ارتفعت الضريبة حتى صارت ١ الى ٣٠ ، وفي عهد علاء الدين ارتفعت الى النصف ، وهذه الضريبة مرتفعة جدا بالنسبة للملاك والمزارعين (٢) .

والضرائب على الارض كانت تؤخذ عينا ونقدا ، وفي حالة نقص محصول القمح ، كانت الضريبة تؤخذ عينا في حالة قلة الغلال في الدولة ، ولم يكف علاء الدين بذلك بل فرض ضرائب على المنازل والكلا المباح ، وكل منتجات الحيوان (٣) .

يضاف الى ذلك ضرائب اخرى على السلع التجارية ، والجزية التي تفرض على اهل الذمة طبقا لقدراتهم المالية ، وكانت تجبى قدر الطاقة ، لذا قسم اهل الذمة الى ثلاث فئات ، اغنياء ومتوسطين ، ودون المتوسط ، وكل فئة تدفع قدرا معيناً ، وتعتبر الجزية من اهم موارد الدخل ، وهناك ضريبة اخرى تسمى الجزية ايضا تفرض على الامراء الراجبوتيين التابعين لسلطنة دهلي ، وهي امارات غير اسلامية (٤) .

ومن الطبيعي والمنتظر ايضا ان يكون دخل الجزية كبيرا مادام عدد غير المسلمين كبيرا ، وتأخذ في النقصان بتزايد دخول غير المسلمين في الاسلام وتؤثر بذلك في ميزانية الدولة ، وكان بعض السلاطين مثل فيروز تغلق يحرص على هداية الناس الى الاسلام على الرغم من ان ذلك يؤدي الى نقص ميزانية الدولة من ضريبة الجزية .

شجع السلطان فيروز شاه الهندوس على اعتناق الاسلام واعلن اعفاء كل من يدخل في الاسلام من الضرائب ، ولا يبقى عليه سوى الضرائب الشرعية فقط ، فأقبل عليه الهنود من كل صوب وحدث ، ودخلوا في الاسلام ، اما البراهمة فقد اغضبهم تقريره الضرائب عليهم ، شأنهم في ذلك شأن المواطنين العاديين ، فاجتمعوا حول القصر ، واصلوا انهم يصومون حتى الموت ، فنظر السلطان في طلبهم ، وخفف عنهم وانذرهم بالموت ان تعرضوا لهندوسي يعتنق الاسلام (٥) .

Munshi : op. cit. P 183

(١)

IBID. p. 182.

(٢)

(٤) تاريخ باراني ، ص ٣٠٣ .

(٣) تاريخ فرشته ، ص ١٠٩ .

Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India. p. 234.

(٥)

ومما يجدر ذكره أن بلبن وعلاء الدين ومحمد بن تغلق ، كانوا يحرصون على زيادة موارد الدولة ، فلم يشجعوا دخول غير المسلمين في الاسلام حتى لا يؤدي ذلك الى نقص موارد الدولة ، الامر الذي اثار عليهم رجال الدين والمتمسكين بتعاليمه (١) .

واما الغنائم فتقضي القاعدة الشرعية بأن تؤول خمسها الى الدولة ، والاربعة اخماس توزع بين الجنود . على ان السلطان علاء الدين لم يلتزم بتطبيق هذه القاعدة ، ففي عهده زادت الموارد المالية للدولة من الغنائم لكثرة الحروب ولما كان علاء الدين لا يرغب في اغداق الاموال على رجاله ، لان ثرائهم - في رايه - يدفعهم الى التمرد ، تراه يخالف القاعدة الشرعية في تقسيم الغنائم ، ويأخذ منها $\frac{1}{5}$ ، ويودعها في خزانة الدولة ، ويوزع الخمس فقط على المحاربين .

واما ضريبة الزكاة ، فتفرض على المسلم فقط .

والمعروف ان الزكاة من اركان الاسلام ، وتجبى من المسلم الذي يزيد دخله في السنة عن قدر معين حدده المشرع ، وتنفق على المحتاجين ، وهم الفقراء والمساكين والعاملين عليها واولئفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين (٢) .

وفي سبيل الله وابن السبيل .

ولتنظيم العملية الضرائبية كان السلطان يصدر قراراته فيما يتعلق بنظام الضرائب وجبايتها الى الوزير ويقوم الوزير بدوره بتنفيذها (٣) .

حرص السلطان علاء الدين على ضمان عدم تهرب الناس من الضرائب ، فأسس لذلك ديوان المستخرج او الاستيفاء . ومهمة هذا الديوان النظر في الضرائب المقررة ، وتأجيل ما يراه منها . ورفع او خفض او اعفاء ما يراه ، ومعاينة المتهربين من الضرائب ، واحداث السلطان علاء الدين بعض التعديلات في نظام الضرائب بحيث تؤدي الى تحقيق سياسته الرامية الى زيادة موارد الدولة ، وامر برفع مرتبات موظفي الضرائب حتى لا يتقاضون رشوة مقابل التفاضى عن جمع بعض الضرائب . وفي نفس الوقت لم يأل السلطان علاء

Lal : op. cit., pp. 185 - 186.

(١)

Majumdar : op. cit., p. 210.

(٢)

IBID. PP. 211 - 212.

(٣)

الدين جهدا في سبيل عقاب كل موظف يتلاعب في جمع الضرائب (١) .

ويبدو ان العقوبات كانت قاسية جدا حتى اننا نسمع انه طلب من نائبه غازي مغيث فصل آلاف الكتبة وجامعي الضرائب عن وظائفهم ، وجردهم من اموالهم وعذبهم عذابا شديدا . وبذلك حرص جامعو الضرائب على تأدية واجبهم بأمانة ونزاهة واخلاص حتى لا يتعرضوا لبطش السلطان . ويقال انه اودع خمسمائة من موظفي الضرائب في السجنون بتهم مختلفة . وبذلك ضمن علاء الدين طهارة وتقاوة جهازه الضرائبي وعاش موظفو الضرائب في رعب خوفا من عقوبات السلطان الصارمة . ولم يعد الناس يقبلون على هذه الوظائف خوفا مما قد يتعرضون له من عقاب ، بل لم يعد احد يرغب في ان يزوج ابنته لاحد من هؤلاء الموظفين ، لانهم معرضون لخطر العقاب .

والجدير بالذكر هنا ان علاء الدين الغي امتيازات ملاك الاراضي ، واثقل كاهلهم بها حتى تحولوا الى طبقة رقيقة الحال ، يلتمسون العيش بشق الانفس واذا اضطروا باعوا ما في بيوتهم من تحف او جواهر (٢) ، والفلاح يدفع للحكومة ٥٪ من محصول الارض والنصف المتبقى يدفع منه الجزية والضريبة على المنزل وضريبة الكلا وتضطره الحكومة الى بيع فائض الحبوب لها لسد العجز في خزائن الحبوب التي امر السلطان بنائها في ادارة السوق (٣) . والحقيقة ان سياسة علاء الدين نحو الفلاح اتسمت بالقسوة ، وقد عمد - كما رأينا - الى افقار ملاك الاراضي ، حتى لا يحدث احد منهم نفسه بالتمرد على النظام القائم . وحذا غياث الدين تغلق حذو علاء الدين . وبذلك نرى ان سياسة النخليين والتغالقة نحو الفلاح كانت ظالمة جائزة ، ارهقت الفلاح ، واوجدت عنده شعورا بالمرارة صرفه عن بذل الجهود لزيادة انتاج الارض الذي لا يعود اليه منه الا النزر اليسير ، وربما هذا القدر الضئيل لا يكفي متطلباته المعيشية . وبذلك فشل اسلوب تضيق الحياة المعيشية على جماهير سلطنة دهلي في العصور الوسطى .

ولما ولى فيروز شاه السلطنة خفف عن الفلاحين عيب الضرائب ، وعنى بتيسير سبل المعيشة لهم ، فعاشوا في رخاء وامتلات بيوتهم قمحا ، وارتفع مستواهم المعيشي فحسن اثاث بيوتهم ، ولبست زوجاتهم الحلى . وانعدمت شكواهم بعد ان كفل لهم السلطان الحياة الحرة الكريمة (٤) .

(١) تاريخ باراني ، ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) تاريخ باراني ، ص ٢٨٩ .

(٣) باراني : تاريخ فيروز شاهي ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India. p. 237.

٣ - المظاهر الاجتماعية في سلطنة دهلي

١ - طبقات المجتمع :

تعددت الاجناس في بلاد الهند ، وتنوعت اللغات والاديان وتعرضت الهند في تاريخها الطويل لغزوات كثيرة جلبت لها هجرات من شعوب مختلفة، واندمجت هذه الشعوب مع السكان الاصليين ، وانقسم سكان الهند الذين يعرفون بالهندوس الى اربعة عناصر ، العنصر الاسود والعنصر الاصفر ، والعنصر التوراني والعنصر الآري .

والاريون اكثر العناصر تأثيرا في شعوب الهند ، اقاموا في بادىء الامر في وادى السند ، واوغلوا تدريجيا في داخل الهند ، ودخلوا الدكن في آخر الامر ، واندحر امامهم السكان الاصليون ، كما اندحروا امام الصفر ، حتى اضطروا الى الاعتصام بمناطق الدكن الوسطى الجبلية ذات الاجام والغابات (١) .

ودخل العنصر الآري الابيض وادى السند ، وقهر العناصر التورانية، واوغل في غرب الهند وجنوبها .

والخلاصة ان الجاليات الاجنبية في الهند ثلاثة ، الاولى وهى اكثرها عددا قدموا عبر حدود الهند الشمالية الغربية ، واستقروا بصفة خاصة في السند والبنجاب والثانية بقايا المحاربين المسلمين الذين اقاموا بكثرة في اعالي الهند ، وبدرجة اقل بكثير في هضبة الدكن ، والطبقة الثالثة والاخيرة، هم هؤلاء الذين استوطنوا الساحل الغربى ، ولا يبعد ان يكونوا من اصل عربى ، ولقد جاء الذين اسسوا هذه المستعمرات الى بلاد الهند عن طريق البحر. ولكن هؤلاء الاقوام الذين وفدوا على الهند واستقروا فيها معظمهم استقر في البنجاب وما يجاورها (٢) .

(١) لوبون : حضارة الهند ، ص ١٠٥ .

(٢) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٨٦ .

وتؤلف العناصر التورانية معظم سكان البنجاب ، ويقوم الراجبوت في الراجبوتانا - وهم من العناصر الآرية - أما أهل الكجرات فهم مزيج من مختلف العناصر ، وأن العنصر التوراني هو الغالب على هذه العناصر .

والعناصر التي وفدت إلى الهند فضلت - في الغالب - الإقامة في وادي الكنج وساد العنصر الآري إلى الغرب من أوديه والاصفر إلى الشرق من البنغال ، وتقع بين هاتين الولايتين ولاية بهار التي تختلف عنهما وضعا ومنظرا وسكانا ، ويقطن في هماليا المشرفة على البنجاب في الأودية المنحدرة إلى البنجاب جماعات من التبت (١) .

واستقر في بلاد الهند كذلك عناصر من العرب والترك والفرس والافغان ، والعرب جاوزوا بحر عمان للتجارة وانشأوا المستودعات وسيطروا على بعض البلاد الهندية في السواحل الغربية نحو مصب نهر السند (٢) . أما العناصر الأخرى التي أشرنا إليها ، فقد وفدت إلى بلاد الهند فاتحة من الشمال الغربي ، منذ عهد السلطان سبكتكين الفزنوي .

ويجدر بنا أن نشير إلى الراجبوت لما لهم من أهمية كبيرة في بلاد الهند والراجبوت أقدم طبقة أشراف في العالم ولهم تاريخ قديم موغل في القدم ، ويكتنفه الغموض ، وهم فرسان على قدر كبير من الشجاعة والمهارة العسكرية وقد قاوموا المسلمين بنجاح وعناد ، والراجبات يسكنون في حصون وبروج مشيدة ، ويحكم الراجا حصنه الحصين ويقطع الأفراد الخاضعين له الاقطاعات الداخلة في دائرته ، ويلزم بأداء الخدمة العسكرية لسيدته ، ويدفع الزراع التابعين للراجا في اوقات معينة قدرا من المحصول ويسخرهم الراجا .

وزعم الراجبوت أنهم من سلالة الملوك والحكام القدامى الذين ورد ذكرهم في الاساطير الهندية ، واعتبروا أنفسهم اشراف البلاد وسادتها ،

(١) لوبون : حضارة الهند ، ص ١٢٥ وما

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

وشيدوا المعابد على الطريقة البرهمية ، وحصنوا مدنهم بالاسوار والقلاع .
واهتموا بالحياة الادبية ، وقربوا اليهم الشعراء والعلماء خصوصا علماء
الانساب ، والراجا يتقدم عادة رجاله في الحروب ، ويدير المعركة بنفسه ،
وامتلات حياتهم بالحروب ، حتى انهم حرصوا على تنشئة ابنائهم نشأة
عسكرية ، وتدريبهم على اساليب الفروسية ، وتدریس سير الأبطال على
اعتبار انهم المثل الاعلى لكل راجوتينى ويعلمونهم كذلك احترام النساء
والعفوعن الضعيف والمغلوب ، ونصرة المظلوم ، وان يجير من استجاره . وتنتشر
بين الراجوت قصص الأبطال والفرسان والصيد والمبارزة والمصارعة ،
وادت هذه التنشئة العسكرية الى شغفهم بالحروب واستهانتهم بالموت ،
وتركوا الأعمال اليدوية من زراعة وصناعة ونحوها الى الاهلين التابعين
لهم .

تنوعت الديانات في الهند - كما رأينا - ويجمعها حين فتحها المسلمون
اسم البرهمية الجديدة او الهندوسية المشترك وتميل كلها الى التوحيد ،
وتشتمل على الوفاء للآلهة وعلى اصنام حجرية وخشبية ، وتشتمل على
عقائد فلسفية متنوعة . وتقوم في مجموعها على الآلهة البرهمية القديمة
المؤلفة من قوى الطبيعة التى الهتها كتب الوبدا وشخصها البراهمة ، ولقد
تأثرت البرهمية بديانة سابقا لها هى البدهية في تسرب روحها ذات المحبة
والرافة في كل مكان ، وكل ديانات الهند توضح بجلاء كيفية تصور الهنود
للعالم وميل الروح الى التوحيد وميل الخيال الى الاشرار والتسامح
المطلق والاخاء بين العقائد المتناقضة .

المرأة وأثرها في المجتمع

تمتعت المرأة في سلطنة دهلى بقدر كبير من الحرية ، اتاح لها ممارسة
نشاطها ، واظهار مواهبها ، بل تربع على عرش دهلى امرأة هى السلطانة
رضية ، وقد دربها أبوها السلطان التمش على ادارة الدولة ، وعهد اليها
من بعده واحببت كل المؤامرات التى دبرت لخلعها ، وتزيت بزى الرجال ،
وقادت الجيوش بنفسها ، راكبة الفيل ، وبرز في دهلى ايضا شاه ترکان -

والدة السلطان فيروز - وحكمت البلاد لان ابنها لم يستطع مباشرة شؤون الحكم والسياسة . وسارت سيرة سيئة ولذلك لم تستمر في السلطة (1) .

كذلك لعبت زوجة علاء الدين ووالدتها زوجة السلطان جلال الدين خلجي دورا كبيرا في الخلاف الذي نشب بين السلطان وابن اخيه ، ولما دبر علاء الدين قتل عمه جلال الدين تحصنت زوجة السلطان القليل في دهلي ، واعلنت تولية ابنها ركن الدين ابراهيم ، ولكن علاء الدين احتفظ بمحاولتها ، وولى السلطنة .

والمرأة الهندية تحب الانتظام في سلك الحياة العائلية واذا ما بلغت الفتاه مرحلة الزواج ، تعقد حفلا للخطوبة وتدعو اليه الشبان ، وتخلص المرأة الهندية لزوجها كل الاخلاص حتى انها تحرق نفسها اذا مات زوجها ولم يترك ولدا ، وتعتبر حياتها بعد زوجها عذابا لا يطاق ، وقد ابطل السلطان فيروز شاه التغلقى هذه العادة السيئة .

وبلغ من وقاء المرأة الهندية لعائلتها ووطنها عموما انها كانت تفضل الموت على الوقوع في ايدي العدو ، بل احرق النساء انفسهن عندما سقطت شيتور في ايدي السلطان علاء الدين خلجي حتى لا يقعن في اسر اعدائهن واحرقت نساء الهناذكة انفسهن في اثناء هجوم تيمورلنك على دهلي .

وقد اهتم السلطان فيروز شاه التغلقى برعاية الضعفاء من النساء ، فأنشأ ديوانا للخيرات ، يقوم بتجهيز الفتيات الفقيرات للزواج .

الرقيق

انتشر الرقيق في سلطنة دهلي انتشارا واسعا بسبب كثرة الحروب ، واستخدموا في الجندية وفي الاعمال اليدوية كالزراعة والصناعة والتجارة

Munshi : 'The struggle for Empire. p. 180.

(1)

او الخدمة في البيوت والدور وتدرج بعضهم في سلك الجندية حتى بلغ منصب السلطنة ، فكان قطب الدين ابيك اول سلاطين المماليك في الهند ، مملوكا عند سيده شهاب الدين ، وظهرت شجاعته حتى ولاه قيادة جيوشه ، ثم استتابه في اقليم الهند التابع لدولة الغور ، ولما سقطت الدولة الغورية وولى السلطنة ، وخلفه سلاطين المماليك في الهند وحرص سلاطين دهلي على ~~الجزء~~ المماليك والاعتماد عليهم في الجندية ، ومن تدرج في سلك الجندية كافور ، وكان عبدا حبشيا قديرا جلبه القائد نصرت خان الى سيده ، واحرز الكثير من الانتصارات في المعارك التي قادها لعلاء الدين ، وكان علاء الدين يؤثر كافور بالمشورة ، بل وقع تحت تأثيره ، ولما توفي علاء الدين ، اجلس كافور - اصغر ابنائه على العرش تحت وصايته حتى ينفرد هو بالسلطة والحكم في البلاد ، وانشاء كافور السيرة ، ونكل بكل من اعترض طريقه ، ولكن مماليك علاء الدين قبضوا عليه ، وقتلوه واسندوا السلطنة الى مبارك خان .

ولقد حث الاسلام المسلمين على عتق العبيد والعمل على تحريرهم . قال تعالى : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما مالكت ايما نكم ، ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ، (١) وللعنق اسباب كثيرة اهمها في الاسلام اظهار العبد للتقوى او دخوله في الاسلام او فداء عن يمين او وفاء ينذر او التماسا للشواب او شكرا لله على نعمه (٢) . ولقد حرص سلاطين دهلي وامراؤها على عتق العبيد في العيدين تقريبا الى الله .

وكان الارقاء يختلفون في اجناسهم واشكالهم والدانهم ولم كونوا جميعا من اسرى الحروب ، بل كان بعضهم يشتري من اسواق النخاسة .

(١) سورة النساء .

(٢) المنذرى : الترضيب والترهيب ، ج ٣ ، ص ٦١ - ٦٣ .

ومن ابرز الاعمال التى قام بها الجوارى ، الغناء ، واسعارهن مرتفعة وبلغ بعضهن شأنا كبيرا في قصور السلاطين والامراء .

وكان سلطان دهلى وامراء المملكة يتبادلون الهدايا ومن بينها الممالك ، واذا وفد زائر على احدهم يقدم له هدية من الممالك ، وينعم السلطان على كبار رجال دولته في العيدين بهدايا من الرقيق .

(ب) الموسيقى والغناء والمجالس الاجتماعية :

اهتم اهل الهند بالموسيقى منذ فجر تاريخهم ، وتطور فن الموسيقى بفضل تشجيع ملوك الهند القدامى ، وظهر موسيقيون اكفاء باعداد كبيرة ، وعرف الهنود النوتة الموسيقية ، واستخدموها في فنهم ، والمعروف ان اول من عرف النوتة الموسيقية اهل الهند ، وتقلت الى اوربا في القرن الحادى عشر وتنوعت الآلات الموسيقية عندهم (١) .

ولم يكن سلاطين الترك في دهلى اقل اهتماما بالموسيقى من اسلافهم بل شغفوا بها ، وشجعوا الموسيقيين ، وكان الامير محمد ابن السلطان بلبن تلميذا لرائد الموسيقى في الهند ، امير خسرو ، وجدد الالحن الموسيقية في الهند وطورها واصبحت الموسيقى في سلطنة دهلى من الامور التى لا غنى للافراد عنها في حياتهم اليومية ، واقبل الناس بشغف على سماع الموسيقى وتعلم الالحن ، ويذكر بارانى (٢) . ان السلطان جلال الدين خلجى كان يحب الموسيقى ، وضم بلاطه عددا من الموسيقيين . وذكر اسم محمد شاه شانجى اللاعب على الشانجى Chang وفاتوحا ونصرت خاتون ومهرا فروز كانوا اشهر وامهر عازفين في بلاط السلطان ، ويتحدث بارانى عن جمال اصواتهم حتى انه يقول ان الطيور كانت تهبط من الجو لسماع اغانيهم العذبة وربما يخرج الانسان عن طوره ، وكان خسرو يغنى بمدح الملك ، ومحمد شاه يغنى للسلطان بالاغاني التى يعشقها ويهوى سماعها .

وكان السلطان علاء الدين خلجى يحب الاستماع الى الموسيقى ايضا ، واعطانا امير خسرو بيانامفصلا عن الموسيقيين في عهده ، وتحدث عن الآلات الموسيقية

Lal : Hist. of the Khaljis. p. 335.

(١)

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شاهى ، ص ١٣٠ .

انتي استخدمت وتنوعها واستخدامها ، ومن اشهر الموسيقيين محمد شاه خليفة حسين واخلاق وترماتي خاتون ، وغنى هؤلاء وغيرهم في قصر علاء الدين . وكانت ترماتي خانون موسيقية وفنانة عظيمة ، تفوقت على مثيلاتها من الفنانات الفرس والهنود في عهد علاء الدين . ومن الآلات الموسيقية الشانج والدف والربابة والزمارة والناي والارغول (١) .

وبلغ من محبة علاء الدين للموسيقى ، وتقديره العميق للموسقيين انه بعد ان سقطت سريرا نجم في ايدي نائبه ملك كافور وفد على علاء الدين فرقة من الموسيقيين من جنوب الهند واسعدوا السلطان بالحنانهم واغانيهم ، فرد اليهم صنمهم .

وبرز في جنوب الهند فنان كبير يسمى كوباك Nayak وقدر عدد تلاميذه بألف ومائتي موسيقى ، وزار كوباك دهلي ، ورتب أمير خسرو كبير موسيقى علاء الدين اجتماعا بينه وبين السلطان ، وانشد الحانه في بلاط علاء الدين فلاحظ السلطان تفوق الموسيقى الجنوبي على أمير خسرو ، وطلب من كبير موسيقيه الاستماع لكوباك في بلاطه خفية وغنى الموسيقى الجنوبي ، والم أمير خسرو بالحنان ، وغناها بعد ذلك للسلطان (٢) .

ولما كان اهل الطرب والموسيقى والغناء يجدون في دهلي التقدير والعرفان فقد وفدوا اليها من خراسان وبلاد الافغان وغيرها من البلاد الاسلامية ، ولما علم أمير خسرو بمقدم موسيقيين خراسانيين الى دهلي ، عقد معهم مناظرة حضرها كبار موسيقى دهلي ، وانشد كل موسيقى الحانه وقد انتهت الندوة الموسيقية باعتراف الموسيقيين الخراسانيين بتفوق الموسيقى الهندية على ما سواها ، والتي تدخل السرور « ليس فقط للانسان ولكن للحيوانات والطيور أيضا » (٣) .

ولم يكن أمير خسرو - أشهر موسيقى في عصره - مجرد موسيقى فقط بل كان مؤلفا للحان ومخترعا لآلات موسيقية ومغنيارئا ، ومن مقطوعاته الموسيقية ايمان ، عشاق ، موفق ، غنام ، فرغانه . . . الخ . وهذه المجموعة من أروع واشهر النماذج الفارسية والهندية ، كما ابتدع أمير خسرو أسلوبا دقيقا وجديدا في الغناء يسمى خيال ، فتنغم اولا القطعة الموسيقية بسرعة

Lal : Hist. of the Khaljis pp. 335.

(١)

Munshi : op. cit., p. 271.

(٢)

IBID p, 271.

(٣)

معنية ثم تضاعف السرعة ، ثم تضاعف اربع مرات وهكذا ، والخيال لخسرو يتكون من الالب Alap الذي يغنى ببطيء في النوت الموسيقية للراجا ثم يليه التاناس Tanas الذي يكرر بأنغام سريعة .

وموسيقى الخيال محبوبة جدا في بلاد الهند حتى ايامنا هذه ووضع امير خسرو موسيقى تارانا Tarana بالاضافة الى موسيقى خيال ، وتعرف الى يومنا هذا ، وهي تخدم نفس الغرض في الموسيقى الصوتية ، وقد قدرها المعاصرون حق قدرها (١) .

وكتب خسرو كتابا عن فن الموسيقى والالحن الموسيقية واغانيه التي ذاعت وانتشرت في الآفاق تظهر براعته وابداعه وتفوقه في الموسيقى والغناء ، وصنف في علم الموسيقى باللغتين الفارسية والهندية ، وقيل ان مؤلفات خسرو الموسيقية لو جمعت لكونت موسوعات تضارع موسوعاته الشعرية (٢) .

ولم تزدهر الموسيقى والغناء ، في بلاط سلطان دهلي وقصور الراجات وكبار رجال الدولة فقط بل راجت بين عامة الناس على اختلاف مستوياتهم . ووجدت طبقة من الناس كانت الموسيقى بالنسبة لهم بمثابة الشعلة التي تخاطب الروح ، والطريق الفعال الى معرفة حقيقة الله .

واعتقد المتصوفون من المسلمين عموما ورجال الدين خصوصا ان الموسيقى المتنفس الهام للحياة . وذكر الشيخ ناصر الدين الشيرازي انه اذا كان هناك ادوية للأمراض الطبيعية فان الموسيقى خير علاج للكرب الشديد . وانقسم رجال الدين على انفسهم حول الاستماع الى الموسيقى ، فحرم ذلك بعضهم ، واجازه البعض الآخر . وكان غازي حميد الدين ناجوري محبا للموسيقى ، بينما عارض سماعها مولانا ركن الدين سمرقندي . وكان الشيخ نظام الدين اوليا شغوبا بالموسيقى ، ولقد قسم الموسيقى من حيث قبولها او رفضها الى اربعة انواع ، النوع الاول حلال ويتغنى به المغنون والمنشدون بذكر الله وفضله ونعمه والثاني مباح لا يتعارض مع أوامر الله ونواهيه كأن يدور حول الظواهر الطبيعية في الكون والطفولة ومصير الانسان وهكذا والثالث مكروه يميل الى المظاهر العاطفية ، والرابع محرم ، ويدور حول الحب والعشق والغزل (٣) .

IBID. p. 272.

Lal. P. 338.

IBID. P. 338.

(١)

(٢)

(٣)

واقبل الهنود على الموسيقى الدينية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر بشغف شديد ، وشارك رجال الدين الشعب في الاستماع الى هذا اللون الموسيقى بل عبر بعضهم عن مشاعرهم الدينية بالانشاد الدينى والرقص . ويذكر بارانى (١) ان الحفلات الموسيقية والفنائية كانت تعقد بكثرة في احياء دهلى ، وبعضها كان يستمر عشرين يوما او شهرا ، وحينما تعزف الموسيقى والالحن الدينية يمتنع الناس عن التصفيق ، ولا تستعمل الادوات الموسيقية ، ويخضع المستمعون لله ، وتتجه أحاسيسهم الى الله ، وينتاب المستمعون شعور روحى عميق ، بضرورة التجرد من الجسد وماديات الحياة وبلوغ الملا الاعلى (٢) .

ولم يكن مبارك شاه اقل من ابيه شغفا بالموسيقى ، واهتم بها ايضا الحكام والولاة ورجال دولته ، واقبلوا على سماعها وشجعوا اهل الفن .

ولكن تغلق شاه وغازى تغلق لم يقيلا على الموسيقى والغناء ، ولم يمنع تغلق شاه عزف الموسيقى في بلاطه فقط ، بل تدخل ايضا في الموشحات الدينية الشيوخ واستدعى تغلق شاه كما يقول فرشته - (٣) نظام الدين اوليا وناقشه في شرعية الاستماع الى الموسيقى ، وانشاد الاغانى ، واقنع الشيخ السلطان بأن الاغانى الدينية ليست حراما ، ولكن السلطان التغلقى ظل يكره الموسيقى والغناء . ولما ولى فيروز تغلق السلطنة تخرج من سماع الموسيقى والغناء ، ورفض عقد الحفلات الموسيقية والفنائية في بلاطه .

وبلغ من ازدهار الموسيقى والغناء في دهلى انه كان بها ضاحية للمغنيين والمغنيات تسمى سوق طرب آباد من اجمل الاسواق واكبرها فيه الدكاكين الكثيرة كل دكان به باب يفضي الى دار صاحبه . والدكان مزين بالقرش الفاخرة وفي وسطه مجلس المغنية ، وهى متزينة بانواع الحلوى ، ويحيط بها جواربها . وفي وسط السوق قبة عظيمة مفروشة مزخرفة يجلس فيها رئيس المطربين بعد صلاة العصر من يوم كل خميس وبين يديه خدامه ومماليكه . وتأتى المغنيات طائفة بعد اخرى فيغنين بين يديه ويرقص الى وقت المغرب ،

(١) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٢٤٠ .

(٢) فرشته : تاريخ فرشته ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

ويُفد الناس إلى هذا السوق للاستماع . ويتفق أصحاب المناسبات السعيدة مع رئيس المطربين على عقد حفلات غنائية في دورهم (١) .

وقد وصف لنا ابن بطوطة رحلة قام بها في نهر السند مع أحد أمراء الهند وتضمنت الرحلة حلقات غنائية ، وكان المغنون يغنون من أول النهار حتى منتصفه وحينما يتناول الأمير الغذاء ، يأتي أهل الطرب إلى مركب الأمير ، فيغنون إلى أن يفرغ من طعامه (٢) .

وكانت تعقد في قصر السلطان وبيوت الأمراء ورجال الدولة المجالس الاجتماعية حيث يجتمع الأدباء والعلماء للمناظرة والمناقشة ، وانتشرت القصص والحكايات في الهند وتروى في مجالس السمر ، وقد أخذ العرب عن الهند الكثير من القصص مثل قصة كليلة ودمنه ، وقصة السندباد الكبير والسندباد الصغير ، وكتاب هابل في الحكمة وكتاب الهند في قصة هبوط آدم وكتاب الف ليلة وليلة (٣) وانتشرت في بلاد الهند بعض الألعاب للتسلية من أهمها الشطرنج ، والهنود هم واضعو الشطرنج - كما يقال - وعندهم انتشر في أنحاء العالم ، وللهند في الشطرنج ألعاب تختلف في بعض الوجوه عما هو معروف الآن .

(ج) العادات والأخلاق

ظهرت نزعة الزهد قوية في الهند من تاريخها القديم ، وذلك أن طبيعتهم الفلسفية دفعتهم إلى التأمل والتفكير في الخالق والخلق ، وخلصت نواياهم نحو الله واتجهوا إليه بكل ما استطاعوا ، وصفت نفوسهم ، ورأوا أن النفس إذا نالت ما أرادت انتقلت إلى المعاصي ، ففضلوا التغلب عليها . وفي سلطنة دهلي الإسلامية شاهد ابن بطوطة الكثير من الزهاد نخص بالذكر منهم محمد العريان ، وهو شيخ حسن الصورة يجلس في زاوية بالقرب من كول ولا يلبس الاثوابا من سرته إلى أسفل ، وبأقى جسده مكشوف ، ومن كبار الصالحين

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٠٥ .

(٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٦ .

(٣) أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ص ٢٤٨ .

الشيخ محمود الكبا ويزعم الناس ان المال يأتيه من حيث لا يحتسب ، وهو يطعم الوافدين عليه ويغدق على الناس الاموال الكثيرة ويقولون ان له كرامات كثيرة ، ومن المشايخ الزهاد ، العالم العابد علاء الدين النيلي ، ويعظ الناس في كل يوم جمعة ، ويتوب الكثير من الناس على يديه ، وبلغ تأثر الناس به انهم كانوا يخلقون رءوسهم ويتواجدون ويفشى على بعضهم (١) . وكان الشيخ صدر الدين الكهراني يصوم الدهر ويقوم الليل ، وتجرد من الدنيا جميعها ونبذها ، ولباسه عباءة ، ويزوره السلطان واهل الدولة ، وربما احتجب عنهم حتى يخلو بربه ، وكان يرفض الاموال التي ترسل اليه من السلطان او الاغنياء (٢) . ومن الشيوخ الزهاد الشيخ نظام الدين البنداوني وكان محمد بن تغلق يعظم شأنه ويتردد عليه كثيرا ، وقد تنبأ هذا الشيخ بقرب توليه هذا الامير سلطنة دهلي ، ولما توفى هذا الشيخ حمل جسده الى مشواه الاخير .

وصف البيروني (٣) اهل الهند بالاعجاب بانفسهم ، والاعتداد بآمتهم ، والازدراء بمن عداهم ، يعتقدون في الارض انها ارضهم ، وفي الناس انهم جنسهم ، وفي الملوك انهم رؤساؤهم ، وفي العلم انه ما معهم ، وفي طبيعتهم الضن بما يعرفونه والافراط في الصيانة له عن غير اهله منهم فكيف عن غيرهم ، على انهم لا يظنون ان في الارض غير بلدانهم ، وفي الناس غير سكانها ، وان للخلق غيرهم علما حتى انهم اذا حدثوا بعلم او عالم في خراسان وفارس استجهلوا المخير ، ولم يصدقوه للالفة المذكورة ولو انهم سافروا او خالطوا غيرهم لرجعوا عن رأيهم . ودهش البيروني لما رآه من سلطان كهنة البراهمة .

كانت الصلات بين الهندوس والمسلمين ضعيفة في اول امر ، وعاش المسلمون في معزل من الهندوس لاختلافهم الكبير في التقاليد والعادات والمعتقدات ، واشتد العدا بين الفريقين بل نشبت حروب بينهم وبمرور الزمن اختلط الفريقان ، وتأثر المسلمون بالهندوس . والهندوس بالمسلمين ، ويتجلى ذلك في رفض بعض المسلمين اكل لحم البقر وانكار زواج الارامل ، والاشتراك مع الهندوس في اعيادهم وافراحهم ، واخذ الهندوس عن المسلمين عادة حجاب المرأة وبعض ازياء المسلمين واستخدام الالفاظ العربية والفارسية والتركية ،

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٣ .

(٣) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ١١ .

وادی ذلك الى ظهور لغة جديدة في القرن الثالث عشر الميلادی وهی اللغة الاردية (١) .

وانقسم المسلمون في الهند الى سنة وشيعة ، وكان سلاطين دهلی يشجعون الهنود على اعتناق الاسلام ، واذا اراد الواحد منهم اعتناق الاسلام يدخل الى السلطان ويشهر له اسلامه فيكسوه السلطان كسوة حسنة ، ويعطيه قلادة واسوار من ذهب على قدره (٢) . ويذكر فيروز شاه التغلقی في سيرته التي كتبها بنفسه بأنه شجع الهنود من رعبته على اعتناق الاسلام ، واعلن انه مستعد لاعفاء كل من يعتنق الاسلام من الجزية ، ولقد ادى ذلك الى اقبال الكثير من رعاياه على الدخول في دين الله افواجا ، واعفاهم السلطان من الجزية ، ومنحهم الهديا (٣) .

وقد لقب اكثر من نصف مسلمی الهند بالقباب الشعوب الاجنبية المتميزة مثل شيخ وبك وخان وسيد ، اما السواد الاعظم من المسلمين من أهل البلاد الاصليين فلقبوا بلقب الشخص الذي بلغ اعلى مرتبة بين هؤلاء الذين اسلموا على ايديهم ، او اندمجوا في الطبقة الارستقراطية الاسلامية (٤) .

وكان بعض المسلمين يقدمون النذور عند معابد الهندوس واخذ الهندوس من المسلمين عادة حجاب المرأة ، وكانت المرأة الهندية لا تحتجب ، وتمارس نشاطها في المجتمع دون حرج ، واخذ الهندوس عن المسلمين لباسهم وعرفوا بعض الالفاظ العربية والفارسية منهم ، الامر الذي ادى الى ظهور اللغة الاردية في الهند في القرن الثالث عشر (٥) .

وفي القرن الرابع عشر ظهر مصلح دينی هندوسي من جنوب الهند اسمه رمانا ندا ، وقد هاجر الى بنارس ودرس تعاليم الاسلام ، ومن خلال دراسته ادرك عيوب الهندوسية ، وتحمس لمبدأ المساواة الذي اقره الاسلام ووضع مذهباً جديداً اساسه المحبة والاخلاص والمساواة بين الناس ، والتف

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

(٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٣) Elliot : The Hist. of India. Vol. 11. p. 386.

(٤) ارنولد : الدعوة إلى الإسلام ، ص ٢٨٦ .

(٥) Rawlinson : A Short Cultural Hist. of India p. 244.

حوله الكثيرون من طبقات مختلفة وديانات متعددة ، ومن أشهر تلاميذه شاعر مسلم يسمى « كبير » ولم يرض عنه المسلمون لان قصائده كانت تعكس بعض الاتجاهات الهندوسية ، كذلك لم يرض عنه الهندوس لانه كان يحقر آلهة البراهمة ، ويتحامل على جوانب كثيرة في معتقداتهم ، وقدموا ضده شكاوى كثيرة الى السلطان فرأى السلطان انه يثير الفتن والقتل ، فنفاه ، وتنقل بين بلدان الهند ينشد الناس اشعاره ، ويطلعهم على آرائه ومعتقداته ، حتى التف حوله كثيرون من الهندوس والمسلمين ، وكان يوم وفاته يوما مشهورا تنازع فيه المسلمون والهندوس ، كل يريد دفنه حسب تعاليم دينه ، وزعموا انه في اثناء هذا النزاع ظهرت لهم صورة لكبير ، وقال : ارفعوا الغطاء عن جسمى - ولما رفعوا الغطاء لم يجدوا جثة كبير ، وانما وجدوا كومة من اوراق الورد ، وعند ذلك اقتسموها بينهم ، وقد دفن المسلمون نصيبهم في مقابرهم ، بينما احرق الهندوس نصيبهم طبقا لطقوسهم - ونثروا الرماد فوق مياه نهر الكنج .

ولنتقل الآن الى ذكر بعض العادات التي شاعت عند الهنود في العصور الوسطى ، فقد كان الهنود من غير المسلمين يحرمون ذبح البقر ، ويعظمون البقر ويتبركون به ويتفاءلون من اقامتها في دورهم ، ويقومون على خدمتها وراحتها ، وجزاء من ذبحها عندهم ان يخاط في جلدهم ويحرق (١) .

والمرأة في الهند كانت لا تطيق الحياة بعد وفاة زوجها ، وحينما يحرق جسده عقب موته ، تندفع زوجته الى النار وتحرق نفسها معه ، وشاهدها ابن بطوطة متزينة راكبة والناس يتبعونها من مسلم وكافر ، والاطبال والابواق بين يديها ، ومعها البراهمة - وهم كبراء الهنود - وكان السلطان في دهلي لا يمانع في ذلك ، لان سلاطين دهلي لم يتعرضوا لعادات وتقاليد غير المسلمين في بلادهم ، وحرقت المرأة لنفسها بعد وفاة زوجها شرف كبير لاسرتها ، والمرأة غير الوفية التي لا تحرق نفسها ، تلبس خشن الثياب وتقيم عند اهلها بائسة ممتهنة ، ولا تكره على حرق نفسها ، ورأى ابن بطوطة ثلاثة نسوة اعتزمن حرق انفسهن بعد موت بعولتهن ، مكثن ثلاث ليال قبل الحرق في غناء وطرب وفرح وسرور ، رياتى اليهن النساء من كل مكان ، وفي اليوم الرابع اتت كل

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

واحدة منهن على فرس ومزينة بابهى زينة، ومتعطرة، والبراهمة يحفون بها ،
واقاربها معها وبين يديها الاطبال والابواق والانفار ، وتم الحرق في موضع
مظلم كثير الاشجار والمياه ، وبين الاشجار اربع قباب وبين القباب صهريج
ماء ، قد تكافت عليه الظلال وتزاحمت الاشجار ، وتشابكت غصونها ، فلا
تنخللها الشمس ولما وصلت النسوة الى القباب ، نزلن الصهريج ، وانغمس
فيه ، وجردن ما عليهن من ثياب وحلى ، فتصدقن بها ، واتت كل واحدة
بثوب خشن غير مخبط من قطن والقى عليه الحطب ، واحترقت ، ودقت
الطبول ، والقى الرماد في نهر الكنج (١) . وقد الفى السلطان فيروز شاه
التغلقى هذه العادة .

ومما يجدر ذكره أن نهر الكنج كان مقدسا عند الهندود حتى أن بعض
الناس كانوا يفرقون انفسهم في هذا النهر تقربا الى الله ، وتعجلا في الذهاب
اليه ، فاذا غرق اخرجوا جثته واحرقوه والقوا رماده في النهر (٢) .

وانتشر السحر في سلطنة دهلى ، وبرز في هذه الدولة شأن السحرة
الجوكية وتظهر هذه الطائفة العجائب منها انهم يقضون فترات طويلة بلا طعام
او شراب ، وكثير منهم تحفر له حفرة في الارض ، ويبنى عليه ، فلا يترك
له الا موضع يدخل منه الهواء ، ويقيم بها الشهور ويتناولون حبوبا تمكنهم
من احتمال الجوع ، وتعوضهم عن الطعام ، وسلطان دهلى يجالسهم
ويعظمهم ، وبعضهم لا يتناول الا الطعام البسيط ، ولا يأكلون لحم
الحيوانات (٣) .

والجوكية يلبدون شعورهم ويرسلونها حتى بلغت طولهم وكثير من
الناس يعتقدون في سحرهم ، ويقبلون عليهم ، ويذكرون ان من كانت
به عاهة من برص او جذام يأوى اليهم مدة طويلة ، فيبصر بأذن الله ،
ويقيمون في مغارات تحت الأرض ، لا يغادرونها الا لمهام الأمور (٤) .

وترى جميع ديانات الهند أن الحياة شر ، وأن المادة مظهر وضيع
لبدا الحياة ، وأن الطبيعة سلسلة تطورات دائمة ، وأن الالهة والناس

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

(٣) رحلة ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١٠٣ .

(٤) المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

ظواهر باطلة ، ومظاهر وهمية للأصل الأعلى أي لبرهما العظيم ، وأن هذا الأصل الأعلى هو الله الواحد الذي يهب الحياة لجميع الموجودات وأن الأجداد والحيوانات وقوى الطبيعة والجن والفيلان والابطال الذين يتقمصهم لا يلبثون أن يصبحوا موضوعات عبادة ثم أصناما للجماهير ، وأن الروح الخالدة تنتقل من موجود إلى موجود حتى تفنى في الأصل الأعلى، وأن أفعال الإنسان في الدنيا تحدد مصيره القادم . وقد وصف البيروني (١) عقيدة تناسخ الأرواح عند الهنود وذكر أن التناسخ علم النحلة الهندية ، فمن لم ينتحله لم يك منها ، ولم يعد من جلتها (٢) . وقالوا : إن الأرواح خالدة لا تفنى ، وتنتقل من جسد إلى جسد ، وترقى في الأجسام ، وتتطور ، كما تتطور الأبدان في الإنسان في مراحل عمره من الطفولة إلى الشباب إلى الشيخوخة . وفي كل بدن تستفيد الروح تجارب جديدة ومعلومات جديدة فالأرواح الباقية تتردد في الأبدان البالية ، وهي تتردد من الأزل إلى الأفضل لترقى النفس في الكمال ، حتى يتحقق شوقها بعلمها ما لم تعلم ، واستبقاؤها شرف ذاتها واستفنائها عن المادة فتعرض عنها ، ويتحد العاقل والعقل والمعقول ويصير واحدا (٣) . فالأرواح الشريرة تتعرض للعقاب ، والأرواح الخيرة تنال خير الجزاء ، والأرواح الشريرة تتردد في النبات وخشاش الطير ومرذول الهوام إلى أن تصبح في وضع تستحق فيه الثواب وعندئذ تنتقل إلى بدن أرقى .

واعتقد البراهمة أن الله هو الواحد الأزلي من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله ، القادر الحكيم الحي المحي المدبر المبقى ، الفرد في ملكوته عن الأضداد والانداد لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء . وأن الله يحيط بكل شيء ولا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء (٤) .

-
- (١) تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٤٢ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٣٢ .
(٣) البيروني من تحقيق ما للهند من مقوله ص ٢٤ .
(٤) المصدر السابق ، ص ٣٢ .

(د) الاعياد والمواسم والمواكب

احتفل المسلمون في سلطنة دهلى بالعيدين بمظاهر تليق بالمناسبتين الكبيرتين ، وعنى سلاطين دهلى عناية كبيرة بالاحتفال بالاعياد في شيء كثير من الابهة ، وفي ليلة العيد يرسل السلطان الى الخواص والملوك وكبار رجال الدولة والاعزة - وهم كبار ضيوف السلطان الاجانب - والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الاحياء الخلع الثمينة وتزين الفيلة في صبيحة العيد بالحرير والذهب والجواهر ، وتخصص ١٦ فيلا لركوب السلطان ، ويركب السلطان فيلا منها ، وبين يديه خدمه ومماليكه ، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصعة بالجواهر ، ويرتدى مماليكه فاخر الثياب ويمشي بين يديه النقباء ثلاثمائة ، ويركب قاض القضاء وسائر القضاة وكبار الاعزة من الخراسانيين والعراقيين والشوام والمصريين والمغاربة ، كل واحد منهم على فيل ، والمؤذنون يركبون الفيلة ، ويخرج السلطان من باب القصر ، والعساكر تنتظره والمشاة والمؤذنون والقضاة يذكرون الله ، وخلف السلطان مراتبه ، وهى الاعلام والطبول والابواق والانفار ، واهله واخوته كل بمراتبه وعساكره ، وافراد أسرته كل بمراتبه وعساكره وكل من يركب في هذا اليوم يكون مدرعا هو وفرسه ، ويؤدى السلطان ورجال الدولة صلاة العيد ، فاذا كان عيد الاضحى نحر السلطان ، ويعود الموكب الى القصر بعد ذلك (١) .

ويفرش القصر يوم العيد ، ويزين بأبداع زينة ، وتقام خيمة كبيرة لاستقبال المهنتين بالعيد ، تشمل كراس من ذهب ، وبصدر المجلس سرير السلطان من الذهب الخالص كله مرصع القوائم بالجواهر ، وينادى الحجاب بمقدم السلطان ، ويتوافد القضاة والخطباء والعلماء والمشايخ على السلطان للسلام والتهنئة بالعيد ، الواحد تلو الاخر من غير تزاحم ، ويفدق السلطان المال على من يشاء ، ثم يقدم الطعام لضيوف السلطان ، ويصب عبيد الملك ماء الورد على الحاضرين صبا ، ويجالس السلطان الناس باقى ايام العيد على سرير دون ذلك ذهب ، ثم يأتى

(١) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٢٨ .

أهل الطرب وتغنى الفتيات من بنات الملوك الكسفاً وترقصن ويهبن
السلطان للامراء والاعزة ، ثم تأتي بعد ذلك سائر البنات الكفارة فيغنين
ويرقصن ، ويهبن لأقاربه وأصهاره ، وجلس السلطان لذلك بعد العصر .
واليوم الذي بعده ، يعد القصص على الترتيب السابق ويهب السلطان
الفتيات التي تغنى وترقص لامراء الممالك ، وفي اليوم الثالث يزوج أقاربه
وينعم عليهم ، وفي اليوم الرابع يعتق العبيد ، والخامس الجوارى ،
والسادس يزوج العبيد بالجوارى ، والسابع يعطى الصدقات (١) .

وكان مجلس السلطان محمد بن تغلق للناس بعد العصر غالباً وقد
وصفه ابن بطوطة ، فذكر أن مجلسه كان على مصطبة مفروشة بالبياض .
وإذا جلس يقف أمامه الوزير والكتاب خلف الوزير ، وخلفهم الحجاب ،
ووكيل الدار ونائبه ، ويتلو الحجب النقباء ويجلس السلطان محاطاً بحرسه
المدججين بالسلاح ، وعن اليمين واليسار قاضي القضاة وخطيب
الخطباء ثم سائر القضاة ، وسائر الفقهاء ، وكبار الشرفاء والمشايخ ثم
أخوة السلطان وأصهاره ثم الامراء الكبار ، وكبار الاعزة ، ثم القواد ويؤتى
بستين فرساً مسرجة ملجمة ، ويؤتى بخسمين فيلاً مزينة بثياب الحرير ،
ومعدة لقتل أرباب الجرائم ، وتلك الفيلة مدربة على خدمة السلطان ، ويقف
نصفها عن اليمين ونصفها عن اليسار وخلف هذا كله يقف عبيد السلطان
مسلحين ومتيقظين حتى لا يتسلل أحد خلال هذه الجموع (٢) .

ومن يقدم على السلطان بهدية ، يدخل الحجاب الى السلطان . أمير
حاجب ونائبه خلفه ، ثم خاض حاجب ونائبه خلفه ثم وكيل الدار ونائبه ثم
سيد الحجاب وشرف الحجاب ، ويبلغون السلطان بضيافته ، فإذا أذن له ،
يظهرون الهدية للسلطان فإذا كان رجلاً كبيراً ، خاطبه السلطان اللف خطاباً ،
ويرحب به ، وإن كان ممن يستحق التعظيم صافحه ، وقد يعانقه ، وقد يخلع
عليه ، ويأمر له بمال (٣) .

وإذا قدم السلطان من سفر ، زينت الفيلة ، وحملت أمامه الستارة
المرصعة بالجواهر الثمينة ، وتصنع قباب من خشب مكسوه بثياب

(١) ابن بطوطة : الرحلة ، ج ٢ ، ص ٣٩ .

(٢) ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ٣٦ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

الحرير ، وفي كل منها الجوارى المغنيات ، يلبسن أجملَ لباس ، وأجملَ حلية ، وتوزع المياه العطرة والحلوى على الناس ، ويمر موكب السلطان في دهلى تزين حيطان الشوارع التى يمر بها بالحرير ويمشى أمامه المشاة من عبّيده ، وتلقى قطع الذهب والفضة على الناس حين دخوله الى المدينة حتى وصّوله الى قصره . وفي هذه المناسبة وغيرها يقيم السلطان سماطا يدعو له كبار رجال الدولة .

٤ - الحياة الثقافية في سلطنة دهلئ الاسلامفة

ازدهرت الحياة الثقافية في بلاد الهند قبل قيام الدول الاسلامفة ففها حتى أن المسلمفن فعتبرون الهند احدى الامم الاربع التي لها اهتمامات علمفة ، وقد برع الهنود في الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب ، وذكر المسعودف (١) أن جماعة من أهل العلم والنظر اعتبروا الهند الفرة التي ففها الصلاآ والحكمة ، وكان الهند كما فقول القفطف (٢) معدن الحكمة وفنوع العدل والفساسة .

وكانت قصور الراجفوت فاصة بالشعراء والادباء ، وتدور اشعارهم حول قصص البطولات وشرف الانساب ، والانتصارات على الاعداء واآلاص النساء ونحو ذلك ، وازدهرت الحياة الادبفة فف شمال الهند ، وظهر شاعر بنفالى اسمه جافادففا وقد وضع مسرحة « نشفد البقر » وتدور حول تقدر الاله كرشنا ومحبته للفتفان اللائف فجلبن البقر ، وقد اآب واحدة منهن ، وجذبته بسحرها وجمالها ورقصاتها ، حتى انه آثر البقاء معها ونسف موطنه (٣) .

ومن الملاحم الشعرفة الرائعة كتاب « المآط من القصص » ففشفه الف لفة ولفة وضعه الشاعر سومادفف .

ولما ظهر الاسلام فف بلاد الهند ، انتشرت الثقافة الاسلامفة بها . على ان الفتوحات الفزنوفة فف بلاد الهند ، صآبها ازدهار الثقافة الاسلامفة ، ذلك ان السلطان محمود الفزنوف لم يال جهدا فف تشجع الحركة العلمفة فف بلاده ، فزفن فزته بأجمال ما حصل ففله من نفائس الهند ، وأعاد تشففد مسآبها الجامع على اآسن صورة «واضاف الى المسآب مدرسة ففآاء تشمل حجراتها من بساط الارض الى سقوفها على تصانفف الائمة الماضفن مسن

(١) المسعودف : مروج الذهب ، ج ٢ .

(٢) القفطف : آآبار العلماء بأآبار الحكماء ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .

Rawlinson : op. cit., p. 206.

(٣)

علوم الاولين والآخرين منقولة من خزائن الملوك السابقين يتناولها فقهاء وعلماء غزته بالتدريس « (١) » .

وبلغ من اهتمام السلطان محمود بن سبكتكين بتشجيع الحركة العلمية أن بعث في طلب جماعة من رجال العلم والفلسفة ، فكان من بين الذين وفدوا اليه أبو ریحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢ - ٤٤٠ هـ) (٢) . وقضى البيروني بداية حياته في خوارزم حيث ولد فيها - وقربه اليه أميرها ، وتبع في كثير من العلوم وبخاصة الرياضة والفلك ، وزار حوالي سنة ٣٩٠ هـ بلاط شمس المعالي قابوس بن وشمكير - أمير طبرستان - الذي عرف بتشجيع العلم وأهله ، و ألف له « الآثار الباقية عن القرون الخالية » ويبحث هذا الكتاب في التواريخ التي كانت تستعملها الأمم ، والاختلاف في الشهور والسنين والتقاويم عند الأمم ، ونظم الطوائف والجماعات المختلفة ، والاحتفال بالاعياد القومية ، ولما اتصل البيروني بالسلطان محمود الغزنوي ، استفاد من فتوحاته في بلاد الهند فائداً علمية كبيرة ، وجعل ثروة الهند العلمية الكبيرة في الرياضة والفلسفة والهيئات في يد العرب والفرنج بما ألفه في ذلك من كتب لا تزال خير مرجع لكل من كتب عن الهند ، وكان البيروني في هذا درة في الدولة الغزنوية كابن سينا في الدولة السامانية (٣) .

نبغ البيروني في كثير من العلوم وخاصة الرياضة والفلك وجدير بالذكر انه كان يزهد في المال الا ما يكفيه حاجته وأهدى كتابه « القانون المسعودي » للسلطان مسعود ويبحث في الرياضة والفلك وفلسفة الهند ، فأجازه السلطان بأموال كثيرة فردها معتذراً بعدم حاجته اليها ، وقيل عن البيروني أن القلم لم يكد يفارق يده وعينه النظر ، وقلبه الفكر الا في الاعياد ، لا يمل الاستزادة من العلم ، وقد تعلم عدة لغات ، ففي كتبه عن العقاقير والجواهر اسم الشيء بالعربية واليونانية والسريانية والفارسية والتركية ، ويقارن بين اللغات مقارنة دقيقة ، فيمدح اللغة العربية بحسن

(١) العتبي : تاريخ اليميني ، ج ٢ ، ص ٢٩١ - ٢٩٩ .

(٢) بارنولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٣) أحمد أمين : ظهور الإسلام ج ١ ، ص ٢٨٧ .

ادائها للمعاني ، ويفضلها على الفارسية (١) .

ومن أشهر كتب البيروني « الجماهر في الجواهر » ، وكتاب « تاريخ الهند » وتعلم اللغة السنسكريتية ، وأخذ بنقل منها الى العربية ، ومن العربية اليها فنقل الى السنسكريتية نظريات اقليدس وغيره من الفلك ، وتقل الى العربية من السنسكريتية بعض المصنفات القيمة . ومن أبرزها « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل ومرذولة » قارن فيها بين رياضة الهند وفلسفة اليونان ، ولقد استقى البيروني معلوماته عن الهند من المراجع السنسكريتية الهندية مباشرة ويلاحظ عليه انه لا يعترض ولا ينقد مطلقا حينما يشرح العقائد الدينية وبعد ذلك نشر البيروني كتابه بالعربية والفارسية « التفهيم في صناعة التنجيم » وقد اهداه للسيدة ريحانة الخوارزمية ، واهدى كتابه عن الاحجاز الكريمة للسلطان مودود بن مسعود (٢) .

وكان للبيروني علم تام بمدارس بغداد والبصرة العلمية ، الا ان نظريات اولئك العلماء كانت متأخرة بالقياس اليه ، وظل مؤمنا بالتنجيم ، مشاركاً معاصريه في ذلك ، وقد ادرك البيروني ان المعتقدات الدينية ترجع الى اسباب واحدة في كل مكان ، وكان يهتم بالفارق الكبير بين الخواص والعوام في كل موضع ، فهو لا يعترض ولا ينقد مطلقا ، حينما يشرح العقائد الدينية ، واذا قارن دينا بدين اخر ، فانما يقارنها مقارنة علمية محضة . وعلى ذلك يمكن القول بأن منتجات البيروني العلمية تحتل مكانة ممتازة من حيث وفرة وادها ، وما فيها من الاعتناء بتطبيق الاصول العلمية ، على ان البيروني كتب مؤلفاته بلغة عسيرة جدا ويقول البيروني انه الف كتبه للعلماء لا للعوام (٣) .

K. Ali : A New History of Indo-Pakistan. p. 32. (١)

Habib : Sultan Mahmud of Ghazain. 55.

(٢) براون : تاريخ الأدب الفارسي ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(٣) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ، ص ٢٤ .

ولقد اطلال البيروني في وصف الفلسفة الدينية للهند من الاعتقاد بالله والموجودات العقلية والحسية ، وتعلق النفس بالمادة ، والارواح وتناسخها ، ومواضع الجزاء من الجنة والنار وكيفية الخلاص من الدنيا ، وقارن بين عقائد الهند والاسلام والصوفية والنصرانية (١) . ويذكر البيروني : ان التناسخ من اهم معتقدات الهند ، وان الروح تنتقل من بدن الى بدن ، وفي كل بدن تستفد معلومات وخبرات ، وتنتقل من الارذل الى الافضل . وقد ربطوا الثواب والعقاب والجنة والنار بنظرية التناسخ ، فقالوا ان الارواح الشريرة تتردد في النبات ومرذول الطير والهوام الى ان تستحق الثواب ، فتنجو من الشدة ، وتنتقل الى ما هو ارقى (٢) .

وقال البيروني : انه رأى ان فلكى الهند لا يبحثون في العلل وكان على علم تام بالفلك عند اليونان قبل ان يقتبس هذا العلم من الهند ، وقد قال في هذا الصدد : كتبت اقف من منجميهم مقام التلميذ من الاستاذ اعجمتى فيما بينهم ، وقصصورى عما هم فيه ، فلما اهتديت قليلا أخذت أوقفهم على العلل وأشير الى شئ من البراهين ، والوح لهم بالطرق الحقيقية في الحسابات فانثالوا على متعجبين وعلى الاستفادة متهافتين ، وكادوا ينسبون الى السحر (٤) .

وصفوة القول ان البيروني كان من كبار العلماء الذين ظهرُوا في القرنين الرابع والخامس الهجرى فلم يترك علما لم يؤلف فيه وكان الى جانب ذلك يؤلف بالعربية لا لفرسية لان العربية اكثر طراعية للعلم ومصطلحاته من الفارسية (٤) .

واشتهر من رجال الفلسفة في الدولة الغزنوية ابن الخمار كان نصرانيا نقل كتبا كثيرة من السريانية الى العربية ، واشتهر بالطب والفسه ، كما الف في المنطق والالهيات (٥) .
وعنى سلاطين دهلى بتشجيع الثقافة الاسلامية ، فقد انفق السلطان

(١) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٣٢ .

(٣) ياقوت : معجم الأدباء ، ج ١٧ ، ص ١٨ - ١٨١ .

(٤) محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص ٢١٦ .

(٥) تاريخ باراني ، ص ٣٥٩ .

الملوكى التمش أموالا طائلة في كتابه نسخ كثيرة من القرآن الكريم حتى تكون في متناول الناس لقراءتها والاستفادة منها ، وأسس العديد من المدارس ، وزين بلاطه بالشعراء والادباء وأصبحت دهلى في عهده مركزا هاما للفنون والاداب .

وحرص السلطان بلبن على عقد مناظرات بين الشعراء والادباء والعلماء ، وكانت تلقى في بلاطه الاشعار ، وتقرأ الكتب التاريخية القيمة كالشهنامة للفردوسى وديوان ستائى والخاقانى وخمسة نظامى ، ومن أبرز شعراء هذا السلطان الشاعر خسرو دهلوى .

ازدهرت الحياة الثقافية في عهد الخلجيين ، وتميزت بظهور انتاج ادبى غزير ومتنوع ، وضم بلاط السلطان علاء الدين الكثير من العلماء والادباء ، وشهد عهده الكثير من الفلاسفة والحكماء والشعراء والمؤرخين والمترجمين والاطباء والفلكيين . ولم يجتمع على باب أحد سلاطين دهلى من رجال العلم والفقهاء والادب ما اجتمع على باب علاء الدين ، وكان يصل كل واحد منهم بأجزل صلة ، ويرفعه الى أعلى مرتبه .

والكثير من ادباء ذلك العصر غير معروف لدينا الان ، الا اننا نلاحظ أن ادباء ذلك العصر كانوا يكتبون بالفارسية - لغة الثقافة في ذلك العصر - وكان امير خسرو بلا جدال - اعظم شعراء عصره ، وفاق معاصريه من اهل الادب ، ولقد حظى بتقدير الناس ممن عاصروه وبلغت شهرته الافاق ، وتعددت مواهبه ، فكان شاعرا جمعت اشعاره في مجلدات منها الخماسيات وهى اشعار خماسية ذات خمسة أبيات ، ويذكر بارانى أن امير خسرو اضاف الى الشعر والادب الفارسي اضافات على جانب كبير من الاهمية ، ويعتبره امير شعراء الهند ، ومن أشهر دواوينه « اعجاز خسروى » .

« نهاية الكمال » « خزانة الفتوح »

نشأ خسرو شاعرا بطبيعته ، ونلمس في شعره عواطفه الانسانية ودقة الاحاسيس والعواطف وسمو الغزل والوصف في الحرب والحب ، وتظهر براعته ، وعمق ثقافته ، وتفوقه في اللغات في اشعاره بعضها بالهندية واخرى بالفارسية واخرى بالعربية وكان له ثنائيات في اشعاره تتضمن تتضمن نظما بالفارسية واخر بالهندية او العربية ، ولقيت ثنائياته تقديرا

عميقا في الهند وشغفا كبيرا في مدارسها ، وكانت بعض ثنائياته تتحمل أكثر من تأويل . وكان ينتقى الالفاظ القوية لاشعاره ، ويختار التركيبات اللغوية الجميلة الوقع ، ومما يدل على براعته الادبية أن اشعاره لم تفقد رونقها وتأثيرها في النفوس حتى الآن (١) .

ومن شعراء ذلك العصر البارزين ، حسن سيجزي ، وكان موهوبا ، ويقترب من أمير خسرو في المرتبة الادبية ، ولقد تفوق في الشعر والنثر على السواء ، واتصفت كتاباته واشعاره بالوضوح ، يعبر عن فكرته بأسلوب سهل ، يدركه القارئ دون عناء لذا كانت تسرى اشعاره في الناس بسرعة سريان الشمس في النهار ، وكان يعيش حياة بسيطة ، وله ذاكرة عجيبة ، وقلب كبير ، وله أعمال أدبية كبيرة ، غير أن ديوان Favidul Fuad من أعظم انتاجه ، وقدر له الخلود حتى الان .

ومن شعراء ذلك العصر صدر الدين علي فخر الدين وحميد الدين راجا ومولانا عارف وعبيد حكيم وشهاب انصاري ، ولكل من هؤلاء أسلوبه واتجاهه وطريقته في التعبير . ومن كتاب النثر عين الملك مولتاني - قاهر مالوا - وكان يكتب بأسلوب رصين والفاظ منمقة .

نبغ عدد من المؤرخين في العهد الخلجي تخص بالذكر منهم امير ارسلان كولاہی ، وكبير الدين بن تاج الدين عراقی ، والاول كان دقيقا فيما يرويہ من معلومات لذا فقد كان مصدرا هاما عن تاريخ علاء الدين . أما الثاني ، فكان يكتب بالعربية والفارسية ، ونبغ في اللغتين وله مصنفات كثيرة وعلى جانب كبير من الاهمية ، وتعتبر من أدق المراجع عن حروب علاء الدين ، واغزرها مادة ، وكان يعمل في جيش علاء الدين (٢) وأتيحت له الفرصة أن يطلع على حروب السلطان الخلجي مباشرة وبنيفسه ، لذا اشتملت كتاباته على تفاصيل كثيرة ومعلومات غزيرة عن ذلك العهد ، ووضع كتابه « فتح نامه » على مرأى ومسمع من السلطان علاء الدين ، وقد أشاد بأعماله وانتصاراته ، وبالغ في مدحه والثناء عليه . ولكن ذلك لا يقلل من أهمية هذا الكتاب ، فقد كان أهم مرجع عن هذه الفترة

Lal : op. cit., p. 240.

(١)

(٢) تاريخ باراني ، ص ٣٦٠ .

التي شاهدها المؤلف وعاصرها ، واعتمد عليه بارانى في كتابه « تاريخ فيروز شاهى » وصنف أبو عمرو عثمان منهاج السراج صاحب « طبقات ناصرى » وغلالم يحيى بن احمد صاحب تاريخ مبارك شاه .

ومن مؤرخى ذلك العصر أمير خسرو وضياء الدين بارانى وقد عاصرا السلطان علاء الدين ، ولهما مصنفات أدبية وتاريخية يشار اليها بالبنان . وقد وضع بارانى بالاضافة الى كتابه « تاريخ فيروز شاهى » كتاب السنة المحمدية وكتاب « نعم الله وآياته » وكتاب « مآثر السادة » و « تاريخ البرامكة » وله كتاب اخر عن الاحكام السلطانية ويشمل القيم والمبادئ والقوانين والسياسات والنظم التي يجب على الحكومات الاسلامية اتباعها، ويرجعها كلها الى الشريعة الاسلامية (١) .

اما المؤرخون الذين كتبوا بالهندية أو السنسكريتية فقد فقدت معظم مؤلفاتهم ولكن حفظت الايام لنا أعمال هامير رازاز سارانجبارا في القرن الرابع عشر وأشعار مولى داود الذى كتب حوالى أواخر القرن الثالث عشر . وقد لقي هؤلاء الكتاب اضاء ساطعة عن العصر الذى يكتبون فيه ، وان كانت هذه الكتابات قد تضمنت أساطير وخرافات كثيرة .

ونلاحظ أن الادب الدينى ازدهر في هذا العصر ، وكتب علماء الدين عن أساتذتهم ، وترجموا لهم ، وأبرزوا فضلهم ، وتحدثوا عن تراثهم ، فكتب الشيخ فريد شاكرا جونج عن استاذه الشيخ نظام الدين أوليا . ومن تلاميذ الشيخ نظام الدين أوليا أمير خسرو ، وحسن السجزي والشيخ نظير الدين شيرازى الدهلوى . وجدير بالذكر أن أمير خسرو كتب - Afzalul Favaid - وتضمنت مجموعتين الاولى عبارة عن محادثاته مع الشيخ نظام الدين في الفترة ما بين سنتى ٧١٣ هـ وسنة ٧١٠ هـ ، والثانية منذ سنة ٧١٩ هـ حتى سنة ٧٢١ هـ . أما Favaidul Fuad فهي مجموعة الاحاديث بين الشيخين نظام الدين أوليا وحسن سجزي في الفترة ما بين (٧٠٧ - ٧٢٢) .

ولقد لقي هذا الكتاب تقدير المعاصرين ، وأقبلوا على قراءته

Lal : op. cit., p. 341.

(١)

Lal : op. cit., p. 342.

(٢)

والاستفادة منه بشكل متقطع النظير ، ولم يخف أمير خسرو إعجابه بهذا الكتاب . على أن Miftahul التي صنفها نظير الدين فمن المحتمل أن صاحبها صنفها بعد وفاة الشيخ نظام الدين وكتب نظير الدين شيرازى كتابا آخر أسماه « خير المجالس » كتبه سنتى ١٣٥٢ - ١٣٥٣ . ومن روائع الكتب وأحسنها التي صنفت عن الشيخ نظام الدين أوليا ، كتاب « سيرة الاوليا » كتبه أمير خورد ، وهو تلميذ وفي للشيخ ترجم عن استاذه في كتابه هذا بعد وفاته بكثير (١) .

وهذه الترجمات الرائعة لشيوخ العصر وعلمائه التي كتبها تلاميذهم بعناية وصدق ، لها أهميتها الاجتماعية والثقافية ، فهؤلاء الكتاب يمثلون عناصر مختلفة في المجتمع واتجاهات فكرية متنوعة ، لذا عكست كتبهم مظاهر الحياة الاجتماعية في عصرهم ، والاتجاهات الثقافية في هذه الفترة ، وأوضحت الحياة اليومية ، فضلا عن انها مصدر غنى للمعلومات عن هذا العصر (٢)

أما الكتاب الهنود في القرن الرابع عشر الميلادى ، اشتملت كتاباتهم على نثر وشعر باللغة السنسكريتية ، ويتضمن الفولكلور الشعبى وقصص الابطال والروايات الاسطورية للممالك والولايات الهندية . ولقد كتب سارنجدهارا (٣) Sarangdhara كتابين ، الاول هامير كافيا والثانى هامير رازو الذى وصف المقاومة العنيفة ، وضروب البطولة والشجاعة الخارقة التي أظهرها هامير ديقا ، حينما غزا علاء الدين وانثمبور ووضع أيضا ديوان شعر سنة ١٣٦٣ . ومن أبرز شعراء الهند في القرن الرابع عشر الميلادى نالا سنج ومولى دؤاد . ومن المشكوك فيه أن المجموعة الشعرية الكبيرة التي كتبت بالهندية منسوبة اليه (٤) .

وتضمن الادب الكجراتى الفولكلور الشعبى لها واشعارا في الحب والغزل ، واشتملت على قصص واساطير وخرافات كثيرة . ومن أروع ما كتب في عهد علاء الدين كتاب The Prabandhacintamani ويتضمن معلومات تاريخية غزيرة (٥) .

Munshi : op. cit., p. 292.

(١)

IBID. 293.

(٢)

Kesy : A Hist. of Hindi literure. p. 17.

(٣)

IBID. P. 18.

(٤)

Lal. op. cit. p. 343.

(٥)

أما النشاط الأدبي في البنغال فيبدو اضطرابه في تلك الفترة ، ويوضح الفولكلور البنغالي تطور لغة المنطقة . ومنذ أن غزا سلاطين دهلي بلاد البنغال ، حاول الحكام الترك لهذا الاقليم تعلم لغة البنغال والاندماج بالملايين الكثيرة لهذه المنطقة . ولم يكن عندهم الوقت الكافي لتعلم اللغة السنسكريتية ، وإنما قرأوا الكتب القيمة مترجمة إلى اللغة المحلية . وقد أمر ناصر شاه - أعظم حكام البنغال في ذلك العصر - (١٣٢٣ - ١٣٢٥) بترجمة Mahabharata . وكان راعيا للعلم والعلماء . وبعد قرن من الزمان بعد الحكم الاسلامي ، ظهر شعراء كثيرون في البنغال أمثال شاندي داز (١) .

وفي جنوب الهند ، ومناطق أخرى استغرق التأثير الاسلامي في الحياة الثقافية سنين عددا ، لذا ظل الادباء يكتبون في هذه البلاد بالسنسكريتية ، وظهرت كتب رائعة تبرز الفن الدرامي الاصيل .

ومما لا شك فيه أن قيام الدول الاسلامية في الهند اثر تأثيرا ملحوظا على تطور الادب السنسكريتي . ولقد فضل سلاطين دهلي وحكام الهند المسلمين اللغتين العربية والفارسية ، يضاف الى ذلك أن تعدد غزواتهم في بلاد الهند وضع نهاية لحياة شعوبها السلمية ، وغير طابع انحية في هذه البلاد .

فالكجرات مثلا بعد غزو بلغ خسان لها سنة ١٢٩٩ ظلت مائة عام لا تنتج ادابا ذات قيمة الا الفلكلور . وفي خلال القرن الرابع عشر الميلادي عموما أخذت السنسكريتية تفقد أهميتها . واستعاضت عنها بلاد الهند باللغات المحلية التي عبر بها شعوب الهند ، وكتبوا بها ادابهم (٢) .

ظلت الحياة الثقافية في الهند مزدهرة في عهد بنى تغلق ، ووفد على السلطان محمد بن تغلق الكثير من العلماء والادباء والفلاسفة ، وقد قدم اليهم كل عون وتشجيع على ممارسة نشاطهم واظهار انتاجهم ، وكان هذا السلطان ادبيا وشاعرا ، كتب باللغتين العربية والفارسية اشعارا وقطع ادبية تشهد بدوقه الفني وروعة أسلوبه ، وجمال تعبيره ، وعمق أفكاره ، وكان بالاضافة الى ذلك فيسلفا وطبيبا حاذقا (٣) أشرف

IBID. p. 344.

IBID. P. 344.

Prasad : India, 266 - 267.

(١)

(٢)

(٣)

على علاج الناس بنفسه ، وأقام الكثير من دور الشفاء وملاجئ العجزة (١) .

ولم يكن فيروز شاه التغلقى أقل من سلفه اهتماما بالعلم وأهله ، وأسس عدة مدارس لعلوم الدين واللغة والتاريخ والحكمة والرياضيات والفلك والطب بلغت الثلاثين (٢) . وقد جلب العلماء المسلمين الى السلطنة للتدريس في مدارسهم ولم يقتصر اهتمام هذا السلطان على الدراسات الاسلامية بل عنى بدراسات وعلوم الهند القديمة ، فشجع البراهمة على حل رموز أعمدة آزوكا لما لها من أهمية تاريخية ، وقد استخدم بعضها في منشأته ، وعهد الى علماء الهنود باختيار الكتب السنسكريتية الهامة له ، وترجمتها الى الفارسية ، وكان هذا السلطان أدبيا ، فقد كتب كتابا في التاريخ تضمن حياته وأعماله وسياسته ، ويسمى « فتوحات فيروز شاهى » . وهذه الكتب آلت اليه بعد استيلائه على حصن نكرت ، في الفلسفة والفلك ، وتعرف هذه المجموعة باسم دلائل فيروز شاه « (٣) .

وقد لاحظ ابن بطوطة في رحلاته ببلاد الهند كثرة المدارس بها ، وذكر أن هناك مدارس للصبية ومدارس للفتيات ، وأوضح أن النساء في الهند اقبلن على التعليم باهتمام بالغ خصوصا العلوم الدينية (٤) .

حرص السلطان فيروز شاه على تشجيع أهل العلم وذلك بتيسير سبل المعيشة لهم ، فالذين احتاجوا الى الزاد والنفقة انعم عليهم بالوظائف، والاقطاعات والارض الخصبة بما يزيد عن حاجتهم ، فوجد أهل العلم من العلماء والمشايخ والمدرسين والطلبة والقراء والحافظين وأرباب المساجد الحياة ميسرة في ظل وكنف هذا السلطان ، وامتلأت المدارس القديمة والجديدة التي كانت خالية وبالية بالمدرسين والذاكرين والطلبة فراج العلم ، وارتفع شأن العلماء ، والتحق طلاب العلم بالوظائف التي يسرت لهم الحياة الرغيدة بعد أن كانوا يعيشون على الكفاف ، وقضوا الاوقات الطوال في دراسة علوم الشرع والدين (٥) .

(١) الساداتى : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهنديه ، ج ١ ، ص ١٣٣ .

(٢) رحله ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٣) تاريخ فيروز شاهى ، ص ٧٨٤ - ٧٨٥ .

(٤) رحله ابن بطوطة ، ج ٢ ، ص ١١٠ .

(٥) تاريخ فرشته ، ص ١٥٠ .

أما الخانقات التي كانت مهجورة في المدينة والاطراف امتلات
بفضل بر السلطان بالصوفية والعباد والزهاد يقضون اوقاتهم في
دراسة الدين (١) .

وانشأ المدرسة الفيروز شاهية وعنى بعمارته متعددة الحجرات بها
عدة مجالس وأعمدة مرصوفة محاطة بالحدائق الغناء ويقول بارانى أن
الناس احيوا هذه المدرسة حتى أن من أقام فيها نس موطنه وعمله ولم
يعد من الممكن مغادرتها لطيب هوائها ، وهجروا ديارهم وقدموا ليسكنوا
بجوارها وكان المسافرون يتوقفون عندها لمشاهدة جمال بنيانها
والتمتع بطيب هوائها ولذلك فهى نادرة في جمالها وتوازنها وجاذبيتها (٢) .

والمدرسة الفيروز شاهية منبع الخيرات والحسنات فكانت تقام
فيها الصلوات المفروضة والنوافل ، ويؤدى فيها الصوفية صلوات عند
الشروق والغروب والزوال وصلوات التهجد .

ومن أساتذتها الكرام مولانا جلال الدين الرومى الذى كان استاذا
عظيما ، وكان يقوم بتدريس العلوم الدينية فيعلم التفسير والحديث والفقہ
ويتشغل كل يوم بختم القرآن للحافظين وكانت تكبيرات المصلين في هذه
المدرسة تصل الى عنان السماء وكانت تصل الى المقيمين بهذه المدرسة
التبرعات الكثيرة .

وتلك الايام نداولها بين الناس . . .

(١) تاريخ فيروز شامى ، ص ٧٨٩ .

(٢) بارانى : تاريخ فيروز شامى ، ص ٧٩٠ .

خاتمة

هذه صورة مشرفة لحياة المسلمين في بلاد الهند ، ونضالهم فيها . وتوضح بجلال الجهود المضنية التي بذلها المسلمون في سبيل نشر الاسلام ورفع لسواء الدين الحنيف في هذا الجزء الفسسيح المترامى الاطراف في الدنيا . هذه البلاد - اقصد بلاد الهند - كانت أرضا خصبا للديانات المتعددة المختلفة والاراء الفلسفية المتضاربة والافكار العقائدية المتباينة .

كل هذه الديانات المتعددة في الهند ، لم تستطع الصمود في وجه الاسلام المشرق وشمسه الساطعة ، فسرعان ما انتشر الاسلام في بلاد الهند ، وسار فيها بسرعة مسيرة الشمس في النهار والضوء في الظلام . فالاسلام دين المساواة لا فرق بين عربي وأعجمي الا بالتقوى والعمل الصالح ، كل الناس سواسيه كأسنان المشط ، لا تفرقه عنصريه ولا طبقة منبوذة تخضع بالوراثة لطبقة أرستقراطية ، وعليها طبقا للعقائد الموروثة خدمة الأسياد والاشراف ، ولا حق لها في الحياة الحرة الكريمة .

دخل الاسلام في بلاد الهند ، يعلن على لسان قاداته وزعمائه المساواة المطلقة بين الناس جميعا ، ويأتى بالادلة على ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وسيرته وسيرة الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة والتابعين . ولذلك رأينا جماهير الهنود من المنبوذين يرحبون بالدين الجديد بل ويستقبلون قاداته استقبالا شعبيا رائعا ، يعبر بجلال عن ارتياحهم بل وحماسهم لاعتناق هذا الدين العظيم .

وتتابعت الفتوحات الاسلامية في بلاد الهند ، وواصل المسلمون انتصاراتهم ، واعقب ذلك دخول الهنود في دين الله افواجا . على أن حماة الوثنية في بلاد الهند ، والمنتفعين من عبادة الاصنام في النذور والهبات التي تقدم للاصنام قد احفظهم واغضبهم وازعجهم زوال عبادتهم ، فقاوموا المسلمين بكل ما اوتوا من قوة ، ولكن المسلمين بفضل قوتهم وتضامنهم ووحدتهم وتمسكهم بدينهم ومبادئه وتعاليمه واصلوا الجهاد ، لم يابهاوا بالموت في سبيل الله ، ولم تغرهم عروض الهنود المالية للكف عنهم ، ولم يضعفوا ولم يستكينوا ، ولم يهنوا ولم

يضعفوا ، فحطموا الاصنام ، وأزالوا الأوثان ، وأقاموا مساجد يذكر فيها اسم الله ، ويتعلم فيه المسلمون الجدد تعاليم الإسلام .
وهكذا فإن اتحاد المسلمين وتضامنهم وتمسكهم بدينهم يؤدي بالضرورة إلى انتصارهم على قوى الكفر والطغيان والبغى ، فالله ناصر دينه « وان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » أما ضعف المسلمين وتخاذلهم وتفرق كلمتهم وانشغالهم بمغريات الحياة الدنيا عن دينهم وعقيدتهم ، يؤدي إلى بروز ثغرات وثغرات في جبهة المسلمين ، يستطيع أعداء الإسلام ، أن ينفذوا من خلالها ويزداد المسلمون - تبعاً لذلك - ضعفاً وتفرقاً .

لذلك نرى أن تاريخنا الإسلامي خير كتاب نقرأ فيه الرأي القائل بأن وحدة المسلمين وتضامنهم يؤدي بالضرورة إلى انتصاراتهم وقوتهم وتحقيق آمالهم وأحلامهم ، وفي نفس الوقت فإن عدم تمسك المسلمين بوحدتهم وبالعامل بتعاليم دينهم ، يضعف أمرهم ، ويوهن من عزيمتهم ويخذلهم ، الأمر الذي يمكن أعداء الإسلام من السيطرة عليهم واستغلالهم والتآمر عليهم .

ولنضرب الأمثلة على ما قلناه من تاريخ الهند فقط موضوع دراستنا . فالسلطان محمود الغزنوي قاد مسيرة المسلمين في بلاد الهند ، جبهة متحدة قوية ، تناضل من أجل نشر الإسلام وتحطيم الأصنام ، فأحرز انتصارات رائعة ، وحقق للإسلام انتصارات خلدها التاريخ . كذلك السلطان علاء الدين خلجي نهض بدولته في الهند سياسياً وحضارياً ، وتعرض لأمورات متعددة دبرها أعداء الإسلام للنيل منه ، والقضاء عليه ، فتصدى لهذه المؤامرات ، ومنع قوى الشرك والكفر من النيل من المسلمين في الهند ، فازداد الإسلام في عهده قوة وانتشاراً بين كفار الهند ثم أعقب ذلك ضعف المسلمين ، فتعرضوا للغزوات والحروب ، الأمر الذي زادهم ضعفاً .

وأعداء الإسلام ويمثلهم الاستعمار الأوربي خشوا من استعادة المسلمين لقوتهم في هذا العالم الفسيح ، فتآمر الاستعماريون على المسلمين في الهند ، واشعلوا نار الفتنة بينهم وبين الهند غير المسلمين ، وانتهى الأمر باقامة دولة باكستان يتجمع فيها المسلمون الهنود ، ولكن الاستعمار واصل تأمره متضامناً مع القوى غير الإسلامية في الهند ، ومزقوا هذه الدولة الإسلامية إلى دولتين ، كل ذلك حدث خوفاً من تصاعد قوة الدولة الإسلامية الموحدة ، ولا يزال أعداء الإسلام يتآمرون

على الدولتين الجديتين حتى لا تقوى احدهما ولكن المسلمون قد
مكنوهم من ذلك لانهم تخلوا عن مبادئ الاسلام التي تدعون
الى الوحدة والتضامن والمؤاخاة .

لذلك ما نراه في العصور الوسطى يختلف عما نراه اليوم . في
العصور الوسطى : المسلمون قوة متحدة وجبهة متضامنة يعمل لها كل
حساب ، أما اليوم فالمسلمون غير متضامنين . وهذا يقسره لنا ما
يتعرضون له من مؤامرات في الهند والفلبين وارتريا وغير ذلك .

ولكن الله ناصر دينه ولو كره الكافرون .

تم بحمد الله

الملاحق والجداول والمصادر
وفهرس الكتاب

الجداول

أولا : الخلفاء العباسيون المعاصرون لحكام الهند في العصر الوسيط

١ - الطائع	٣٦٣ هـ - ٩٧٤ م
٢ - القادر	٣٨١ هـ - ٩٩١ م
٣ - القائم	٤٢٢ هـ - ١٠٣١ م
٤ - المقتدى	٤٦٧ هـ - ١٠٧٥ م
٥ - المستظهر	٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م
٦ - المسترشد	٥١٢ هـ - ١١١٨ م
٧ - الراشد	٥٢٩ هـ - ١١٣٥ م
٨ - المقتفى	٥٣٠ هـ - ١١٣٦ م
٩ - المستنجد	٥٥٥ هـ - ١١٦٠ م
١٠ - المستضيء	٥٦٦ هـ - ١١٧٠ م
١١ - الناصر	٥٧٥ هـ - ١١٨٠ م
١٢ - الظاهر	٦٢٢ هـ - ١٢٢٥ م
١٣ - المستنصر	٦٢٣ هـ - ١٢٢٦ م
١٤ - المستعصم	٦٤٠ هـ - ٦٥٦ هـ ١٢٤٢ م - ١٢٥٨ م

ثانيا - الغزنويون

بنو ألب تكين :

سنة هجرية		
٣٥١	.	١ - ألب تكين
٣٥٢	.	٢ - أبو إسحق إبراهيم بن ألب تكين
٣٥٥	.	٣ - بلكاتكين { }
٣٦٢	.	٤ - بيرى { ممالك ألب تكين }

بنو سبكتكين :

٣٦٧	.	٥ - ناصر الدولة سبكتكين (مملوك ألب تكين)
٣٨٧	.	٦ - اسماعيل بن سبكتكين
	.	٧ - عيين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، (توفي في ١١ صفر سنة ٤٢١)
٣٨٩	.	
٤٢١	صفر	٨ - جلال الدولة محمد بن محمود ، المكحول
٤٢١	شوال	٩ - ناصر دين الله مسعود (الأول) بن محمود محمد ، (للمرة الثانية) ، (هزم قتل سنة ٤٣٣) ٤٣٢
	.	١٠ - شهاب الدولة أبو سعد مودود بن مسعود ، (توفي في رجب سنة ٤٤٠)
٤٣٣	شعبان	١١ - مسعود (الثاني) بن مودود ، (طفل حكم بضعة أسابيع ، توفي في رجب سنة ٤٤٠)
٤٤٠	.	١٢ - بهاء الدولة أبو الحسن علي بن مسعود (الأول)
٤٤٠	رجب	

سنة هجرية

- ٤٤١ ١٣ - عز الدولة عبد الرشيد بن محمود
طغرل ، (مملوك محمود ، مغتصب ولى
أربعين يوماً) ، مستهل شوال سنة ٤٤٤
- ٤٤٤ ١٤ - جمال الدولة فرخزاد بن مسعود
١٥ - ظهير الدولة إبراهيم بن مسعود ، الملك
المؤيد جلال الدين
- ٤٥١ ١٦ - علاء الدولة أبو سعد مسعود (الثالث)
بن إبراهيم
- ٤٩٢ ١٧ - كمال الدولة شيرزاد بن مسعود
- ٥٠٨ ١٨ - سلطان الدولة أرسلان شاه بن مسعود
- ٥٠٩ ١٩ - يمين الدولة بهرام شاه بن مسعود ، (نائب
سنجر)
- ٥١٢ جمادى الأولى
- ٥٤٧ ٢٠ - معز الدولة خسرو شاه بن بهرا
- ٥٥٥ ٢١ - تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه
الفتح الغورى ٥٨٢

ثالثاً : الغوريون او الشنسيانيون

(أفغانستان و هندستان)

(أ) الفرع الرئيسي بفيروز كوه و غزنة :

- سنة هجرية
- ٤٩٣ ١ - عز الدين حسين بن حسن بن محمد ...
- ٥٤٠ حول ٢ - قطب الدين محمد ، (بفيروز كوه ،
توفي سنة ٥٤١)
- ٥٤٤ ٣ - بهاء الدين سام ، (بفيروز كوه من ٥٤٣ إلى ٥٤٤
علاء الدين حسين جهانسوز ، (غور ثم
غزنة و فيروز كوه ، خربت غزنة سنة ٥٤٥
- ٥٥٦ ٤ - سيف الدين محمد بن حسين ، (فيروز كوه
توفي في رجب سنة ٥٥٨)
- ٥٨٨ ٥ - غياث الدين محمد بن سام ، (بغور) ...
شهاب الدين محمد غوري بن سام ، (غزنة)
غياث الدين محمد بن سام ، (توفي بهراة
في ٢٧ جمادى الأولى سنة ٥٩٩)
- ٥٨٢ ٦ - شهاب الدين ، ثم معز الدين ، (عامل
السابق على غزنة)
الاستيلاء على لاهور
- ٦ - معز الدين محمد غوري بن سام ، (توفي

سنة هجرية
٥٩٩

- (سنة ٦٠٢)
علاء الدين محمد بن شجاع الدين على ،
(بغور)
مما ليكه الأربعة الدين اقتسموا الملك (وأتخذ
كل منهم لقب المعزى)
(أ) قطب الدين أيبك ، (بلاهور ثم
بدهلى من سنة ٦٠٢ إلى سنة ٦٠٧)
(ب) تاج الدين يلدز ، (بغزنة من سنة
سنة ٦٠٢ — ٦١١ — ٦١٢ — ٦١٣)
(ج) ناصر الدين قباچه ، (بالسند
والملتان وأوج من ٦٠٢ إلى ٦٢٤)
(د) مختيار محمد خلجى ، (فى لكهنوتى
٧ — غياث الدين محمود بن محمد بن سام ،
(بغور ، قتل سنة ٦٠٩)
٦٠٢
٦٠٩ صفر
٦١٠
٦١١ شجاع الدين على
(سلطان إسما ، عامل أتسيز خوارزم شاه
حتى سنة ٦١٢)
(ب) فرع بياميان وطخارستان :
١ — فخر الدين مسعود بن حسين ، (عزله
أبناء أخيه)
٥٤٠

سنة هجرية	
٥٥٨	٢ - شمس الدين محمد بن مسعود
٥٨٨	٣ - بهاء الدين سام بن محمد
	٤ - جلال الدين على بن سام ، (قتلته خوارزم
٦٠٢	... شاه سنة ٦١٢)

رابعاً : سلاطين دهلى

الأتراك :

	١ - أيبك قطب الدين ، (استولى على دهلى
٦٠٢	سنة ٥٩٥ وانزعها من برثوى راجا) ...
٦٠٧	٢ - آرام شاه
٦٠٧	٣ - إيلتميش شمس الدين القطبي
٦٣٣	٤ - فيروز شاه (الأول) ركن الدين
٦٣٤	٥ - رضيه بيكم ، جلالة الدين
٦٣٧	٦ - بهرام شاه ، معز الدين
	٧ - مسعود شاه علاء الدين ، (عزل في
٦٣٩	٢٢ المحرم سنة ٦٤٤)
٦٤٤	٨ - محمود شاه (الأول) ناصر الدين
٦٦٤	٩ - بلبان ، غياث الدين أولوغ خان
	١٠ - كيتباد معز الدين ، (اغتيل بأمر فيروز
٦٨٦ (خلجى)
	١١ - كيومراث شمس الدين ، (اغتيل في
٦٨٩	٣ جمادى الآخرة سنة ٦٨٩)

سنة هجرية

الخلجيون (الأفغانيون) :

٣ جمادى	قتلها	١٢ - فيروز شاه (الثاني) جلال الدين ، (قتل في ٤ رمضان سنة ٦٩٤)
الآخرة ٦٨٩	محمد	١٣ - إبراهيم شاه الأول ركن الدين ، (سملت عيناه وقتل في ١٧ رمضان سنة
رمضان ٦٩٤	الأول	(٦٩٥)
		١٤ - محمد شاه (الأول) علاء الدين ، (توفى في ٦ شوال سنة ٧١٥)
٦٩٥	ذو الحجة	١٥ - عمر شاه شهاب الدين
٧١٥	ذو الحجة	١٦ - مبارك شاه (الأول) قطب الدين ، (اغتيل في ٥ ربيع الأول سنة ٧٢٠)
٧١٦	٧ المحرم	١٧ - خسرو شاه ، ناصر الدين
٧٢٠	ربيع الأول	

خامسا : بنو تغلق شاه

٧٢٠	شعبان	١٨ - تغلق شاه (الأول) ، غياث الدين ، غازى ملك
٧٢٥	ربيع الأول	١٩ - محمد (الثاني) جونا بن تغلق ، غياث الدين أولوغ خان ، (توفى في ٢١ المحرم ٧٥٢)
٧٥٢	المحرم	محمد بن محمد ، (بضعة أيام)
٧٥٢	٢١ المحرم	٢٠ - فيروز شاه (الثالث) ، (توفى في رمضان سنة ٧٩٠)
		٢١ - تغلق شاه (الثاني) ، غياث الدين سالار

سنة هجرية		
٧٩٠	١٩ رمضان	شاه ، (قتل في ١٥ صفر سنة ٧٩١) ...
		٢٢ - أبو بكر شاه (عزل في ٦ المحرم سنة ٧٩٢
٧٩١	١٧ صفر	... وسجن في مدينة ميرات) ...
٧٩٢	المحرم	٢٣ - محمد شاه (الثالث) ...
٧٩٥	١٦ ربيع الثاني	٢٤ - سكندر شاه (الأول) همايون ...
٧٩٥	٢٩ جمادى الأولى	٢٥ - محمود شاه (الثاني) ، ناصر الدين ...
٧٩٧		٢٦ - نصرت شاه ...
		محمود (الثاني) ، (للمرة الثانية)
		إقبال خان بن ظفر ، (مطالب بالحكم ،
		هزمه خضر خان سنة ٨٠٨) ٨٠١
		٢٧ - دولت خان لودي ، (فترة شغور حتى
٨١٦ أو ٨١٤		سنة ٨١٧) ...

ساحسا : حكام بنفالة

(أ) ولاية من قبل سلاطين دهلي

(الحاضرة لحنوتى)

		محمد بختيار خلجى
٦٠٢		عز الدين محمد بن شيران
٦٠٥		علاء الدين على بن مردان
٦٠٦ - ٦٠٧		غياث الدين عوض
٦٢٤		ناصر الدين محمود
٦٢٧		علاء الدين جاني

سنة هجرية

٦٢٧ سيف الدين أيبك
٦٣١ عز الدين طغرل طغان خان
٦٤٢	ذو القعدة قمر الدين تمر خان قران
٦٤٤	» اختيار الدين (أو مغيث الدين) يوزبك
٦٥٦	» جلال الدين مسعود ملك جاني
٦٥٧ عز الدين بلبن ، (أو بلبان)
٦٥٩ محمد أرسلان ترخان
— شير خان
— أمين خان
٦٧٧ مغيث الدين طغرل
	بنوبلسان :
٦٨١ ناصر الدين بغرا خان
٦٩١ ركن الدين كيكاسوس
٧٠٢ شمس الدين فيروز شاه
٧١٨ شهاب الدين بغرا شاه ، (بنغالة الغربية)
	غياث الدين بهادر بوراشاه ، (بنغالة الشرقية) ٧١٨
٧١٩ غياث الدين بهادر ، (بنغالة كلها)
٧٢٣	ناصر الدين إبراهيم ، (بلكهنوتى حتى سنة ٧٢٦)
	بهادر (للمرة الثانية ، مع بهرام بنغالة الشرقية) ٧٢٥
	بهرام ، (وحده حتى سنة ٧١٩) ... ٧٣١
٧٢٦ قدر خان ، (لكهنوتى حتى سنة ٧٤٠)
٧٢٤	عز الدين أعظام الملك ، (ستكانو حتى ٧٤٠)
	السلطين
٧٣٠	فخر الدين مبارك شاه (بنغالة الشرقية حتى ٧٥٠)

سنة هجرية

٧٥٠	اختيار الدين غازى شاه ، (بنغالة الشرقية حتى
٧٤٠	سنة ٧٥٣) علاء الدين على شاه ، (بنغالة الغربية حتى ٧٤٦)

بنو إلیاس شاه :

٧٤٠	شمس الدين إلیاس شاه ، (مطالب بالحكم بينغاله
٧٥٩	الغربية حتى سنة ٧٤٦) صاحب بنغالة الغربية ... ٧٤٦
٧٩٢	صاحب بنغالة جميعها ... ٧٥٣
٧٩٩	سكندر شاه (الأول) بن إلیاس
٨٠٩	غياث الدين أعظم شاه بن سكندر سيف الدين حمزة شاه بن أعظم شمس الدين بن حمزة

بنو راجة كانس :

٨١٢	شهاب الدين بايزيد شاه } في وقت واحد
٨١٢	
٨١٧	جلال الدين محمد شاه (جيتال بورني) بن راجه
٨٣٥	كانس ، (أعتق الإسلام) شمس الدين أحمد شاه بن محمد

بنو إلیاس (للمرة الثانية) :

٨٤٦	ناصر الدين محمد شاه (الأول) بن محمود ...
-----	--

سنة هجرية

٨٦٤ ركن الدين باريك شاه بن محمود
٨٧٩ شمس الدين يوسف شاه بن باريك
٨٨٦ سكيندر شاه (الثاني) بن يوسف
٨٨٦ جلال الدين فتح شاه بن محمود

سابعاً : الخوارزميون

١٠٧٧ م - ١٠٧٧ م ١ - أنوشتكين
١٠٩٨ م - ١٠٩٨ م ٢ - قطب الدين محمد
١١٢٨ م - ١١٢٨ م ٣ - آتسز
١١٥٦ م - ١١٥٦ م ٤ - آريل أرسلان
١١٧٢ م - ١١٧٢ م ٥ - سلطان شاه محمود
١١٧٢ م - ١١٧٢ م ٦ - علاء الدين تكش
١٢٠٠ م - ١٢٠٠ م ٧ - علاء الدين محمد
(١٢١٧ م - ١٢٢٨ م) ٨ - جلال الدين منكبرتي
(١٢٣١ م - ١٢٣١ م)	

ثامنا - المغول الخاقانات العظام

(بنو جنكيزخان)

سنة هجرية

- ١ - جنكيزخان (تموجين) ، (ولد سنة ٥٤٩ ٥٥٠ ، أول إجتماع للقورولتاي سنة ٦٠٣ ، توفي في رمضان سنة ٦٢٤)
- ٢ - أوكتاي ، (توفي في ٥ جمادى الآخرة سنة ٦٣٩)
الوصية توراكينا أرملة أوكتاي ... ٦٣٩
- ٣ - كيوك ، (توفي في ٩ ربيع الثاني ٦٤٧)
- ٤ - منكو (منكو) ، (ولى في ٩ ربيع الثاني سنة ٦٤٩)
- ٦٠٣
- ٦٢٤ رمضان
- ٦٤٤
- ٦٤٧ ربيع الثاني

أسرة يوتن :

- ٥ - قوبيلاي جمادى الآخرة ٦٥٨
- أرغبعا بن تولوى ، (مطالب بالحكم ، توفي سنة ٦٦٣) ٦٥٨
- ٦ - أولجايتو ٦٩٣
- ٧ - كولووك ٧٠٦
- ٨ - بويانتو ٧١٠
- ٩ - كه كن ٧٢٠
- ١٠ - يسون تيمور (أو إسن) ٧٢٣
- ١١ - راجى بقا ٧٢٣

سنة هجرية

٧٢٩	١٢ - كوشالا
٧٢٩	١٣ - جياغاتو
٧٣٢	١٤ - رينجن بال
٧٣٢	١٥ - طوغان تيمور
		خانات قراقرم :
٧٧١	١٦ - بيليكتو
٧٨٠	١٧ - اوسوخال
٧٩٠	١٨ - انكه سريكتو
٧٩٤	١٩ - الباك
٨٠٢	٢٠ - كون تيمور
٨٠٥	٢١ - اولجاي تيمور
٨١٤	٢٢ - دلباك ، (قتل سنة ٨١٧)
٨٣٧	٢٣ - ادساي
٨٤٣	٢٤ - تايسونغ
٨٥٦	٢٥ - اقبارجي
٨٥٧	٢٦ - اوكتو

ايلخانات فارس

(بنو هولاء كو)

سنة هجرية

٦٥٤	...	١ - هولاء كو
٦٦٣	ربيع الثاني	٢ - آباقا ، (توفي في ٢٠ ذي الحجة ٦٨٠)
٦٨٠	ذو الحجة	٣ - أحمد تكودار
٦٨٣	٢٧ جمادى الأولى	٤ - أرغون ، (توفي في ٧ ربيع الأول ٦٩٠)
٦٩٠	ربيع الأول	٥ - كيختو ، (إرينجين تورجى)
٦٩٤	جمادى الآخرة	٦ - بايدو
٦٩٤	ذو الحجة	٧ - غازان محمود
٧٠٣	شوال	٨ - أولجايتو حنذا بنده محمد
٧١٦	مستهل شوال	٩ - أبو سعيد بهادر
٧٣٦	...	١٠ - آريا كاول (معز الدين)
٧٣٦	...	١١ - موسى

المنافسون :

٧٣٨ - ٧٣٦	(ولاهم حسن ترك الجلائرى)	١٢ - محمد
٧٥٢ - ٧٣٨		١٣ - طغاتي مور
٧٤١ - ٧٣٩		١٤ - جهان تيمور

خانات ما وراء النهر

(بنو جغتای)

سنة هجرية

- | | | |
|-----|------|--|
| ٦٢٤ | ١ - | جغتای ، (توفي حول شوال سنة ٦٣٩) |
| ٦٣٩ | ٢ - | قرا هولاکو |
| ٦٤٥ | ٣ - | یسو منکو |
| | | قرا هولاکو ، (للمرة الثانية) ٦٥٠ |
| ٦٥٠ | ٤ - | أرکنة خازون ، (أرملة السابق) |
| ٦٥٩ | ٥ - | آلکو ، (توفي سنة ٦٦٤) |
| | ٦ - | مبارک شاه ، (لم يعترف به ، أعتنق الإسلام) ، جمادى الآخرة ٦٦٤ |
| ٦٦٤ | ٧ - | براق خان ، (هزمه أبقا) عمالک من |
| | | مستهل ذى الحجة سنة ٦٦٨ قبل بنى |
| ٦٧٠ | ٨ - | نیکسای |
| ٦٧٠ | ٩ - | توقا تیمور |
| ٦٩٠ | ١٠ - | دووا خان |
| ٧٠٦ | ١١ - | قونجوق خان |
| ٧٠٨ | ١٢ - | تالیقو وثنیون |
| ٧٠٩ | ١٣ - | کبک خان |
| | ١٤ - | إسن بغا |
| | | کبک خن ، (للمرة الثانية) حول سنة ٧١٨ |
| ٧٢٦ | ١٥ - | إیاجی کدای |
| ٧٢٦ | ١٦ - | دووا تیمور |

سنة هجرية

		١٧ - ترما شيرين ، (أسلم وأخذ لقب علاء الدين)
٧٢٦		سنجر ، (انفصلت الأقاليم الشرقية سنة ٧٣٤) ٧٣٠
		١٨ - جنكشى (أو جنكشاي) ، (وثنى ، حكم حتى سنة ٧٣٩)
٧٣٤		
٧٣٥	حول	١٩ - بوزون
٧٣٩)	٢٠ - إسبن تيمور
		٢١ - ... على خليل الله ، (من قبيلة أوكتاي ، حتى سنة ٧٤٤) حول ٧٤٣
٧٤٣	حول	٢٢ - محمد ، (حتى سنة ٧٤٦)
٧٤٤		٢٣ - قازان تيمور
		٢٤ - دانشمندجه ، (من قبيلة اوكتاي) ، (ولاء الأمير قرغان) ٧٤٧
٧٤٩		٢٥ - بويان قولى
		٢٦ - شاه تيمور بن عبد الله بن قرغان ، (توفي سنة ٧٦٠)
٧٦٠		٢٧ - توقلق تيمور ، (منافسه حسن بن شاه تيمور صهر تيمور)
		ضم تيمور البلاد ٧٧١
٧٦٤		٢٨ - إلياس خواجه بن توقلق تيمور
-		قمر الدين ، (مغتصب)
٧٩١		٢٩ - خضر خواجه بن توقلق تيمور
٨٠١		٣٠ - شمع جهان بن خضر خواجه

سنة هجرية

- ٨١٠ ... محمد خان بن خضر خواجه ...
- ٨١٨ ... ٣٢ - نقش جهان بن شمع جهان ...
- ٨٢١ ... ٣٣ - أويس خان بن شير علي بن خضر خواجه
- ٨٢٤ ... ٣٤ - شير محمد بن شاه جهان بن خضر خواجه
أويس ، (للمرة الثانية) ... ٨٢٨
- ٨٣٨ ... ٣٥ - أسن بوغا بن أويس خان ...
- ٨٦٦ ... ٣٦ - يونس خان بن أويس خان ...
- ٨٦٦ ... ٣٧ - دوست محمد بن أسن بوغا ، (أقسو
وتورفان) ...
- ٨٧٣ - ٨٧٧ ... ٣٨ - كيك سلفات بن دوست محمد ، (تورفان)
- ٨٩٢ ... ٣٩ - محمود خان بن يونس ...
- ٨٩٠ - ٩٠٨ ... ٤٠ - أحمد خان بن يونس ، (أقسو وتورفان)
- ٩٠٧ - ٩٢٠ ... ٤١ - منصور خان بن أحمد ، (تورفان وفرارشار)
- ٩٢٠ - ٩٣٩ ... ٤٢ - سيد خان بن أحمد ، (كاشغر) ...
- ٩٣٩ ... ٤٣ - عبد الرشيد خان بن سيد ، (كاشغر)
- ٩٥٠ - ٩٧٨ ... ٤٤ - شاه خان بن منصور ، (تورفان وقرارشار)

تاسعا - بنو تيمور

(١) الإمارة الكبرى

حكيم هؤلاء الأمراء بلاد ما وراء النهر أيضاً وكانت الحاضرة سمرقند :
سنة هجرية

- ١ - تيمور كورخان ، قطب الدين (تيمور
لنكث)
٧٧١
- ٢ - سيور غتمش بن دانشمندجه (جغتای) خانات اسما ٧٧١ - ٧٩٠
محمود بن سيور غتمش (جغتای)
٧٩٠ - ٨٠٠
- ٣ - خليل ، (حتى سنة ٨١٢)
٨٠٧
- ٤ - شاه رخ ، (حتى سنة ٨٥٠)
٨٠٧
- ٥ - علاء الدولة أولوغ بك بن شاه رخ ، (قتله
ابنه عبد اللطيف في رمضان سنة ٨٥٣)
٨٥٠
- ٦ - ركن الدين عبد اللطيف بن أولوغ بك ،
(اغتيل في ربيع الأول سنة ٨٥٤)
٨٥٣ رمضان
- ٧ - عبد الله بن إبراهيم بن شاه رخ
٨٥٤ ربيع الأول
- ٨ - أبو سعيد بن محمد بن ميرانشاه ، (توفي
في ٢٥ رجب سنة ٨٧٣)
٨٥٥
- ٩ - أحمد بن أبي سعيد
٨٧٢
- ١٠ - محمود بن أبي سعد
٨٩٩

أمراء ليس لهم غير ما وراء النهر :

- ١ - بايسنقر بن محمود ، (ببداخشان منذ ٨٧٩)
٩٠٠
- ٢ - علي بن محمود
٩٠٣
- ٣ - بابر ربيع أول ٩٠٣
- ٤ - فتح الشيبانيون البلاد
٩٠٦

المصادر والمراجع

- ١ - ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٨ م) على بن أحمد بن أبي الكرم .
«الكامل في التاريخ» .
- ٢ - أحمد أمين :
(أ) ضحى الإسلام (الجزءان الأول والثاني - القاهرة ١٩٣٨) .
- ٣ - (ب) ظهر الإسلام (جزءان - القاهرة ١٩٤٥) .
- ٤ - أحمد السادق :
(أ) تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية (القاهرة ١٩٥٨) .
- ٥ - (ب) تاريخ بخارى - تأليف أرمينيوس فا .
- ٦ - ابن أبي أصيبعة : ت ٦٦٧ هـ - ١٢٧٠ م - أبو العباس أحمد بن القاسم
بن خليفة موفق الدين .
«عيون الأنبياء في طبقات الأطباء» .
- ٧ - ابن بطوطة :
- ٨ - (أ) بروكلمان : كارل
« تاريخ الشعوب الإسلامية » (بيروت ١٩٤٨)
- ٩ - تاريخ الآداب الإسلامية .
- ١٠ - البيروني : (ت ٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) أبو الريحان محمد بن أحمد .
(أ) « الآثار الباقية عن القرون الخالية » طبعة أدوارد سخاو .
- ١١ - (ب) « الجواهر في أحوال الجواهر » .
- ١٢ - (ج) « تاريخ الهند » .
- ١٣ - تاريخ البيهقي (ت ٤٧٠ هـ) محمد بن حسين ، نقله إلى العربية
الدكتور يحيى الخشاب وآخرون .

- ١٣ - حتى فيليب .
- « تاريخ العرب المطول » .
- ١٥ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي :
- ١٦ - حسن أحمد محمود : « الإسلام في اسيا الوسطى » :
- ١٧ - ابن خلدون : (ت ٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ م) :
- « العبر وديوان المبتدأ والخبر » (بولاق ١٣٨٤ هـ) .
- ١٨ - ابن خلكان : (ت ٦٨١ هـ - ١٢٧١ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي :
- « وفيات الأعيان » تحقيق محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٤٨) .
- ١٩ - زامبور : ادوارفون :
- « معجم الأنساب والأسرات الحاكمة » .
- نقله إلى العربية الدكتور زكي حسن والدكتور حسن محمود (جامعة القاهرة ١٩٥١) .
- ٢٠ - السيوطي : (ت ٩١١ هـ - ١٢٩٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين .
- (أ) « تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة » (القاهرة ١٣٥١ هـ) .
- ٢١ - (ب) « حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة » .
- (جزآن - القاهرة ١٣١١ هـ) .
- ٢٢ - العتبي : (ت ٤٢٨ هـ - ١٠٣٦ م) أبو نصر محمد بن عبد الجبار « تاريخ اليميني » (جزآن - القاهرة ١٣٨٦ هـ) .
- ٢٣ - ابن العماد الحنبلي : (ت ١٠٩٨ هـ) أبو الفلاح بن عبد الحى ابن العماد الحنبلي .

- « شذرات الذهب في أخبار من ذهب » (القاهرة ١٣٥٠ هـ) .
- ٢٤ - ابن العميد (٦٧٢ هـ - ١٢٧٣ م) الشيخ المكين جرجس ابن العميد .
« تاريخ المسلمين » .
- ٢٥ - القلقشندي : (ت ٨٢١ هـ - ١٤٨٨ م) أبو العباس أحمد .
« (صبح الأعشى في صناعة الإنشا » .
- ٢٦ - ابن كثير : (ت ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل
بن عمر بن كثير الدمشقي
« البداية والنهاية » (القاهرة : ١٩٣٢) .
- ٢٧ - لوبون : جوستاف : « حضارات الهند » .
- ٢٨ - منز : آدم
« الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري » .
(جزاءن - القاهرة ١٩٤٠) .
- ٢٩ - أبو المحاسن : (ت ٨٤٨ هـ - ١٤٦٩ م) جمال الدين يوسف ابن
تغرى بردى
« النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » - دار الكتب المصرية :
- ٣٠ - محمد جمال الدين سرور : « تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق » .
- ٣١ - المقرئزي : (ت ٧٤٥ هـ - ١٤٤١ م) تقي الدين أحمد بن علي .
« المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .
- ٣٢ - ياقوت : « معجم البلدان » .

مراجع فارسية

- ١ - عبد الحميد لاهوري : بادشاهنامه .
- ٢ - علاء الدين عطا ملك الجويني : تاريخ جهانكشاي (لندن ١٩٣٧) .
- ٣ - غياث الدين بن هماد الدين الحسيني : « حبيب السير في أخبار أفراد البشر » (طهران ١٣٧٣ هـ) .
- ٤ - أحمد بادكر : « تاريخ بهلاطين أفغاناني » .
- ٥ - عباس خان سرواني : « تاريخ شيرشاه » .
- ٦ - عباس إقبال : « تاريخ عمومي إيران » .
- ٧ - محمد قاسم هندو شاه : « تاريخ فرشته » .
- ٨ - شاه أبو تراب ولي : « تاريخ كجرات » .
- ٩ - رستم علي : « تاريخ هندي » .
- ١٠ - غلام حسين سليم : « رياض السلاطين أو تاريخ بنغاله » .
- ١١ - محمد إسلام : « فرحة الناظرين » .
- ١٢ - عبد القادر بن ملوك شاه بداوني : « منتخب التواريخ » .

ثالثاً : مراجع اوریبیه

1. Ali, M. A.A. : History of Ind-Pakistan. Dacca, 1970.
2. Ameer — Ali : The Spirit of Islam. London. 1923.
3. Barthold W. : Histoire des Turs. d'Asie. Paris. 1945.
4. Barthold : "Hist of Turkestan".
5. Binyon. Laurence : "The Court Painters of the Grand Moghul".
6. Browne : Edward. "A Literary History of Persia".
7. Czaplka M.A. "The Turks of Central Asia".
8. Defremery : "Histoire des Sameinides".
9. Degwngnes, J. "Histoire General des Huns", des Turs, des Mongols. Paris, 1940.
10. D'ohsson, Baron. C. "Histoire des Mongols".
11. Duff, Grant, "Hist. of the Mahrattas". 1921.
12. Dumbar, G. " History of India From the Earliest Times to the Present Day. London 1956.
13. Elliot H.M. Dowson. John. "The History of India as told by Its own Historians The Mohammadan Period. London. 1867.
14. Gait, Edward. "Hist. of Assam. Calcutta. 1929.
15. Garratt. G.T. "The Legacy of India. Oxford 1930.
16. Garret Ed. Mughol Rule in India. 1930.
17. Gibon. "The History of the Decline and Fall of the Roman Empire".
18. Grousset, R. "L'Empire Mongol".
19. Grousset, R. "Hist. de l'Extreme Orient." Paris, 1929.
20. Habib, Mohammed. "Sultan Mahmud of Ghaznin". (New Delhi 1967).
21. Hammer, J.D. "Histoire de l'Empire Otoman, (Paris 1930).
22. Harvel, F.B. "The History of Aryan Rule in India".
23. Howorth, H. "Hisory of he Mongols. 3 vols. London 1864
24. "The Indian Moslems by an Indian Mohamedan. London 1938.

25. Lal. "A Hist. of the Khaljis".
26. Lane Poole : "The Muhammadan Dynasties". Paris. 1935.
27. "Medieval India under the Mohamedan Rule". (New York 1962).
28. Majumdar, R.C. "An Advanced History of India". (New York 1968).
29. Morel. "A Short History of India". (London 1890).
30. Munshi. "The Struggle for Empire". (Bombay 1969).
31. Nicholson, A. Reynold. «Literary History of the Arabs.» (Cambridge 1960).
32. Noldeke, "Sketches from Eastern History.
33. "A Modern History of India."
34. Prasad : "A short History of Muslim Rule in India". (Allahabad 1933).
35. Sarkar : "Hist. of Aurengzib." (Calcutta 1924).
36. Smith. V.A. "Hist. of fine Arts in India". (Oxford 1930).
37. Spear, P. "Twilight of the Mughuls". (Cambridge 1951).
38. Vambery. A. "A History of Bokhara (London 1873).
39. Weil : "History of the Khalifs".
40. Cambridge Medieval History.
41. Cambridge Hist. of India.
42. Cambridge Hist. of Iran.
43. Ency. of Islam.

